مُعجم
العُلماء والشّعراء الصِّقلّيين

أعَدّهُ وَرَتّبَهُ
الدكتور إحسان عبّاس

دار الغرب الإسلامي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
1994

© 1994 دار الغرب الإسلامي

دار الغرب الإسلامي
ص . ب . 5787-113 بيروت

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .

http://abbassa.wordpress.com تحميل كتب

١٤٣٩

مُعجم
العُلماء والشُّعراء الصِّقلِّيِّين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

كان علي بن جعفر بن علي السعدي الصقلي المعروف بابن القطاع (رقم: 83 أ 83 ب في هذا المعجم) (433 ـ 515) عالماً لغوياً نحوياً كثير الشعر؛ ومع أن ياقوتاً ذكر أن أشعاره لم تكن بمستوى علمه، فقد قُدّر له أن يكون القيّم على جمع الشعر الصقلي والتعريف بأهم من ظهروا من الصقليين في ميدان الشعر والكتابة والنحو واللغة وسائر العلوم. ويعد كتابه «الدرة الخطيرة في شعر شعراء الجزيرة»[1] أجمع كتاب للتراث الصقلي. ولكن هذا الكتاب الذي نُقَدّر أنه ألفه قبل سنة 500 (أي قبل مغادرته صقلية إلى مصر مهاجراً) لم يصلنا حتى اليوم في شكله الكامل، كما كتبه مؤلفه، وإنما وصلتنا منه أربع صور متفاوتة بينها قسط غير كبير من المشاركة، وتلك الصور هي :

1 ـ ما اختاره العماد الأصفهاني من تراجم الشعراء الصقليين المذكورين في «الدرة الخطيرة» وضمَّنه كتابه «خريدة القصر وجريدة العصر» (القسم الخاص بشعراء المغرب)، وقد ذكر العماد منهم ستاً وخمسين (56) ترجمة، ثم أضاف إليهم اعتماداً على مصادر أخرى من أهمها «النظم والنثر لأفاضل أهل العصر» لابن بشرون المهدوي ذكر ثلاثة آخرين.

---

(1) ورد اسم هذا الكتاب «الدرة الخطيرة في شعر الجزيرة» كما ذكر مرة باسم «الجوهرة الخطيرة في شعراء الجزيرة».

وقد نشر هذا القسم من الخريدة غير مرة[1]. والطبعة التونسية منه (1966 ـ 1972) تقع في ثلاثة أجزاء، تضم شعراء صقلية والمغرب الأدنى والأوسط والأقصى وشعراء الأندلس. وقد قام بتحقيق الجزء الأول الأساتذة: محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى، واشترك هؤلاء في تحقيق الجزءين الثاني والثالث مع آذرتاش آذرنوش. وكل تراجم الصقليين ترد في الجزء الأول من هذه الطبعة.

وتبدأ كل طبعات الخريدة بترجمة أبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن أبي البشر الأنصاري (البلنوبي) الكاتب، وربما كان هذا الشاعر بعد ابن حمديس أبرز شعراء صقلية، وله صلات بالمشرق ومصر والشمال الإفريقي، وهذا كسب له شهرة واسعة. وقد وصلنا جزء من ديوانه برواية تلميذه بالإسكندرية أبي محمد عبد الله بن يحيى بن حمود الخريمي (وضبطه نلينو في تعليقاته على تاريخ المسلمين بصقلية لأماري بالزاي ـ الخزيمي ـ ولا أراه صواباً) وقد ولد الخريمي أواخر سنة 440 وتوفي في رجب سنة 514 وكان من أهل الفقه والأدب والصلاح؛ وكان أبوه يحيى ذا حرمة عظيمة، وقضى شهيداً وغاب ابنه عبد الله بعد مقتل أبيه عن الإسكندرية وأقام بالحجاز سنين؛ وهذا الجزء رواه الخريمي عن أستاذه ولعلّه روى كل ديوانه وأن هذا هو الجزء الذي تبقى مما رواه، وهو قطعة من مخطوط بالأسكوريال رقم: 487 وقد قام بنشر هذا الجزء وضمّ إليه ما ورد من شعر أبي الحسن في الخريدة الأستاذ هلال ناجي (بغداد 1976) في طبعة جيدة التحقيق؛ ولهذا السبب فإن ترجمة أبي الحسن الصقلي في هذا المعجم تضمّ ما جاء في الخريدة من شعره،

---

(1) هناك طبعة مصرية لقسم المغرب من الخريدة لم تتم وقد صدر منها الجزء الأول بتحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم. وفي سنة 1987 أصدر نجم الدين الحسني بدمشق كتاب «الشعر العربي في صقلية» وضمنه ستين شاعراً ووضع لكل مقطوعة عنواناً من عنده، ومقدمة في التعريف بكل شاعر لا تغني كثيراً لأنها من نسج الخيال؛ وعمدته في ما أورده كتاب الخريدة، وإن لم يذكر ذلك.

وما ورد في مصادر أخرى عدا الخريدة، وما احتواه هذا الجزء من ديوانه.

2 ــ مختصر من الكتاب المنتخل من الدرة الخطيرة (والمنتخل مرحلة ثالثة للدرة ولكن لا نعرف عنه شيئاً) وهذا المختصر من اختيار الشيخ أبي إسحاق ابن أغلب، ذكر فيه أسماء سبعة وستين شاعراً من شعراء صقلية، وشارك العماد في ثمانية منهم. والاعتماد في هذا الكتاب على نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية.

3 ــ اختيار الحسن بن علي بن منجب الصيرفي من المنتخل نفسه. وقد جاء على الورقة الأولى من النسخة الخطية لهذا الاختيار «هذا ما اختاره الحسن بن علي بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفي رحمه الله من المنتخل من الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة مما ليس هو في اختيار ابن الأغلب». ويصرح الشيخ محمد النيفر مؤلف «عنوان الأريب»، أنه قد اطلع على هذا الاختيار فأورد فيه عدداً من شعراء صقلية (1: 126 ـ 138 / تونس 1351) ولكنه لم يورد القصائد كاملةً.

ويتميز اختيار ابن الصيرفي بذكر شعراء لم ترد أسماؤهم في الخريدة ومختصر ابن الأغلب، وأهم من ذلك انفراده بإيراد قصائد طويلة دون الاكتفاء بإيراد المقطعات والأبيات المفردة.

4 ــ شعراء صقلية الذين ذكرهم ابن سعيد المغربي في كتابه المغرب في حلى المغرب (القسم الذي نشره تلكويست) وعدد الصقليين الذين تضمنهم هذا الكتاب ثماني عشرة ترجمة، وقد شارك المصادر السابقة في أربعة عشر منهم. ويمتاز كتاب ابن سعيد حين يتصدى لذكر صقلية والصقليين بمقدمة جغرافية تاريخية عن الجزيرة (جعلتها مقدمة لهذا المعجم) وبتسمية المترجمين بحسب الاتجاه الغالب على الواحد منهم فمنهم: ذوو البيوت والكتاب والعمال والعلماء والزهاد والشعراء.

وهذه هي المجموعات الأربع التي اعتمدت على الدرة الخطيرة

لابن القطاع. وهناك مصادر أخرى أفادت من الدرة الخطيرة ومن أهمها:

1 ــ إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (1 ـ 4) فقد نقل عن الدرة أسماء النحويين الصقليين وصرَّح بالنقل عنها.

2 ــ المحمدون من الشعراء للقفطي، وعنوانه يدل على أنه استخرج من الدرة بعض أسماء المحمدين من الصقليين، وإنما أقول «بعض» لأن الكتاب ناقص؛ ولعله في صورته الكاملة ذكر جميع أسماء المحمدين من الصقليين.

3 ــ أخبار الحكماء للقفطي في ترجمة محمد بن عيسى بن عبد المنعم الصقلي (رقم: 136) ويشاركه في هذه الترجمة كل من تاريخ الحكماء للزوزني، ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي.

4 ــ معجم الأدباء لياقوت في ترجمة ابن القطاع وترجمة علي بن الحسن بن حبيب (رقم: 48) وترجمة عثمان بن علي السرقوسي (رقم: 78، 78 ب)؛ ومعجم البلدان لياقوت في: بلنوبة ـ سمنطار ـ طرابنش ـ ودان.

5 ــ ويعتمد على ياقوت: الصفدي في الوافي بالوفيات، والسيوطي في بغية الوعاة، وربما الكتبي في عيون التواريخ وهناك فئة من المصادر يستقلُّ كل مصدر منها بما يورده وأهمها:

1 ـ معجم السفر للسلفي (تحقيق د. شير محمد زمان، مجمع البحوث الإسلامية ـ الجامعة الإسلامية العالمية ـ إسلام آباد، باكستان 1988)[1].

وقد أتيح للسلفي أن يلقى في الإسكندرية عدداً غير قليل من الصقليين حين نبت بهم صقلية فواجهوا الشتات في الأقطار أو قبل

(1) قبل ظهور هذا الكتاب مطبوعاً محققاً كان اعتمادي على نسختين: نسخة المدينة المنورة، ونسخة دار الكتب المصرية؛ وقد استخرجت منها تراجم الأندلسيين ونشرتها في كتاب بعنوان أخبار وتراجم أندلسية، بيروت 1963.

ذلك، ولهذا ينفرد معجمه بمعلومات سماعية عنهم لم تتوفر لغيره. وقد أفاد الأستاذ أمبرتو رزيتانو من هذا المصدر فوائد جلّى أضيفت إلى ما قدمه في هذا الحقل من تقدّمه من المستشرقين الإيطاليين وبخاصة ميكيل أماري.

2 ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام، وقد ترجم (في الجزء الرابع) الصقليين الذين وفدوا على الأندلس ومن أهمهم: ابن حمديس، وأبو العرب الصقلي، وسليمان بن محمد الصقلي، ومحمد بن الصباغ الصقلّي. (ويضاف إلى هذا المصدر مصادر أندلسية أخرى منها جذوة المقتبس للحميدي والتكملة لابن الأبار)، ولابن حمديس ديوان مستقل ولهذا لم أضمّن أشعاره في هذا المعجم وإنما اكتفيت بإيراد ترجمةٍ موجزة له وإيراد مقطوعتين من شعره.

3 ـ ترتيب المدارك للقاضي عياض (جـ: 8 ط. الرباط) وقد ذكر عدداً من الفقهاء والمحدثين الصقليين.

4 ـ كتاب الأفضليات لعلي بن منجب بن سليمان المعروف بابن الصيرفي (تحقيق وليد قصاب وعبد العزيز المانع، دمشق 1982)، وكان ابن الصيرفي على صلة بشعر الصقليين، كما كان على صلة بشعر الأندلسيين. ويورد في كتابه هذا أشعاراً لأبي العرب الصقلي وابن أبي البشر ومجبر بن محمد؛ وهذا الأخير لطول إقامته بمصر ومدائحه في الأفضل أدرج العماد ترجمته في القسم المصري من الخريدة.

5 ـ شرح المختار من شعر بشار لإسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي، وقد كانت له علاقة بصقلية والصقليين إذ كان أحد تلامذة والد ابن أبي البشر الصقلي وصديقاً لعدد من أدباء صقلية مثل: ابن البر الصقلي، وابن الخياط الربعي؛ وضمن شرحه للكتاب

أورد كثيراً من أشعار هذا الأخير كما أورد شعراً لابن البر وابن الطوبي وابن أبي البشر.

6 ـ (ما تبقى من) تذكرة ابن العديم (نسخة دار الكتب المصرية، أدب رقم: 2042 تصوير معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت 1992) وفيها ترجمة لمحمد بن أبي بكر الصقلي (نقلاً عن الدرة الخطيرة، وأخرى للقاضي أحمد بن قاسم الصقلي أحد الطارئين على مصر. وقد اطلعت على نسخة دار الكتب قبل عدة سنوات وأثبت ما فيها في هذا المعجم.

7 ـ ولا يصرح ابن خلكان بأن الدرة الخطيرة من مصادره، ولذلك أعدّ كتابه «وفيات الأعيان» في فئة المصادر المستقلة، وهو يحتوي ترجمة لابن حمديس (3: 212 ـ 215) وأخرى لأبي العرب الصقلي (3: 334) وهو يعرف ابن مكي الصقلي وكتابه تثقيف اللسان ولكنه لا يترجم له مما يثبت أنه لا يعرف الدرة.

8 ـ الحماسة المغربية وهي مختصر كتاب صفوة الأدب لأحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي، وتضم منتخبات من أشعار المشارقة والمغاربة مشتملة على أبواب المدح والفخر والمراثي والنسيب والأوصاف والحكم والأمثال والملح وذم النقائص والزهد والمواعظ؛ وليس فيها من شعر الصقليين سوى مختارات لابن حمديس وقصيدة واحدة لأبي العرب الصقلي.

وإلى جانب هاتين الفئتين الكبيرتين من المصادر نجد فئة ثالثة تحتوي على أبيات أو مقطوعات للصقليين وهي:

1 ــ سرور النفس للتيفاشي.

2 ــ نهاية الأرب للنويري.

3 ــ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي.

4 ـ مسالك الأبصار للعمري.
5 ـ حلية الكميت للنواجي.
6 ـ طراز المجالس للخفاجي.
7 ـ شرح المقامات للشريشي.
8 ـ مناهج الفكر (جزءان) لجمال الدين الوطواط.
9 ـ معاهد التنصيص للعباسي.
10 ـ تاريخ ابن ميسر.
11 ـ تزيين الأسواق للأنطاكي.

وما تزال المكتبة الصقلية التي جمعها أماري ذات فائدة محققة في الإفادة من بعض هذه المصادر.

كان معظم هذه المادة التي احتواها هذا المعجم موجوداً لديّ حين طبعت كتابي «العرب في صقلية» (بيروت 1959) ولكني أحجمت عن نشرها مدة طويلة حتى أتيح لي أن أضيف إليها بعض إضافات مفيدة وأن أعيد ترتيبها على أساس حروف الهجاء؛ وأنا إذ أقدم هذا المعجم اليوم أجد أن صورة الشعر في صقلية بحاجة إلى إعادة تقييم بعد إذ برزت على نحو أوضح صورة شعراء كبار مثل: ابن الخياط الربعي، وابن أبي البشر، وأبي الحسن الطوبي، وأبي العرب الصقلي. وبعد أن عرفنا مزيداً من أثر الفتنة التي عصفت بصقلية الإسلامية في شعر عدد غير قليل من الشعراء.

وأنا أؤمن أن كل شيء مرهون بوقت معين، وأنني لو نشرت هذا المعجم يوم جمعته لأول مرة لاحتجت أن أعيد النظر فيه بالزيادات المتجددة.

نبذة في التعريف بجزيرة صقلية[1]

من كتاب ابن عبد ربه في رحلته:

1 ــ صقلية جزيرة منقطعة في البحر شكلها مثلث حاد الزاوية شمالية وفيها مدينة مسيني المشهورة بكثرة العنب والخمر، وهناك المجاز الضيق إلى الأرض الكبيرة أكثر ما يكون قدر ستة أميال وزاوية قبلية وفيها باشو وهو الموضع الذي يلي بر طرابلس من إفريقية، وزاوية غربية وفيها مدينة طرابنش، والجبل الذي فيه بركان النار في جزيرة منقطعة إلى شمال من صقلية أجرد لا ينبت خضراء.

2 ــ وذكر أن صقلية كثيرة الزلازل تتهدم منها مبانيها.

3 ــ وذكر الشريف [الإدريسي] أن في جزيرة صقلية أزيد من مائة حصن وفيها نهران وعيون وهي في الإقليم الرابع كثيرة الخيرات ودورها سبعة عشر يوماً وطولها خمسة أيام وقاعدتها مدينة بلرم. وكانت مدناً كثيرة متجاورة ذكرها ابن حوقل. ولما دخلها النصارى تركوا للمسلمين منها مدينة واحدة وهم إلى الآن فيها ،وأمامها منتزهات ملاح منها جبل الغربال ينبع منه الماء كعيون المنخل.

4 ــ أول من فتحها أسد بن الفرات قاضي إفريقية في مدة زيادة الله بن الأغلب

(1) وردت هذه المقدمة في المغرب بعنوان: كتاب الألحان المسلية في حلى حضرة صقلية.

يوم السبت للنصف من ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة ومائتين، وتوالى عليها ولاة بني الأغلب إلى أن انقرضت مدتهم، فتوالى عليها ولاة خلفاء العبيديين وتوارث دولتها بنو الحسين الكلبيون.

5 ــ أديبهم وفاضلهم ومنفق سوق الأدب منهم تاج الدولة وسيف الملة أبو محمد جعفر بن ثقة الدولة يوسف بن عبد الله؛ قال فيه ابن القطاع: ملك عظيم وجواد كريم وفد عليه الشعراء والعلماء من كل مكان فأعلى منزلتهم وأجزل صلتهم، وكان الشعر أقلَّ مراتبه إلا أنه أساء التدبير فاختل عليه أمره وآل الأمر إلى أن أرسل أهل صقلية إلى المعز بن باديس في عسكر فأرسله لهم ثم ندموا فطردوا العسكر ووقعت الفتنة بينهم وثار في صقلية من أهلها ابن الثمنة ومكَّنَ الفرنجَ في البلاد فتمكنوا قليلاً قليلاً إلى أن صار لهم مدينة بلرم وانقضت دولة الحسينيين.

6 ــ وعظم فيها ملك أجار الفرنجي ثم ابنه غليم وكانا يعربان كلامهما ويتقربان للمسلمين، وزوّج غليم ابنته من ملك لمان فصار ملك صقلية له بسببها ثم مات وماتت زوجته وورث الملك الأنبرطور ابن ملك لمان وابنة غليم أمه وكان أبوه قد تركه صغيراً فرباه قاضي المسلمين.

7 ــ وثار في أنطلة محمد بن عباد وعظم أمره واجتمع إليه المسلمون ودام أمره إلى أن كبر الأنبرطور فاشتغل بحربه حتى أذعن ابن عباد لما تكاثر عليه الفرنج ولم ير أحداً من المسلمين ينصره فغدر به الأنبرطور وقتله وبقيت بعده ابنته في أنطلة، وغدرت بثلاثمائة فارس من فرسان الأنبرطور أطلعتهم على أن تمكنهم من الحصن وقتلتهم ثم قتلت نفسها.

1 ـ القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن مالك المعافري

أحد قضاة الجزيرة المشهورين بالكرم والإنعام، المذكورين بكثرة الصواب في الأحكام، وله مع ذلك شعر كثير وترسيل غزير، فمن ذلك قوله في صباه[1]:

كتبتُ لما فَنَى دمعي وَمُصْطَبَري إليك أشكو صباباتي وأسقامي
ما زال تبكي لما تمليه من حُرَقي عليك مقلةُ قرطاسي وأقلامي

* * *

2 ـ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خفيف الكاتب[2]

كثير النوادر فمن شعره قوله [يصف] رجلاً أحدب قد علا إنساناً:

رأيتُ اليومَ محمولاً وأعجبُ منه من حَمَلَهْ
جمالُ الناسِ تحملهم وهذا حاملٌ جمله

* * *

(1) المختصر والمغرب.
(2) من المنتخل والمغرب.

3 ـ أبو إسحاق إبراهيم بن محمود القسري

فمن شعره قوله من قصيدة أولها[1]:

أيّ طيفٍ من لامعاتِ البروقِ　　　بات يسري بين الحمى والعقيق

يقـول فيهـا:

لاه برقُ الثغورِ والشَّبِمُ العذ　　　بُ من الريق والرضابِ الرحيقِ
ما عققتُ العقيقَ لكنْ دموعي　　　لفـراق العقيق مثـلُ العقيق
أنا صبٌّ إلى الحمى مستهامٌ　　　بمهـاةِ النقـا وريم الشقيق

* * *

4 ـ ابـن فـرجـوج[2]

صقلي موصوف بالعلم، له تأليف مرتب فيه تمهيد البراذعي على نسق كتاب المدونة، رأيت له أسماء تعاليق وتصانيف كثيرة.

* * *

5 ـ ابـن القابلـة[3]

صقلي من الفقهاء.

* * *

(1) من مختارات ابن الصيرفي، وعنوان الأريب 1 : 127.
(2) ترتيب المدارك 8 : 116.
(3) من ترتيب المدارك.

6 ـ أبو العباس بن محمد بن القاف[1]

من شعره:

يا تائهاً بجماله رفقا ... أنت الذي عذّبتني عشقا
وزعمتَ أنك لا تكلمني ... عشراً فمن لك أنني أبقى

وله:

وسقانا الراح ساقٍ ... ما له في الحسن نِدُّ
فهي في الكاسِ أقاح ... وهي في خديه ورد

وله:

أموالكم في النجم إن رمتُهَا ... ولا تمنُّونَ الجفا والأذى
وتكرهونَ الهجوَ مني لكم ... هيهات ما تسمحُ نفسي بذا

* * *

7 ـ أبو عبد الله العروضي[2]

من شعره:

جريحُ قلبٍ قريحُ أجفانِ ... دموعُهُ والبحار سيانِ
يهجر من ليس هاجراً أبداً ... مغرىً بما ساءني وهجراني
وسنان طرفٍ يبيتُ في دعةٍ ... وليس طرفي عنه بوسنان
كأنَّ أجفانَ عينه حلفت ... ألا تذوقَ الرقادَ أجفاني

* * *

(1) هو أخو أحمد بن محمد بن القاف أبي علي، انظر الخريدة.
(2) من المختصر ـ (المنتخل).

8 ـ أبو علي بن حسين بن خالد الكاتب[1]

لــه:

وشـادنٍ قُـدَّ قميصُ الهـوى   في حبـه ما عنـه لي مذهبُ
كـأنمـا الصـدغُ على خـدهِ   يـاقـوتـةٌ تلسبهـا عقــرب

ولــه:

لا تــحـــاولْ مـــن يـــزيـــدٍ   فـضـلَهُ واسـتـغـنِ عـنـه
ربــمـــا عــضَّـــك كـــلـبٌ   إن طـلـبـتَ الـعـظمَ مـنـه

***

9 ـ القائد أبو الفتوح ابن القائد بدير المكلاتي سند الدولة حاجب السلطان[2]

لــه:

ليس في الـدنيـا سـرورٌ   إنمـا الـدنيـا همـومُ
وإذا كــان ســرورٌ   فـقـلـيـلٌ لا يـدوم
تــركهـا أفضــلُ منهـا   ذا بــهــذا لا يـقــوم

***

10 ـ أبو القاسم الصقلي[3]

قال في الحماحم:

أنــا بـالــريحـان مفتــو   نٌ ولا مثــل الحمــاحمْ

(1) من الخريدة.
(2) من الخريدة: والمكلاتي نسبة إلى مكلاتة، وهي قبيلة بربرية؛ وكان القائد ابن المكلاتي أحد من استقل بجزء من صقلية وأخذ قطانية سنة 431 ثم غلبه ابن الثمنة وقتله.
(3) مناهج الفكر 2: 441.

وتـأمـله تـجـد عـذ ... راً لصبٍّ القلب هـائـم
غلمة الجندِ بِخُضْرِ القُمْـ ... ـصِ في حُمْـرِ العمائم

* * *

11 ــ أبو القاسم بن طلحة(1)

كان في دولة منصور بني عبد المؤمن وأحسن ما له قوله(2):

أيتهـا النفس إليـه اذهبي ... فحبُّهُ المشهورُ من مذهبي
مفضَّضُ الثغـرِ لـه شـامـةٌ ... مسكيةٌ في خدِّهِ المـذهب
أيـأسني التـوبـةَ عن حبـه ... طلوعُهُ شمساً من المغرب

* * *

12 ــ أبو محمد النحوي المعروف بالدمعة(3)

من أهل صقلية المقيمين بها، أحد رؤساء النحويين المعلمين ورجاله الحفاظ السابقين، وله شعر صالح، منه أبيات كتب بها إلى بعض إخوانه:

أتاني كتابٌ بعـد طولِ تطلُّعٍ ... فأحببْ به عندي كتابـاً وأجملِ
كتابُ امرىءٍ لم يَنْقُضِ النأيُ عهدَهُ ... ولـم يسـلَ عـن ودٍّ ولم يـتبـدل
فجاء مجيءَ الغيثِ بعد انقباضه ... وهبَّ هبـوبَ العنبـر المتنحـل
قَرَرْتُ به عيناً وإن كان موجعي ... وطبتُ به نفساً وإن كـان موئلي

* * *

---

(1) من المغرب؛ ولعله هو نفسه رقم: 10.
(2) وردت هذه الأبيات أيضاً في مسالك الأبصار.
(3) الترجمة والشعر مـن إنباه الرواة 4: 167 وأبياته في المتنخل.

13 ـ أبو محمد المعروف بابن صاحب الخمس[1]

صقلي فقيه متكلم أصولي، فاضل مشهور موضعه، ذكره الميورقي فقال: كان فقيهاً متكلماً إماماً في علم الأصول، نافذاً في علوم الفروع، متورعاً عن الفتيا؛ قال: وهو أكبر من لقيتُ بصقلية؛ وكان شيخنا القاضي أبو القاسم بن عبد الرحمن بن محمد المعافري قد لقيه بها وكان يثني عليه، وحدثنا عنه وأخذ عنه.

* * *

14 ـ الفقيه أبو محمد بن صمنه الصقلي[2]

وصفه بحسن المحاضرة والمحاورة، وطيب المفاكهة والمذاكرة، واستيعابه علم الشعر إلى علم الشرع وظرافة الخلق وسلامة الطبع، وأورد له شعراً سني الصنع جنيَّ النبع، وهو قوله:

تركوا العتابَ وجانبوا العتبا ... فأَقِلْهُمُ وأَنِلْهُمُ العُتْبَى
واصفح لهم عما جَنَوا كرماً ... حبّاً لهم وكرامةً حبا
أحبابنا لي عندكم مقةٌ ... نهبت جميعَ إساءةٍ نهبا
ومحبةٌ في الصدرِ ثابتةٌ ... مَحَتِ الذنوبَ فلم تَدَعْ ذنبا
أوليتكم مني صحيحَ هوىً ... فشفى مريضَ سَقَامكم طبا
وجزيتكم بقطيعةٍ صلةً ... وحملتُ ما حُمِّلْتُ من أعبا
ووردت ملحاً ماء ودكم ... فشربته وسقيتكم عذبا

وذكر أن الفقيه عيسى بن عبد المنعم الصقلي بلغه عنه كلام أحفظه

(1) من ترتيب المدارك.
(2) ورد ذكره وأشعاره في الخريدة.

فكتب إليه:

جنبنا الله سيءَ القالَهْ وصاننا عن مواقفِ الخالَهْ
منا وفينا فلا دعوا أبداً حرَّابةً بالمقال نبَّاله
ذوو مِضَاعٍ تُعَدُّ ألسنةُ وهي مُدىً في النفوس فعاله

فأجابه وقرن بالعتبى عتابه:

ما لحبيبي معاتباً ما له أحال إفكُ الوشاةِ أحواله
غيَّرهُ مَيْنُ كاشحٍ مَذِقٍ وشى وكان الإله [قد] سَالَهْ
بفيه عفرُ التراب بل تَرِبَتْ يداه فيما حكى وما قاله
أراد قطعاً لوصلنا حَسَداً قطَّع حدُّ الحسامِ أوصاله
[ودّ] برضوى تُشَدُّ عقدته فكيف رام البغيُّ زلزاله
بل كيف أرمي بأسهمي بَصَري أعمى ويحوي الحسودُ آماله
يا ولدي والمكينُ من خلدي بموضعٍ لم أبِحْهُ إلا له
مناقلُ الزورِ غير ما ثقةٍ إذ كان يسعى ليفسدَ الحاله

* * *

15 ـ أبو القاسم أحمد بن إبراهيم الوداني(1)

له:

تَرَفَّقْ بنفسك لا تُفْنِها بحرصٍ فحرصُكَ لا ينفعُ
فكم عاجزٍ واسعٍ ماله وكم حازمٍ فقرُهُ مُدْقِعُ

* * *

(1) نسبة إلى ودان، مدينة بإفريقية (المشترك ـ مادة ودان).

16 ـ أبو الفتح أحمد بن علي الشامي

ذكر أنه زين الأدباء وغرة الدهماء[1].

لــه:

فِي السمهريِّ مشابــةٌ ممَّـنْ أحـبُّ وأعشَــقُ
الـلونُ والقــدُّ الــرشيــقُ وطــرفُــهُ إذ يــرمق
قلبي لــسهـم لحــاظــه غَــرَضٌ ففيــه يــرشـق

قال مصنف « الدرة » : فسألته أن ينفذ إليَّ بشيء من شعره في حين تأليف الكتاب فكتب إليّ :

أبا قاسم والفضلُ فيك سجيةٌ وأنت بِكــلِّ المعلواتِ خليقُ
ومَنْ مَجْدُهُ فوق السماكِ محلِّقٌ ومنصبهُ في المكرماتِ عريق
تكلفني إظهــارَ ما قـد نظمتـه ليــاليَ غصني نــاضـرٌ ووريق
وإذ لمتي تحكي خوافيَ ناعبٍ وعندي لوصلِ الغانياتِ طريق
فكن ساتراً عورات خلك [إنه] شقيقك والخلُّ الصديقُ شقيق

ولــه في المجون :

احتلْ لأيرك في درعٍ مُضَعَّفةٍ فبين فخديه أرماحٌ من الشعرِ

وقــال :

عجبتْ لنوَّارِ الأقاحي إذ بــدا في عارضِي ورأتْهُ قبلُ بنفسجا
لا تعجبي ممــا تَـرَيْنَ فـإنمــا يبدو ضياءُ الصبحِ في أثَرِ الدجى

ولــه في الغزل:

وذي مقلةٍ كحلاءَ من غير ما كُحْلِ رماني بسهمٍ من جفونٍ لهــا نجلِ

---

(1) من الخريدة والمختصر.

يضــارعُ أمَّ الخشفِ جيــداً ومقلةً ... ويفضلها في الحسن والدلِّ والشكل
أعــار العــوالي طــرفَـهُ وقــوامــه ... ولوناً يزيد القلبَ خبلاً على خَبْلِ
بوجهٍ يريك الشمسَ في غصن بانةٍ ... على كَفَلٍ يحكي الكثيبَ من الرمل

* * *

17 ــ أبو الفضل أحمد بن علي الفهري صاحب الشرطة[1]

لــه:

خليليَّ مـا لي قد حُـرِمْتُ التدانيـا ... وأصبحتُ عن وَصْـلِ الأحبةِ نـائيا
وما كان لي صبرٌ على البين ساعـةً ... فهــا أنــا في بين سنينَ ثمــانـيــا
رعى الله أحبــابــاً وقــرَّبَ دارهم ... وبلغ مشـتــاقــاً وأطلقَ عــانـيـا

* * *

18 ــ أحمد بن علي بن الحكم الصقلي[2]

سمعت أبا الفضل أحمد بن علي بن الحكم الصقلي بديار مصر يقول: رأيتُ بجزيرة صقلية أيلاً ورجلٌ طيب الصوت يحدو وينشد ويقرب منه، وهو والله واقفٌ يتسمع كالمغمى عليه إلى أن طعنه ووقع.

أبو الفضل هذا شيخ من أهل العلم وقد تفقَّهَ على مذهب مالك، وقدم الإسكندرية سنة [. . .] وسمع على جماعة من شيوخها عندي، وكتب كتاب «المحدّث الفاصل بين الراوي والواعي» الذي أخبرنا به ابن الطيوري ببغداد

---

(1) من الخريدة: انظر القصيدة رقم: 96 في ديوان ابن حمديس وفيها يرثي الشريف الفهري علي بن أحمد وقد كان لعلي هذا ابنان هما أحمد ومحمد، وذكرهما ابن حمديس بقوله:
ومـا مـات مبقي أحمــد ومحمــد ... فـإنهمـا سدا المكـان الـذي سـدا
(2) هذه الترجمة من معجم السفر: 16.

عن أبي الحسن الفالي عن ابن جربان النهاوندي عن مؤلفه القاضي أبي محمد بن خلاد الرامهرمزي، وهو كتاب مفيد، وغير ذلك، ثم رحل بولدٍ له صغير يسمعه إلى العراق وانقطع عنا خبره.

* * *

19 ـ القاضي الرشيد أحمد بن قاسم الصقلي[1]

من الطارئين على مصر وكان قاضي قضاتها في أيام الأفضل فدخل يوماً إلى الأفضل وبين يديه دواة من عاج محلاة بمرجان فقال:

ألين لداوودَ الحديدُ بقدرةٍ ... يقدِّره في السَّرْدِ كيف يريدُ
ولان لك المرجانُ وهو حجارةٌ ... على أنه صعبُ المرامِ شديد

وكان الأفضل قد أجرى الماء إلى قرافة مصر فكتب إليه بإجراء الماء إلى دار له بها:

أيا مولى الأنامِ بلا احتشامٍ ... وسيدهم على رغم الحسودِ
لعبدك بالقرافة دارُ نُزْلٍ ... لموجودِ الحياة أو الفقيد
لموجودٍ يعيشُ بها لوقتٍ ... ومفقود يُوَارَى في الصعيد
وفي أرجائها شَجَرٌ ظِمَاءٌ ... عَدِمْنَ الحسنَ من ورق وعود
فمن عَذْبِ المصانعِ ممتعات ... عدمن الريَّ في زمن الوجود
يقلن إذا سمعن شجى السواقي ... مقالةَ هائمٍ صبٍّ عميد
أرى ماءً وبي عَطَشٌ شديد ... ولكن لا سبيلَ إلى الورود

ولـه:

إن لم أزركِ ولم أقنعْ بذكراكِ ... فللفؤاد طوافٌ حول مغناكِ

(1) الترجمة والشعر من الخريدة، وانظر تاريخ ابن ميسر ص: 74 ووردت القصيدة الثانية في تذكرة ابن العديم: 384.

يا ظبيةً ظلتَ من أشراكها علقاً — يومَ الوداع ولم تَعْلَقْ بأشراكي
رعيتِ قلبي وما راعيتِ حرمتَهُ — يا هذه كيف ما راعيتِ مرعاك
أتحرقين فؤاداً قد حللتِ به — بنار حبك عمداً وهو مأواك
يانفحةَ الريح من أرضٍ بهاشجني — هل للمحبِّ حياة غير ذكراك

* * *

20 ـ الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد اللخمي[1]

من شعره:

فلا أنتمُ للعهد تَرْعَوْنَ حَقَّه — ولا السلم يُرْجَى آخر الدهرِ منكمُ
فإن تقطعوا حبلي فإنيَ واصلٌ — وإن تنقضوا عهدي فإنيَ مُبرِمُ

* * *

21 ـ الفقيه أبو العباس أحمد بن أبي محمد الكلاعي[2]

أحد فقهاء صقلية ونبلائها، وكان أديباً شاعراً ظريفاً.

وله:

وقالوا التحى فانحطَّ نصفُ جمالِهِ — فقلتُ لهم بل زاد في حُسْنِهِ الشَّعْرُ
فلولا سوادُ العينِ ما كان نورها — ولولا ظلامُ العينِ ما حَسُنَ البدر

* * *

(1) من المختصر.
(2) ورد ذكره في المختصر وترجمته في ترتيب المدارك 8: 116.

22 ـ أبو العباس أحمد بن محمد بن الجزار[1]

صقلي مشهور مقدم ببلده، انفرد برئاسة الفتيا والشهرة بالخير والديانة والصيانة؛ كان من أهل التحقّق بالفقه والأصول، وبه تفقه أبو القاسم السرقوسي، ومتأخرو الصقليين، ولقيه أبو الوليد الباجي وابن عمار وغيرهما من الأندلسيين، قرين عبد الحق في رئاسة العلم بصقلية.

* * *

23 ـ أبو علي أحمد بن محمد بن القاف الكاتب[2]

لـه:

ولمـا رأيتُ النـاسَ لا خيـرَ عنـدهم   صددتُ وبيتِ اللّهِ عن صحبةِ النـاسِ
وصـرتُ جليسَ الفكـرِ مـا دمتُ فيهم   وأُعْلِمْتُ حُسْنَ الصبرِ فيهم مع الياس

ولـه:

سأُكْرِمُ نفسِي جاهداً وأصـونها   وإن قَرِحَتْ من ناظريَّ جفونهـا
ولست بـزوَّارٍ لمن لا يـزورني   ولا طارحاً نفسي على من يهينها

ولـه:

إذا مـا أراد المـرءُ إكـرامَ نفسِـهِ   رعـاهـا ووقّـاهـا القبيـحَ وزيَّنـا
وإن هـو لم يبخلْ بهـا وأهانهـا   ولـم يَرْعَهاكانت على الناس أَهْوَنا

ولـه:

حـدثـتُ خِلّي بـهـمٍّ   رجوتُ منه انفـراجي

(1) من ترتيب المدارك.

(2) من الخريدة.

وكـان سـرّي لـديـه   كـالـنـارِ والليـلُ داج

ولـه :

أيهـا الخـائف المكـا   رِهَ وطِّنْ لهـا الـحشـا
ربّ أمـرٍ كـرهـتَـهُ   نلتَ فيـه الـذي تشـا

***

24 ـ أبو الحسن أحمد بن نصر الكاتب[1]

فمن شعره قوله في قصيدة يعتـذر للمهدي بـالله [العبيدي] من أبيـات أولها :

يا من إليه عيونُ الناسِ نـاظرةٌ   يـرون تعظيمـه تعـظيمَ بـاريـه
إن كان وجدك عن ذنبٍ أتيتُ به   فـإن عفوَكَ يمحـو ذنبَ جـانيـه
أو كان ذلك عن واشٍ وَشَى كذباً   فـأنت عصمةُ من يُبْلَى بـواشيه
وإن يكن عبدك المحسودُ منقطعاً   ولـم يكن أهلَ ما قد كنت تـوليـه
فمـا تقـولُ لنعمى أنت واهبهـا   ومـا تقـولُ لعبـدٍ أنت هـاديـه
ومـا تقـول لصبـرٍ أنت مَعْـدِنُـهُ   ومـا تقـول لجـودٍ أنت واديـه
الله يـعلمُ أنـي لم أَدَعْ سـبـبـاً   إلاَّ بلغتُ الـذي ترضَى بـه فيـه
فـانظر إليَّ بعينٍ منـك راحمـةٍ   فقـد أذاب فؤادي مـا أقـاسيـه

وقـال أيـضـاً :

وصـافيـةِ اللونِ مشمـولـةٍ   مـجـلِّيـةٍ لـلأسـى طـارِدَهْ
إذا مُـزِجَتْ خلتَ في كـاسهـا   تُـخَـلِّلُ يـاقـوتـةٌ جـامـده

---

(1) من مختارات ابن الصيرفي ، وعنوان الأريب 1 : 128 (وفيه القطعة الأولى فقط).

وأحورَ لو أن عِرْسَ العزيز رأتـه لخرَّتْ لـه ساجـده
كـأن الـهلالَ لـه والـدٌ وشمسَ النهـار لـه والـده
فإن أنكرتْ ذاك شمسُ الضحى أقمنا محاسنَهُ شاهده
يسقِّي ويشدو على عُودِهِ ألا من شجتْ ليلةٌ عامده
ولا بـدَّ والله من سكـرةٍ تَسُرّ وتشْجَى بها الحاسده
ولا سيما مطرٌ مسعـدٌ وقد نامت الأعين الراصده
فلا تؤثرنَّ على قُرْبِنَا ولـذاتِ ليلتنا فائده
فإني أرى النوم في مثلها حراماً على الأعينِ الراقده

* * *

25 ـ أبو الفضل جعفر بن البرون الصقلي(1)

ذكر أنه أحد الأفراد في النظم المستجاد، وأورد من شعره ما يصف الراح ويصافي الأرواح، فمن ذلك قوله:

وساحرِ المقلتين تحسبُهُ من حُورِ عِينِ الجنانِ منفلتا
يبسمُ عن لؤلؤٍ وعن بَرَدٍ ما بين زَهْرِ العقيقِ قد نبتا
تكسفُ بدرَ السماءِ بهجته وإن رنتْ مقلتاهُ أسكرتا
فالوجهُ كالشمسِ مُذْهَبٌ شرق والصدرُ والجيد جوهرٌ نحتا
قلتُ له والغرام يعبثُ بي وناظري في سناهُ قد بُهِتا
بالله هل عَطْفةٌ تقربني منك فإن العذولَ قد شمتا
فقال عنّي إليكَ ثم [مضى] يسومُ ذا الشوقِ في الهوى عَنَتا
ومرَّ كالبدر في سماوته يختالُ في زهوه وما التفتا

---

(1) من الخريدة.

وقوله:

إني أبثك سيدي ما ليس يحمله بَشَرْ
مِحَنٌ كُتِبْنَ بمفرقي وافى بهنَّ ليَ القدر
عُلِّقْتُهُ ولم أكنْ أدري لعمرك ما الخبر
أبصرتُهُ في يَلْمَقٍ كالغصن أثمر بالقمر
فسطا عليّ بِجَوْرِهِ أكذا الكريمُ إذا قَدَر

وقوله:

حتى متى قلبي عليك عليلُ وإلى متى هذا الصدودُ يطولُ
أشكو إليكَ كأنني لكَ راغبٌ أن لا يكون عليَّ منك قبول
وإذا تعرَّضَ لي هواك بنظرةٍ أعرضتَ حتى ما إليك سبيل

وقوله:

ولولا أنني أغفو لعلّي ألاقي الطيفَ مزوَرَّ الجَنابِ
فأقضي من ذمامك بعضَ حقٍّ تقاصَرُ دونه أيدي الركاب
لما طعمتْ جفوني الغمضَ حتى يجدد عهدها منك اقترابي

* * *

26 ـ الأمير ثقة الدولة جعفر بن تأييد الدولة الكلبي(1)

كان أحد ملوك صقلية، كتب إليه بعض الكتاب:

أنت مولَى الندى ومولاي لكن ربَّ مولىً يجورُ في الأحكام

(1) من الخريدة، والمعروف بتأييد الدولة هو أحمد الأكحل.

قد وعدت الانعامَ فامنُنْ بإنجا زِكَ ما قد وعدتَ من إنعام

فكتب إليه:

حاشَ للّه أن أقصِّر فيما يبتغيه الوليُّ من إنعامي
أنا موفٍ بما وعدتُ ولكن شغلتني حوادثُ الأيام

* * *

27 ـ الأمير أبو محمد جعفر بن الطيب الكلبي[1]

أثنى عليه مصنف «الدرة الخطيرة» بالفضائل الكثيرة، وذكر أن بينهما مكاتبات وشدا منها طَرَفاً وطُرَفاً، وأورد من شعره قوله:

ما الصبر بعد فراقكم من شاني رحل العزاءُ برحلةِ الأظعانِ
ما كنتُ أحسبُ للمنية ثانياً فإذا الفراقُ هو الحمام الثاني
بعداً لذاك اليوم بعداً إنه أجرى دموعَ العين بالهملان
مِنْ ساترٍ دمعاً بفضلِ ردائه أو ممسكٍ قلباً من الخفقان
وألفتُ فيك الحزن حتى أنني لأُسَرُّ فيكَ بكثرة الأشجان

ومنها في المدح:

ملك إذا لاذ العفاةُ ببابه أخذوا من الأيام عَقْدَ أمانِ
يعطي الجزيلَ ولا يمنّ كأنما فرضٌ عليه نوافل الإحسان

وله من قصيدة:

أراها للرحيل مُثَوَّراتِ جمالاً بالجَمالِ مُحَمَّلاتِ
تتيهُ على الركائبِ في سُرَاها بأقمارٍ عليها طالعات

(1) من الخريدة، وذكره السلفي في معجم السفر: 28، 165 وكنّاه أبا الفضل.

ولـو نـظرتْ لمن تسـري إليـه		لصـدَّتْ عن وجـوه الغـانيـات
وسـارتْ والفـلاة لهـا ركـابٌ		كمـا كـانت ركـابـاً للفـلاة
ولم تعلقْ بشيءٍ غيـر شعـر		مـنـابتُـهُ بـأفـواه الـرواة
تمـرُّ على الميـاهِ ولم تَـرِدْهَـا		كـأن الـريّ في رَجَـزِ الحـداة
أقـولُ لهـا وقـد علقتْ ذميـلاً		بـأخفافٍ لـزجـري سـامعـات
سأنزلُ عنك في مرعىً خصيبٍ		ومـاءٍ بـاردٍ عـذبِ الفـرات
بأرضِ مُدَافعٍ [1] مأوى الأماني		وقتَّـالِ السنين المجـدبـات
فيحمل عنك همّي فوق طِرْفٍ		سبـوقٍ من خيـول سـابقـات
أغـرَّ تخـالُـهُ ريحـاً أعيـرت		قـوائمَ بـاللجين محجـلات
كسـاهُ الليـلُ أثـوابـاً ولكن		تـراهـا بـالصبـاح مـرقعـات
وحسبك مـا يُفـرِّقُ من نـوالٍ		بـأيـدٍ للمكـارم جـامعـات
فقـد أطمعتَ في جدواك حتى		سبـاعُ الطيـرِ من بعض العفـاة

ولـه من أخرى:

ضـحـوكٌ مـرةً جهـد وبـاكِ		وشـاكـرُ حـالِـهِ حينـاً وشـاك
ومـغتـبطٌ بعيـشٍ غيـرِ بـاقٍ		يـروم سـلامـةً تحت الهـلاك
ألا يـا حـارِ قـد حـارتْ عقـولٌ		وَغُلَّتْ بـالغليـلِ عن الحـراك
وقـد نصبتْ لك الـدنيا شبـاكـاً		فـإيـاك الـدنـوَّ من الشبـاك
وإن شيَّـدْتَ لي يـا حـارِ بيتـاً		فحاولْ أن يكونَ على السمـاك
وأبعـد إن قـدرتَ على مكـانٍ		فـإني والحـوادث في عـراك

ولـه في الغزل:

لقـد بليتُ بشيءٍ لستُ أعـرفـه		مولىً يجورُ على ضَعفي وأُنصفُهُ

---

(1) هو مدافع بن رشيد بن رافع الهلالي، كان أميراً على قابس وظل فيها حتى استولى عليها عبد المؤمن بن علي سنة 554.

مـا زال يطمعني لحظٌ لـه خَنِثٌ يمنٌّ بـالـوعـدِ سـراً ثـم يخلفـه
يـا رَبِّ زدني غرامـاً في محبتـه وَدَعْ فؤاديَ لـلأشـواق تتلفـه

ولـــه:

فـارقتكم لا عن قِلىً وتـركتكم رغماً على رغم الزمـانِ الجائـرِ
وفقدتكم من ناظري فوجدتكم لمـا أردتُ لقاءكم في خـاطري

ولـه في ذم الاجتداء من البخلاء:

وحقّكَ لو نلتَ النـوالَ مُعَجَّـلاً لغيـرِ سؤالٍ كـان غيـرَ جميـلِ
فكيف ومافي الأرض وَجْهٌ مُؤَمِّلٍ ولا يـرتجَى للجودِ غيـرُ بخيـل

ولـــه:

ألا سَكَنٌ إذا مـا ضقتُ يـومـاً سكنتُ إليه في شكوى همومي
يـوسِّـعُ صـــدرَهُ وأحــلّ منــه محـلَّ الجودِ من قلبِ الكـريم

ولـــه:

قـلت لـمـا لـم أجِـدْ لـي في كتـاب الـحبِّ صـدقـا
خـاب مـن كـان مـحـبـاً فـحـبـيـبٌ لـيس يـبـقـى

ولـه يمدح الرسول ﷺ:

يـا سيـدَ الـرسـل الـكـرا م ومـن أتى بـالـمـعـجـزاتِ
لـو لـم تكـن لـك غيـر مـا أوتـيتَ مـن حُسْـنِ الصفـات
لـقـهـرتَ كـلَّ مـعـانـد وعـلوتَ فـوق الـنـيـرات
لـك هـيـبـةٌ وجـلالـةٌ سـارت إلى كـلّ الجـهـات
ومـودةٌ تـلقـاك مـن كـلِّ الـعيـونِ الـنـاظـرات
صـلَّى الإلـه عـليـكَ مـا قَـطَرَتْ دمـوعُ الجـاريـات

***

28 ـ الأمير تاج الدولة وسيف الملة جعفر ابن الأمير ثقة الدولة ملك صقلية[1]

وجدت في تعليق للمصريين وقد كتب في سنة سبع وعشرين وخمسمائة: أحسن ما سمع لأهل عصرنا من الارتجال قول هذا الأمير وقد رأى غلامين على أحدهما ثوب ديباج أحمر وعلى الآخر ثوب ديباج أسود فقال:

أرى بـدرينِ قـد طلعـا عـلى غُصْـنَيْـن في نَـسَقِ
وفي ثـوبين قـد صُبِغَـا صبـاغَ الخـدِّ والحـدَق
فهـذا الشمسُ في شفـقٍ وهـذا البـدرُ في غَـسَق

وقال وأمر أن يكتب على طوابع الند:

إن مَسَّتِ النـارُ جسـمي أبـديتُ طيبَ نسيمي
كـالـدهـرِ إن عضَّ يـومـاً أبـانَ فـضـلَ الكـريـم

وقال في مثله:

اصبرْ على الشوقِ صبري عـلى مـلاقـاةِ جـمـرِ
وَطِـبْ كـطيـبي إذا مـا نـالـتـك سـطوةُ دهـر

ولـه:

هيهاتَ يؤلمني الزمانُ فأشتكي وهـو الـذي من سَـطْوَتي يتـألمُ
وعـزيمتي مـا إن يثلَّم غَـرْبَهـا خَـطْبٌ على أن الحـديـد يثلَّمُ

* * *

(1) من الخريدة والمنتخل والمغرب ونقل ما قاله ابن القطاع فيه: «ملك عظيم وجواد كريم وفد عليه الشعراء والعلماء من كل مكان فأعلى منزلتهم وأجزل صلتهم وكان الشعر أقل مراتبه»، وأوردت المصادر الثلاثة القطعة الأولى كما وردت القطعة نفسها في تذكرة ابن العديم: 251 «قرأت بخط الشيخ أبي عمر عثمان بن علي الأنصاري الصقلي».... ونقل ما ذكره ابن القطاع.

29 ـ جعفر بن علي بن محمد السعدي الصقلي اللغوي أبو محمد المعروف بابن القطاع(1)

أحد العلماء باللغة، المبرز فيها، المتصرف في علم العربية القادر عليها، وله في الترسل طبع نبيل، وفي المعاني ونقد الشعر حظ جزيل؛ فمن شعره قوله من قصيدة يتغزل فيها، أولها:

بثينة قد والله زادت بيَ الحالُ   وأرقني شوقٌ إليك وبلبال
أكابدُ هذا الليلَ أرعى نجومَهُ   يسامرني فيه همومٌ وأوجال
فقد صار قلبي للصبابةِ موطناً   معاهدها فيه غُدُوٌّ وآصال
فوالله لا أشكوكِ ما هبَّتِ الصَّبا   ولو كثرت فيَّ الأحاديثُ والقال
لعلَّ يد الدهرِ البخيلِ تضمنا   فللدهر فيئاتٌ تَكُرُّ وإقبال

ومن شعره قوله:

لما استقلوا للرحيل ضحىً   وتضاعف الزفراتُ والكربُ
أخفيتُ شخصي عن وداعهمُ   حَذَرَ الرقيب فودَّعَ القلبُ

وشعره كثير، وقد كان في وسط المائة الخامسة موجوداً بصقلية.

* * *

30 ـ القاضي أبو الفضل الحسن بن إبراهيم بن الشامي الكناني(2)

وله من قصيدة مرثية:

فلا البؤسُ مدفوعٌ بما أنت جازعٌ   ولا الخيرُ مجلوبٌ بعلمٍ ولا فَهْمِ

---

(1) هذه الترجمة من انباه الرواة 1 : 265 (رقم: 167) والمقطوعة الأولى وردت أيضاً في المنتخل والثانية في المغرب.

(2) انظر المكتبة الصقلية: 115 والخريدة، وكان معاصراً لابن سدوس النحوي.

وإن الحريصَ الغَمْرَ ملقيه حرصُهُ　　إلى حرِّ نارٍ غيرِ واهيةِ الرضم
تعلَّمْ بأنِ الموتَ أزينُ للفتى　　وأهونُ من عيبٍ يَشينُ ومن وَصْمِ

* * *

31 ــ أبو عبد الله الحسن بن أبي الفار[1]

من شعره:

أرى المعسكرَ قد صُفَّتْ مواكبُهُ　　فجمعت كلّ امحال تحارِبُهُ[2]
قضبانها الملدُ أرماحٌ أسنتها　　ثمارها وسواقيها قواضبه

* * *

32 ــ الحسن بن أحمد الكاتب[3]

من شعره:

انظر إلى ورد المعسكر قد كَسَا　　أشجارَهُ نَوْراً يخيِّلُ نارا
جادَ الربيعُ لنا به فكأنما　　سلبَ الخدودَ وألبس الأشجارا

* * *

33 ــ أبو علي حسن بن عبد الله الحمامي[4]

من شعره:

طاش الفؤاد فليت شعري هل يُرَى　　بقرارِهِ هذا الفؤادُ الطائشُ

---

(1) من المختصر.
(2) المعسكر من ضواحي بلرم، كان مشهوراً بالعيون.
(3) من المختصر.　(4) من المختصر.

رِشْنِي فقد حُصَّ الجناح وليس لي   يــا سيــدَ الأجــوادِ غيــرَك رائشُ

***

34 ــ أبو علي حسن بن عبيد الله الطرابنشي[1]

من «الدرة»؛ له في بدو الشيب:

وزائـــرةٍ لـلشيـب حَلَّتْ بـعـــارضــي   فعـاجلتها بـالنتفِ خـوفـاً من الحتف
فقالتْ على ضعفي استطلتَ ووحدتي   رويدكَ للجيشِ الذي جـاءمن خلفي

ولـــه:

أتـدري ما يقـولُ لـك العـذولُ   وتـدري مـا يـريـدُ بمـــا يقـولُ
يـريد بـكَ السلوَّ وهـل جميـلٌ   سلوك عن بثينـةَ يــا جـميـــل

ولـه من قطعة:

يا ربة الهـودج المزوَرٌ كيف لنــا   بالقرب منكِ وهل في وصلكم طَمَعُ
إن تبذلي فانبجاسُ الماء من حَجَرٍ   أو تبخلي فَمَنَالُ الشمسِ يمتنع

***

35 ــ القائد أبو محمد الحسن بن عمر بن متكود

له يصف النيلوفر[2]:

كـؤوسٌ مـن يــواقـيــتٍ   تـفـتّــح عـن دنــانـيــرِ

---

(1) من الخريدة والمغرب، والطرابنشي نسبة إلى طرابنش مدينة بصقلية.

(2) القطعة الأولى من الخريدة والثانية من المختصر، ومتكود بـالتاء المثناة ويكتب في بعض المصادر «مطكود».

وفي جَنَباتها زَهَرٌ كألسِنَةِ العصافير

ولـه:

وفاترةِ اللواحظِ مازحتني وفي أحشائها للوجدِ نار
وقالت كيف تطمعُ في وصالي وقد أيقنتَ أن اسمي نوار
فقلتُ أما تقدم منك وعد بوصلٍ شفَّني منه انتظار
فوفِّي ما وعدتِ به فقالتْ كلامُ الليلِ يمحوهُ النهار

* * *

36 ــ أبو عبد الله الحسن ابن القائد[1]

من أبناء قواد السلاطين، وتصرف في الأعمال وسافر إلى مصر، وأنشد له ابن القطاع:

وإذا رماحك أُشْرِعَتْ فكأنها من حول أُسْدِ كُمَاتِكَ الآجامُ
وكأنما انسلخت هناك أراقمٌ وكأنما باضَتْ هناك حمام

* * *

37 ــ أبو علي الحسن بن محمد الكاتب[2]

أنشد له ابن القطاع وكان جواداً:

ذروني وأموالي التي قد جمعتها أُقَدِّمُ لي نصفاً وأرتَعُ في النصفِ
إذا كان أموالي عليَّ حسابها فمالي إذا وَلَّيْتُ أتركها خلفي

* * *

(1) من المغرب، وعده من العمال.
(2) من المغرب.

38 ـ أبو علي الحسن بن محمد الكاتب المعروف بابن الأضبطي[1]

أحد الكتّاب الأفراد، والكرماء الأجواد، وأكثر شعره في الحث على اقتناء المحامد، وبذل الطارف فيها والتالد، فمن ذلك قوله:

أنا في المعسكر مفردٌ في جحفلٍ   من نَوْحِ قُمْرِيٍّ ورنـة بلبـلِ
فكـأنما يُلْقِي عليَّ بصـوتـه   نغماتِ معبدَ في الثقيلِ الأول
وإذا تكـاملت المسرةُ لامـرىءٍ   وأليفُـهُ متخلِّفٌ لم تكمـل

***

39 ـ الغـاون الصقلي[2]

هو أبو علي حسن بن واد الملقب بالغاون. وجدت في شعره لحناً كثيراً.

لـه من قصيدة:

وكم من رفيع حَطَّهُ الـدهر للتي   تضعضع منه الحالَ بعد تسـامِ
وكم خاملٍ في الناس أمسى مرفّعاً   تـرقّى إلى العلياءِ كـلَّ سنـام
فتعسـاً لدهـر حط علو مـراتبي   وقـلَّلَ إخـواني وأكـثـرَ ذامي
إذا اخضرَّ يوماً منه للمرء جانب   غـدا فجـلا للعين كفَّ لـثـام

ولـه:

ألا لا تَكُنْ في الهـوى ظـالمي   فـمـا قَطُّ أفـلحَ مـن يـظلمُ

ومنهـا:

ألا في سبيـل الهـوى ميتـتي   ومـثلك فـي الحـبِّ لا يـظلم

---

(1) من المختصر.   (2) من الخريدة.

إليك استنمتُ فما قد ترى		أتُنْعِمُ بالوصل أم تَصْرِمُ
ألا آرحمْ عُبَيْدَكَ هذا الضعيفَ		فكلٌ رحيم له يرحم
ولا تك بالجورِ مستكبراً		فإني لك الدهرَ مستسلم

***

40 ـ أبو عبد الله الحسين بن أبي علي القائد(1)

فمن شعره قوله يصف العود [من أبيات يقول فيها]:

ومعاهدٍ آنسنني بأوانسٍ		يدنو السرورُ بها وفيه شُطُونُ
خُمْصِ البطونِ صدورها أفواهها		جُعِلَتْ لها بدلَ النهودِ عيون
وذواتِ ألسنة أسرَّ حديثها الشـ		ـاجي وأفصح قولها الملحون
يصدرن عنها عن صدورٍ ما بها		مما تثير من الحديث دفين
مضمومةٍ ضمَّ الحبيب مجمَّشٌ		منها صدور تارةً وقرون
يُضْرَبْنَ عند عناقهنّ فمن رأى		أن العقاب مع العِناق يكون
فكما ضُرِبْنَ وما لهنَّ جنايةٌ		فكذا لهن وما أَلِمْنَ أنين
تدعو بألسنها السرورَ كما دعا		حُسْنَ الثناء بجوده سرفين

وقوله من قصيدة يمدح فيها الأمير تأييد الدولة وعميدها أحمد بن ثقة الدولة [بغزوة] ويهنئه فيها:

على العادات فاجْرِ مع الأعادي		ونادِ يُجِبْكَ منهم كلّ ناد
فما لحصونهم منكَ امتناعٌ		ولو أن البناءَ بناءُ عاد
فكم من معقلٍ للعين سام		سلكتَ إليه منهاج الرشاد

(1) من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1: 130 ـ 131).

وقـد حارتْ نفـوسُ القومِ فيـه		إلى أن قـام فيهم منـكَ هـاد
فأصعدتَ الخيول إلى الروابي		وأنـزلت الـوعـولَ إلى الـوهـاد
وكم أخـرجتَ منهـا من كمين		ومن عَضْب ومن طِـرْفٍ جـواد
يغـل يـديـه خـوفُـكَ عن شبـاه		ويُضْحِي كـالموثَّقِ في صفـاد
رَقُـوا في حيث لا تَـرْقَى إليهم		فأصعدت المنون على الصعاد
لقـد أوردتهم بـالسيفِ مـاءً		به ارتوتِ الطُّلَى وهم صَوادي
كـأن رؤوسهم كـانت نبـاتـاً		أبـادتـه سيـوفُـكَ بـالحصـاد
وكم أهـدى إليك من الـدراري		حسامُكَ حين مَرَّ على الهوادي
وأمـا رومـةٌ فـإلى قـريـبٍ		تُصَبِّحهـا بـداهمـةِ الحـداد
عبيـدك مَنْ تؤمّ من الأعـادي		وأرضُـكَ مـا تـرومُ من البـلاد
فدونك يا عميدَ الملك فـاعمدْ		تَنَـلْ إن رمتهـا ذاتَ العـمـاد
صـرفت عن الأغاني والغـواني		هـواك إلى العوادي والأعـادي
وقـدَّمْتَ الركـابَ على كَعَـابٍ		مخضبـةِ الترائبِ بـالجسـاد
وكم بـاتت جفونُـكَ ساهـرات		سهـاداً يقتضي طيبَ الـرقـاد
ومن يـكُ في اللذاذة ذا اجتهـادٍ		فـإنـك ذو اجتهـاد في الجهـاد
وبين يـديـك طـاعَنَ كـلُّ قـرنٍ		وهـا أنـا طـاعنٌ بشبا الـوداد
ومن شـام الـظبـا منهم فـإني		أُشيم ظبـا ثنـائي واعتقـادي
يـداك البحر تَـدْفُقُ بـالمنـايـا		وأخـرى تستهـانُ بهـا الأيـادي
ومـا بـدعٌ تخـالف حـالتيـه		ففي أسـرارها مـا في الغـوادي
لقد أضحكت أحوال المعـالي		صَـلاحاً لا يخـافُ من الفسـاد

***

41 ـ أبو علي الحسين بن أحمد الكاتب[1]

من شعره قوله:

يا شراباً من رقةٍ كالسرابِ ... راحتي في ارتشافه وعذابي
ناولتني ما أسأرته بكأسٍ ... كمشيبي ونشوةً كالشباب
صان منها الزجاجُ مثلَ الذي صا ... ن من الوجنتين شفُّ النقاب
فكأن الزجاجَ دمعُ التجني ... وكأن المدامَ خمر التصابي

ولـه:

وكأسٍ من الماءِ مخروطةٍ ... تنير لها مثل نُوْرِ النهارِ
تبدت وفي وسطها جَمْرَةٌ ... تكاد تصدِّعها بالشرار
فحسبك من عَجَبٍ ما تراه ... بتاليف ما بين ماءٍ ونار

وقولـه:

لا تحسبي أن دمعَ العينِ غيرُ دمي ... وإنما نَفَسي العالي يُصَعِّدُهُ
فأبيضُّ حرُّ جمرٍ بات يطبخه ... لو أطفىء الجمر لم يَذْهَبْ تورده

* * *

42 ـ أبو علي الحسين بن أحمد بن محمد بن زيادة الله السعدي[2]

شاعر شريف الأصل، جامع لأدوات الفضل، فمن شعره قوله [من قصيدة يتغزل]:

لولا صعوبةُ أبوابٍ وحراسٍ ... ومفصحاتُ قيودٍ ذات وسواس

(1) من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1: 129 ـ 130).
(2) من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1: 127 ـ 128).

وخيفةٌ من عيونٍ غيرِ غافلةٍ　　للناس قد وكلت بالرعي للناس
لجئتُ نحوكِ زواراً على شَغَفٍ　　إما على الوجه أو أسعى على الراس
حتى نكونَ جميعاً من تواصلنا　　كالخمر والماء ممزوجين في كاس

* * *

43 ـ رزيق بن عبد الله الشاعر (1)

كان محارَفاً، ولم يزل حرمانه يضعف حظه متضاعفاً، بره بعض الرؤساء بدنانير وظنه أنه يغنيه، فلما عاد إلى بيته وجد لصاً قد سرق جميع ما فيه، فقال:

محاني الله من ديوانِ سَعْدِهْ　　وأيأسَ راحتي من نَيْلِ رِفْدِهْ
إذا ما السعدُ أسعفني بشيءٍ　　يقومُ النحسُ محتسباً بردِه

* * *

44 ـ أبو الضوء سراج بن أحمد بن رجاء الكاتب (2)

أحد من كانت بينهم وبين الحكيم أبي الصلت مكاتبات.

هذا الفاضل لم يقع إليَّ من شعره شيء لكنني أحببت ذكره بإثبات ما قيل فيه، وشهادة ذلك على قدره النبيه، وإن سمح الدهر الضنين بعد هذا بشيء من فوائده اغتنمت إثباته، وجمعت في هذا المؤلف شتاته. ثم وقع بيدي كتاب ألفه ابن بشرون الكاتب بصقلية في عصرنا هذا ووسمه بـ «المختار في النظم والنثر لأفاضل العصر» وذكر فيه الشيخ أبا الضوء سراجاً، وأوضح من محاسنه الغر ومناقبه الزهر منهاجاً، ووصفه بصحة التصور وصدق التخيل وسداد الرأي وحدة الخاطر وأن شعره بديع الحوك رفيع السلك.

---

(1) من الخريدة.

(2) من الخريدة 1 : 275.

ومنه أن الفقيه عيسى بن عبد المنعم الصقلي كتب إليه يستعير كتاباً:

لنا حاج وأنت بها مليٌّ ورأيك بالسماح بها عليٌّ
فإن وافتْ فذلك ما ظننا وأشبه أهلَه الفعلُ الزكي
وإن يعتاقها مَنْعٌ فقل لي إلى من يُنْسَبُ الفعل الرضي

فأجابه أبو الضوء:

ألا لا خاب فاضلنا الحفيُّ وأعشى الأعينَ القمرُ المضيّ
وما خابت بما شامتْ نفوسٌ شفى غلاتها جودٌ وري
من الحبر الذي وافى كريماً أعيسى المجد أم عيسى النبي
وكيف بدا وما إن حان حشر وكلُّ مواتِ هذا الخلق حي
رويدك رُبَّ خوّارٍ ضعيفٍ غدا وهو القويُّ القسوري
أعِدْ نظراً وحلّ بحسنِ ظنٍّ عتاباً سلكه تلك الحلى
ألا خذها وداداً لا عناداً أجَدَّ صفاءها قلبٌ صفي

وقال أبو الضوء في رمد الحبيب والبيت الأخير تضمين:

قالوا حبيبي أصابه رمد جفا الكرى جفنَهُ لما وجدا
يا ليتني كنتُ دونه وله نفسي فداء وقل ذاك فدا
مَرَّ فأبدى احمرارُ وجنته من دم قلبي هواه ما وجدا
فراعني بهجةً وأدهشني فظلت أدعوه منشداً غردا
يا رَمِدَ العينِ قف بساحتنا كيما نداوي من جفنك الرمدا

وله من مرثية في ولد رجار الإفرنجي صاحب صقلية أولها:

بكاء وما سالت دموعٌ وأجفانُ شجونٌ وما ذابت قلوبٌ وأبدان

ومنها:

خبا القمر الأسنى فأظلمتِ الدنا وماد من العلياءِ والمجدِ أركانُ

أحين استوى في حسنه وجلالِهِ وتـاهتْ به أوطـارُ عـزٍّ وأوطـان
تخـطفه ريبُ المنـون مختـالاً على غِـرَّة إن المنـون لخــوان
كذلك أعـراض البدور يعـوقها إذا كملت من حادث الدهر نقصان
لحقّ بـأن يبكى عليـه بـأدمـعٍ لها في مسيل الخد در ومرجـان
وتحـرقَ أكبـادٌ وتمـرضَ أنفس وتعـظم أتـراحٌ وتكبـر أشجـان
وتبتـاع أحزان وتهمي مـدامـع وتجمـع أمـواه غــزار ونيـران

***

تبكت لــه خيمـاتـه وقصـوره ونـاحت عليه مـرهفاتٌ ومـران
وعاد صهيلُ الخيلِ في لهواتها حنينـاً وعـاقتهنَّ لجمٌ وارسـان
ومـا ناح وُرْقُ الأيـك إلا لـه فلو درت لبكتْ قبل الحمائم أغصان
فيـا لك من رزء عـظيم وحادثٍ يعــزّ لـه صبـر ويعــوز سلوان
ويـا يومَـهُ ما كـانَ أفظعَ هـولَـهُ تشيبُ لمـرآه المـروعِ ولـدان
كـأنَّ منادي البعث قـام منـاديـاً لحشرٍ فهب الخلق طراً كما كانوا
وقد ضاق رحب الأرض بالخلق فالتقت جموعهم مرجـاً رجال ونسـوان
وشُقَّتْ قلوبٌ لا جيوبٌ ورُجِّعَتْ بـلابلُ وارتجت نفـوسٌ وأذهان
وكانوا بلبس اللهو بيضاً حمائماً فعادوا وهم في ملبس الحزنِ غربان

***

45 ــ سليمان بن محمد الطرابنشي[1]

من شعراء «الدرة»، ذكر أنه سافر إلى إفريقية وانتقل إلى الأندلس وتوطنها،

(1) من الخريدة والمختصر ومعجم البلدان (مادة: طرابنش)، والجذوة والذخيرة لابن بسام (4: 120)، وقال ابن بسام: من أهل العلم والأدب والشعر، وفد على الأندلس سنة أربعين وأربعمائة، وقصد بمديحه عدداً من الرؤساء، وتقدم بفضل أدبه عند الكبراء.

واتخذها لمخالطة ملوكها سكناً؛ ومن شعره قوله من قصيدة:

نَبَّهْتُـهُ لمـا تـغنَّـى الحـمـامْ ... ومـزَّق الفجـرُ قميصَ الـظلامْ
فـقـلتُ قُـمْ يـا بـدرَ تِـمّ أَدِرْ ... في فَلَكِ اللهوِ شموسَ المـدام
فقـام نشـوانَ وَسَمْـكُ الكَـرَى ... لم يـرتفعْ [عن] مقلتيـه النيـام
ومـجَّ فـي الـدنِّ خَـلُوقـيَّـةً ... عتَّقهـا في الـدنِّ طـولُ المقـام
لاحت تحـاكي ذهبـاً خـالصـاً ... دار مـن الـدرِّ عليـهـا نـظام
بـنتُ عـنـاقيـد إذا خامرت ... شيخـاً أعـارتـه مُجـونَ الغـلام
يـا هـل لعيشٍ معـه أَوْبَـةٌ ... تعيـدُ في وجـه حيـاتي ابتسـام

ولـه من قصيدة:

أَجِرْ جفونيَ من دمعٍ ومن سَهَرٍ ... وأضلعي من جوىً فيهن مستعرِ
جرى عليَّ بما شاء الهوى قَـدَرٌ ... يا قومُ ما حيلةُ الإنسانِ في القدر
ماكنتُ أَحسَبُ دمعي سافكاًلدمي ... حتى أبحتُ لعيني لـذَّةَ النـظر
رميتُ نبلاً أصابتني فلستُ أُرَى ... يوماً أعاودُ ذاك النزعَ في وَتَـري

ولـه:

سبحـانَ من صاغ الأنـامَ بقدرةٍ ... منـه وأفـرد بـالمـلاحـةِ جعفـرا
حَمَلَ المحاسنَ كلَّها مجموعـةً ... في وجهه كالصيدِ في جوفِ الفَرَا

ولـه:

ووردیـةٍ من بنـاتِ الكـرومِ ... كسـاها النحـولَ مـرورُ الحقبْ
رأت أيـديَ الشـرب من فضـةٍ ... فصـاغت أنـامِلَهُمْ مـن ذهب

ولـه يصف شمعة:

ولا مسعـدٌ إلا مُسَـامِـرةٌ سَخَتْ ... بدمعٍ ولم تُفْجَعْ ببينٍ ولا هَجْر

تكـونُ إذا مـا حلَّتِ القــر حلةً على أنها لـم تبلغ ِ الباعَ في القدر
إذا ألقيتْ بالموتِ بادرتُ رأسَهَا بقطع ٍ فتستحيـي جديداً من العمر
حكتنيَ في لـونٍ وحزنٍ وحُـرْقَةٍ وفي سَهَرٍ بَرْحٍ وفي مدمع ٍ همر

ولـه في عذول قبيح :

رأى وجهَ من أهوى عذولي فقال لي أعيــذُكَ من وجـهٍ أراه كـريـها
فقلتُ لـه بـل وجـه حِبِّي مـراءَةٌ وأنت تـرى تمثالَ وجهِـكَ فيهـا

ومـن شـعــره :

تقلَّبَ دهــرنـا فــالصقـرُ فيــه يـطالبُ فَضْـلَ أرزاقِ الحمـام ِ
على الـدنيا العفـاءُ فقد تنـاهى تســرُّعُهَـا إلى أيـدي اللئــام
ومــا النعمـاءُ للمفضــول ِ إلا كمثـل ِ الحَلْي ِ للسيفِ الكَهَام
ذروني أجعـل ِ الترحـالَ سلكـاً أُنـظِّمُ فيـه ساحـاتِ المـوامي
فـإني كالـزلال ِ العـذبِ يؤذي صفــاهُ وطعمَـهُ طـولُ المقـام

***

46 ــ أبو الفضل طاهر بن محمد الرقباني الصقلي اللغوي(1)

من أهلها المقيمين بها، تغلبيّ يدعى الوزير، لم يكن في زمانه أعلم منه بلغة العرب وكلامها، ونثرها ونظامها. وكان رئيساً مقدماً جليلاً معظماً، وقصدته العلماء من كلِّ مكان، فلقوا منه بحراً خِضْرِماً، وانتجعته الشعراءُ فوردوا قليباً. وله شعر كان يخفيه، منــه :

* ألا أيهـا القاضي الـرفيعُ منـارُهُ ويا واطئاً مجداً مناطَ الكـواكبِ

---

(1) ترجمته من إنباه الرواة 2 : 94 (رقم: 311) وأورد له القطعة الأولى أما الثانية فقد وردت في المختصر والثالثة من مختارات ابن الصيرفي.

أغثني برأيٍ منكَ يُفْـرِجُ كربتي وَحُلْ محسناً بيني وبين النوائب
ودارَكْنِي نحس الـزمـان فنحِّـهِ فما زلتُ قِرْناً للزمانِ المحـارب
وعش سالماً للجود ترأبُ صَدْعَهُ طوالَ الليالي منعماً غير سـالب

ولــه:

رأى الناسُ فوق المجدِ مقدارَ مجدكم فقد سألوكم فوق ما كان يُسْـأَلُ
وإن أنـتمُ أنـعمتمُ وبــذلـتـمُ فقـد يستتمُّ النعمـةَ المتفضـل
وإن كنتم أوليتمـونـا بفضلكم جميلاً فإن العَوْدَ بالفضلِ أفضل
وكم ملحفٍ قد نال منكم مُرادَهُ ويمنعنـا من أن نلحَّ التجمـل

ولــه:

كـاتبت من أهـواه مستعـديـاً لـطول مـا ألقـاه من ظُلْمِـهِ
فـوقَّـعَ المـاجنُ مستهـزئـاً يُكْشَفُ في الـديوانِ عن زعمـه
وكـان في الـديـوان ذو صَبْـوَةٍ قـد نـالتِ الأسقـامُ من جسمـه
فـردَّ مـا نقــطعُ رسمـاً مضى فليبقَ مـوقـوفـاً على رسمـه

47 ــ أبو محمد عبد الجبار بن حمديس[1]

أعظم شعراء صقلية وأحسنهم معاني وأحقهم بالطبقة العالية. وفد على المعتمد بن عباد وقد تقدم له هنالك من الشعر ما يعنون عن طبقته. وأبدع شعره قوله:

بـاكـرْ إلى اللذاتِ واركبْ لهـا عـواديَ اللهـو ذواتِ المـراحْ
من قبلِ أن تشربَ شمسُ الضحى ريقَ الغـوادي من ثغورِ الأقـاح

(1) هو بحق أكبر شعراء صقلية، وله ديوان مفرد، قمت بتحقيقه والتقديم له سنة 1960، وإنما أثبت ذكره هنا لينتظم في سياق سـائر الصقليين.

قـولــه:

ومـطَّردِ الأحشـاءِ تصقـلُ متنَـهُ صَباً أعلنتْ سرَّ الذي في ضميرِهِ
جريحٌ بأطراف الحصى كلَّمَاجرى عليهـا شكا أوجـاعَـهُ بخـريـره
كـأن حُباباً ريـع تحت حَبـابـه فـأسرع يلقي نفسَـهُ في غديـره

* * *

48 ـ عبد الجبار بن عبد الرحمن بن سرعين الكاتب[1]

له في حاسد:

وحـاسـدٍ لا يـزال مني فؤادُهُ الـدهرَ في اشتعـالِ
كـاتبُ يمنـاهُ مثـل حـالي ومـثله كـاتـبُ الشـمـال
ذلـك في راحـةٍ وهـذا في تعبٍ منـه واشتغـال

ولــه:

يــا بــدرَ تِمٍّ على غُصْنٍ من الآس ألا يــرقُّ لقلبي قلبُـكَ الـقـاسي
ما لامني الناسُ إلا زدتُ فيكَ هوىً قلبي بحبِّـكَ مشغـولٌ عن النـاس

* * *

49 ـ عبد الجليل بن مخلوف الصقلي أبو محمد[2]

حدث عن عبد الملك الصقلي، يروي عنه الشيخ أبو محمد عبد القادر القروي.

* * *

(1) من الخريدة.
(2) من ترتيب المدارك.

50 ـ عبد الحق بن الحسن بن عبد الله الصقلي(1)

سمعت أبا محمد عبد الحق بن الحسن بن عبد الله الصقلي بالثغر يقول: سمعت أبي أبا عليّ بمدينة صقلية يقول: التفسُّحُ على الحقيقة في مالِ الغيرِ ضيقة.

عبد الحق هذا رجل من أهل الصلاح خرج من صقلية متوجهاً إلى الله تعالى ومهاجراً لاستيلاء الروم عليها وحج ثم أقام بالإسكندرية، وكان يلازم الصلوات عندي ويحضر كثيراً لسماع العلم والحديث، ولم يكن يتظاهر بالغنى ولما توفي وجدوا له مالاً وافراً ولم يوجد له وارث فأخذ إلى بيت مال السلطان.

* * *

51 ـ الفقيه أبو محمد عبد الحق بن محمد بن هارون التميمي القرشي(2)

من أهل صقلية، تفقه بشيوخ القرويين والصقليين، فمن شيوخه بصقلية: أبو بكر بن أبي العباس، والفقيه أبو بكر الفاسي، وأبو عبد الله بن الأجدابي، وأبو عبد الله مكي القرشي؛ وتفقه مع التونسي، والسيوري، وبابن بنت خلدون، وغيرهم. وحجَّ مرتين، فلقي في إحداهما أبا محمد عبد الوهاب ابن نصر، وأبا ذر الهروي، وحج أخيراً بعد أن أسنَّ وكبر، وبعد صيته فلقي بمكة ـ إذ ذاك ـ إمام الحرمين أبا المعالي، العالم المتكلم، وذلك بعد الخمسين، فباحثه [عن أشياء]، وسأله عن مسائل أجابه عنها أبو المعالي، وهي مؤلفة مشهورة في أيدي الناس، وكان عبد الحق يعترف بفضله، ويقول: لولا كِبَرُ سنّي، ما فارقت عتبةَ منزله، وكان الآخر يجله ويعترف بفضله، سمعت

---

(1) هذه الترجمة من معجم السفر.

(2) ترجمته في ترتيب المدارك 8: 71 ـ 74، وله ترجمة في الديباج المذهب 2: 86، وشجرة النور الزكية: 116 والقطعة الأولى في المختصر أيضاً.

شيخنا أبا القاسم عبد الرحمان بن محمد يقول: وكان رآهما إذ ذاك ـ بالحجاز ـ إنهما اجتمعا للصلاة، فقدمه أبو المعالي وهو شافعي المذهب. وتكرر عبد الحق بعد هذا ببلاد مصر ـ إلى أن توفي بها ـ وكان فقيهاً [فهماً] صالحاً ديناً مقدماً، بعيد الصيت شهير الخير، مليح التأليف. وألف كتاب «النكت والفروق لمسائل المدونة» ـ وهو من أول ما ألف ـ وهو مفضَّلٌ عند الناشئين من حُذَّاق الطلبة، ويقال: إنه ندم بعد ذلك على تأليفه، ورجع عن كثير من اختياراته وتعليلاته فيه، واستدرك من كلامه فيه، وقال: لو قَدَرْتُ على جمعه وإخفائه لفعلت، أو نحو هذا. وألف أيضاً كتابه الكبير «النكت»، وله استدراك على «مختصر البراذعي»، وكان له حظ من الفروع والأصول، وله عقيدة رويت عنه، وله جزء في ضبط ألفاظ المدونة. وذكره ابن عمار المتكلم فقال: مشهور بكل علم متقدم، مدرس للأصول والفروع. وذكره ابن سعدون فقال: كان من الصالحين المتقين، فيه وقار أهل العلم وسكينتهم وإذعانهم المحق، كثير الإنصاف.

وأنشد له ابن القطاع من شعره:

أرى فتنَ الدنيا تزيدُ وأهلها ... يخوضون بالأهواءِ في غَمْرَةِ الجهلِ
فما إن يُرَى من مُخْلِصٍ ذي بصيرة ... وما إن يرى من صادقِ القولِ والفعل
فيا سوءَ حالي حين أصبحتُ فارغاً ... ولم أدَّخر زاداً وما زلتُ في شغل

وله يرثي ابنه عمران:

أراك قريباً واللقاءُ بعيدُ ... وجسمك يبلَى والزمانُ يُبيدُ
وما كان يا عمرانُ في الظنّ أنني ... أراك مقيماً في التراب تبيد
ولا أنني أبقى وراءك ساعةً ... أعايَنُ موجوداً وأنت فقيد
سأصبر في الدنيا ـ بنيَّ ـ لعلني ... ألاقيك في الأُخرى وأنت سعيد

وتوفي عبد الحق بالإسكندرية بعد الستين وأربعمائة.

* * *

52 ـ عبد الحليم بن عبد الواحد[1]

[السوسي] الأصل، الافريقي المنشأ، الصقليّ الدار، سكن مدينة بَلَرَمَ، واستدر من ذوي كَرَمها الكرم، وله نظم كالعقود، وحلب كالعنقود.

لـه في صقلية:

عشقتُ صقليّةً يافعاً وكانت كبعض جنانِ الخلودِ
فما قُدِّرَ الوصلُ حتى اكتهلت وصارت جهنمَ ذاتَ الوقود

ونسب إليه هذه الأبيات وهي مشهورة جداً:

قالت لأترابٍ لها يشفعنَ لي قولَ امرىءٍ يُزْهَى على أترابِهِ
وحياةِ حاجتِهِ إليَّ وفقرِهِ لأواصلنَّ عذابه بعذابه
ولأمنعنَّ جفونه طَعْمَ الكرى ولأمزجنَّ دموعه بشرابه
لِمْ باح باسمي بعدما كتم الهوى دهراً وكان صيانتي أوْلَى به

ونسب إليه أيضاً هذه الأبيات:

شكوتُ فقالت كلُّ هذا تبرماً بِحُبِّي أراح الله قلبَكَ من حبي
فلما كتمتُ الحبَّ قالت لَشَدَّ ما صبرتَ وما هذا بفعل شَجِي القلب
وأدنو فتقصيني فأبعدُ طالباً رِضاها فتعتدُّ التباعدَ من ذنبي
فشكوايَ تؤذيها وصبري يسوءها وتَحْرَجُ من بُعْدي وتنفرُ من قربي
فيا قومُ هل من حيلةٍ تعلمونها أشيروا بها واستوجبوا الأَجْرَ من ربي

وقال:

كررتُ لحظيَ فيمن لحظُهُ سقمي فقال لي فيمَ تكرارٌ وترداد

(1) من الخريدة ومعجم السفر: 145، 158 ـ 159.

فقلت عيناك مَرْضَى يا فديتهما | فلا تَلُمْ لحظاتي فهيَ عُوَّادُ

وأنشدني الفقيه الأديب أبو محمد عبد الله بن أبي سعيد الأنصاري الأندلسي[1] النحوي بمصر، أنشدني عبد الحليم بن عبد الواحد السوسي بصقلية لنفسه وكتب لي بخطه:

يقولون كثَّرَ عبد الحليم | فإلا اقتصاداً وإلا اقتصارا
وفضلُ أبي القاسم المجتبَى | كفاني احتجاجاً لهم واعتذارا
ألم يعلموا أن فيضَ السماءِ | على الأرض كثَّرَ منها الثمارا
مآثرُ طالت فأضحى الطوالُ | من حُلَلِ المدحِ عنها قصارا
ومجدٌ ينوب ثنائي مطاراً | وجودٌ يغرِّقُ شعري بحارا
هو الشمسُ تجلو نهارَ العلى | ومن لي بجليٍ يعمُّ النهارا
وفضلٌ يَعُدُّ نجومَ السماءِ | وزهرَ الرياض وَيُحْصِي القطارا
تغار العلى لابنِ متكودها | فلا تقبلُ المدحَ فيه اختصارا

وأنشدني أبو محمد عبد الله بن أبي سعيد النحوي الأندلسي[2] قال: أنشدني عبد الحليم بن عبد الواحد السوسي الكاتب بصقلية لنفسه في سهم ردّ مذبةً:

لليالي في عَكْسِ حالي عظاتٌ | ليس تَخْفَى على ذوي الألبابِ

(1) أبو محمد عبد الله بن الغريشي هذا كان ساكناً في المحرس المشهور بالقشميري من محارس الإسكندرية ونسبته مستفادة تذكر مع العريشي توفي في محرم سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وقد علقت عنه فوائد رحمه الله وكان عفيفاً من أهل القرآن.

(2) أبو محمد هذا أندلسي فاضل في النحو وكانت له في جامع عمرو حلقة للإقراء وشعره كثير ويعرف بالكاسات توفي سنة عشرين وخمسمائة في صفر فيما كتب به إليّ ابن موهوب وحكاه لي غيره.

صرتُ في الخُوص بعدلبس الخوافي   واعتمامي بأزرقٍ كالشهاب
بعد ذبِّ الكماةِ عن حَرَم العزِّ   تنقلنَ بي لذبُّ الذباب

وأنشدني هذه الأبيات غير عبد الله عن عبد الحليم، وقد أنشدنيها قبلهما أبو علي محمد بن علي بن جعفر السعدي المعروف بابن القطاع اللغوي بمصر، أنشدني أبي قال: أنشدني عبد الحليم:

تَزَوَّدْ وما زاد اللبيب سوى التقوى   عساكَ على الهول العظيم بها تَقْوَى
فمن لم يُعَمِّرْ بالتقى جَدَثاً له   فمنزله في خُلْدِهِ منزلٌ أقْوَى

***

53 ـ الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن ابن أبي بكر السرقوسي[1]

لـه:

أما منكمُ من مُسْعِدٍ أو معاوِن   على حَرِّ وجدٍ في السويداءِ كامنِ
أبان الكرى عن مقلتيَّ التهابَهُ   وما هو يوماً عن فؤادي ببائن

ومنها:

وبيداءَ قفرٍ ذاتِ آلٍ كأنما   هو البحر إلا أنه غيرُ آسِنِ
ترى ظُعْنَهُمْ فيها غداةَ تحملوا   طوافيَ فوق الآلِ مثلَ السفائن

(1) من الخريدة ومعجم السفر: 83 ـ 85، 295، 296، 308، 428 ـ 429.
واسمه عنده أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي بكر محمد بن يوسف السرقوسي.

ولـــه:

أسـارقُهُ اللحظَ الخفيَّ مخـافـةً ... عليـه من الـواشين والـرقبـاءِ
وأجهـد أن أشكو إليـهِ صبـابتي ... فيمنعني من ذاك فَـرْطُ حيـائي
وإني وإن أضحى ضنيناً بـودِّه ... لأمنحـه ودّي وحسنَ صفـائي
سأكتم ما ألقاهُ من حُرَقِ الأسى ... عليـه ولـو أني أمـوتُ بـدائي

ولـــه:

أسقمَ جسمي بِسُقْمِ مقلتِـهِ ... وشـقَّني بـاحمـرارِ وجنتِـهِ
فـالـويـلُ لي من لَـظَى جهنَّمِـهِ ... إذا تبـدَّتْ ريـاضُ جنـتـه

ولـــه:

لا تبغِ من أهلِ الزمان تنـاصفاً ... فـالغدرُ من شِيَمِ الـزمانِ وأهلِهِ
وإذا أردتَ دوامَ ودِّ مصـاحبٍ ... فاغضضْ جفونك جاهداً عن فعله

ولـــه:

دعـوا المشتـاقَ تـذرفُ مقلتـاهُ ... لمـا في القلب من ألمِ الفـراقِ
أصـابَتْـهُ النـوى عُقْبَى صـدودٍ ... ففـرَّ من الـوهيـج إلى احتـراق
وكـانت عينـه تُـذْري بمـاء ... فعـادت تـرتـوي بـدمٍ مـراق

* * *

54 ــ عبد الرحمن بن أبي العباس الكاتب الأطرابنشي [1]

أورد له في وصف متنزه المعتزية المعروف بالفوارة:

فـوارةَ البحـرين جَمَّعْتِ المنَى ... عيشٌ يـطيب ومنـظرٌ يستعـظم

---

(1) من الخريدة.

قُسِمَتْ مياهُكِ في جداولَ تسعةٍ يا حبذا جَرَيانها المتقسّم
في ملتقى بحريك مُعْتَرَكُ الهوى وعلى خليجيكِ الغرامُ مخيِّم
للّه بحرُ النخلتين وما حوى الـ ـبحرُ المَشِيدُ به المقامُ الأعظم
وكأن ماء المَفْرَعَيْنِ وَصَفْوَهُ دُرٌّ مذابٌ والبسيطةُ عَنْدَمُ
وكأن أغصانَ الرياضِ تطاولت ترنو إلى سَمْكِ المياه وتبسم
والحوتُ يسبحُ في صفاءِ مياهها والطيرُ بين رياضها يترنَّمُ
وكأنَّ نارنجَ الجزيرةِ إذ زها نارٌ على قُضُبِ الزبرجدِ تضرم
وكأنما الليمونُ صفرةُ عاشقٍ قد بات من أَلَم النوى يتألم
والنخلتان كعاشقين استخلصا حَذَرَ العدى حصناً منيعاً منهم
أو ريبةٌ علقتهما فتطاولا يتهيبانِ ظنونَ من يتوهم
يا نخلتي بَحْرَيْ بلرمَ سقيتما صَوْبَ الحيا بتواصلٍ لا يُصْرَمُ
هنيتما مَرَّ الزمان ونلتما كلَّ الأماني والحوادثُ نُوَّمُ
بالله فيئا واسترا أهلَ الهوى فبأمنِ ظلكما الهوى يتحرم
هذا العيانُ بلا امتراءٍ إنما سَمْعُ الكيانِ زخارفٌ تتوهم

* * *

55 ــ أبو القاسم عبد الرحمن بن حسن الكاتب

ذكر ابن القطاع أن له تصانيف ومقامات، وأنشد له[1]:

أغرى جفوني بالسهادِ المقلقِ لَمَعانُ هذا البارقِ المتألقِ
باتتْ لوامعه تُسَلُّ صوارماً بالغرب ثم يشيمها بالمشرق
فكأنهنَّ سهامُ نارٍ مَزَّقَتْ ثوبَ الدجى بضرامهنَّ المحرق

---

(1) هذه الأبيات من المغرب.

ومن شعره يصف البرق أيضاً[1]:

ولما بدا للعين من جانبِ الحمى لـوامعُ بـرقٍ شاق نحـوكَ شائقُ
كـأنـكَ فيهـا مـاثــل وكـأنمــا ديـارُ الحمى بين البراقِ بـوارق
فيـا حبذا بـرقٌ بأرضـكَ لائـحٌ ويا حبذاً طيفُ لـوصلكَ طارق

***

56 ــ عبد الرحمن بن رمضان[2]

ويعرف بالقاضي، وليس له في علوم الشريعة يد، بل هو شاعر له من بحر خاطره وغزارة غريزته مدد، ومعظم شعره في مدح رجار الإفرنجي المستولي على صقلية يسأله العودة إلى مدينة مالطة، ولا يحصل منه إلا على المغالطة.

له وقد احتجب عنه بعضُ الرؤساء:

تــاهَ الــذي زرتُــهُ ولاذا عنِّي ولـم يُخْـفِ ذا ولا ذا
وكــان من قبــلُ إن رآني يبسطُ لي سنــدســاً ولاذا
فصــار كُلّي عليــه كَــلاًّ يــا ليتني متّ قبـلَ هــذا

وقال في ذم إخوان الزمان:

إخــوان دهــرك فــالقهمْ مثــلَ العـدا بســلاحكــا
لا تــغــتــرْ بــتــبــســم فـالسيفُ يقتـلُ ضــاحكـا

***

---

(1) من مختارات ابن الصيرفي وعنوان الأريب 1 : 131 .

(2) من الخريدة؛ وصلته بمالطة تجعلنا نرجح أنه هو أبو القاسم بن رمضان المالطي الذي ورد ذكره في آثار البلاد للقزويني ص: 373 (ليدن) والمكتبة الصقلية: 142 .

57 ـ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الغني المقري الواعظ[1]

لـه مرثيـة:

سيفُ المنيـةِ آفـةُ العمـرِ كـلُّ العبـادِ بحـدِّه يفـري
حكم المهيمنُ بـالفنـاءِ لنـا فمن الذي يبقَى على الدهر

ولـه:

أيـا من نال في الـدنيـا مناهُ تـأهبْ للفـراقِ وللرحيـل
ولا تفـرحْ لشيءٍ قد تنـاهى فمابعدَ الطلوعِ سوى النزول

***

58 ـ عبد الرحمن بن عتيق بن خلف المقرىء الصقلي النحوي المعروف بابن الفحام[2]

من كبار القراء، وممن رحل من المغرب إلى المشرق في طلب القراءة على الشيوخ، فأدرك بمصر ابن الهاشمي وابن نفيس وعبد الباقي بن فارس وأبا الحسين الرازي وآخرين، سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة، وتلمذ لطاهر بن بابشاذ في النحو، وأملى عليه شرح مقدمته، وله تأليف حسن سماه «التجريد في بغية المريد».

وكان حافظاً للقراءات، صدوقاً متقناً عالماً، كبير السن، أقام بالإسكندرية على قدم الإفادة.

قال أبو الربيع سليمان بن عبد العزيز المقرىء الحمصي، حمص

(1) من الخريدة.

(2) ترجمته في إنباه الرواة 2: 163 ـ 165 (رقم: 380).

الأندلس: ما رأيت أعلم بالقراءات ووجوهها منه؛ لا بالمغرب ولا بالمشرق؛ وإنه ليحفظ القراءات كما نحفظ نحن القرآن. وكان قد بقي بمصر للقراءة وطلب العلم من سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة إلى سنة أربع وخمسين. وتوفي ـ رحمه الله ـ في ذي القعدة سنة ست عشرة وخمسمائة.

* * *

59 ـ الأمير شيخ الدولة عبد الرحمن بن لؤلؤ صاحب صقلية(1)

أنشدني للطاهر الجزري في صفة الفرس فقال شيخ الدولة في المعنى:

وأدهمَ كالليلِ البهيمِ مُطَهَّم ... فقد عزَّ من يعلو لساحةِ عَرْفِهِ
يفوتُ هبوبَ الريح سبقاً إذا جرى ... نهايةُ رجليه مواقعُ طَرفِهِ

* * *

60 ـ البشيري الصقلي(2)

هو عبد الرحمن بن محمد بن عمر من مدينة بثيرة، حامل القرآن ومساجل الأقران، ذكر أن باعه في الترسل أمد، وخاطره في النثر أحد، وأورد له قصيدة مدح بها رجار الفرنجي صاحب صقلية يصف المباني العلية ذكر أنه أنشدها لنفسه منها:

أدِرِ العقيقَ العسجديَّهْ ... وَصِلِ اصطباحَكَ بالعشيَّهْ
واشربْ على وقع المثا ... ني والأغاني المعبديه
ما عيشةٌ تصفو سوى ... بذرى صقليّةٍ هنيه

(1) من الخريدة 1: 335 ولا نعرف من هو شيخ الدولة ولا متى كان صاحب صقلية، ويرجح أماري أنه انتخب في الفتنة الأخيرة بعد الصمصام وأنه لم يلبث طويلاً، وورد البيتان في معاهد التنصيص: 352 (ط. بولاق) منسوبين للطاهر الجزري.

(2) من الخريدة 1/23.

فــي دولــةٍ أربــت عــلــى دولِ الملوكِ القيصــريــه

ومنهــا:

وقــصــورُ مــنــصــوريــةٍ حطَّ السـرورُ بها المـطيـه
واعجبْ بمنـزلهـا الـذي قـد أكمـلَ الـرحمنُ زِيَّـه
والملعـبُ الـزاهي عـلى كـلِّ المبـاني الهنـدسيه
وريـاضُـهُ الأُنُـفُ التـي عـادتْ بهـا الـدنيـا زهيّـه
وأُسُــودُ شــاذِرْوَانِــهِ تهمي ميــاهــاً كـوثـريــه
وكسـا الـربيـعُ ربـوعَهــا من حســنــه حُللاً بــهيــه
وغــدا وكـلَّلَ وجـهــهــا بمصبَّغــاتٍ جــوهــريــه
عــطرن أنفــاسَ الصَّبــا عنــد الصبيحةِ والعشيــه

وهي قصيدة طويلة.

قال ابن بشرون لما عرض عبد الرحمن عليَّ هذه القصيدة سألني أن أعمل على وزنها ورويها فقلت:

لـــلّه مــنــصــوريــةُ راقتْ ببهجتهــا الـبهيَّــهْ
وبقصــرهــا الحَسَنِ البنــا والشكـلِ والغُرَفِ العليه
وبــوحـشهــا ومـيــاهِهــا الغُـزَرِ العيونِ الكـوثـريـه
فقــد اكتسـتْ جنــاتهــا من بينهــا حُـللاً بهيــه
غــطّى عـبيــر تــرابـهــا بمــدبجــاتٍ سنــدسيــه
يُهــدي إليــكَ نسيـمهــا أفــواهَ طـيبٍ عـنـبـريــه
واستــوسقتْ أشجــارُهَــا بــأطـايبِ الثَّمَــرِ الجنيه
وتــجــاوَبَــتْ أطـيــارهــا في الصبـح دأباً والعشيـه
وبهــا رُجــارُ نَمَى العلى ملكُ الملوكِ القيصــريــه
فـي طـيـبِ عيشٍ دائـم ومشــاهــدٍ فيهــا شهيــه

واقتصرت من القصيدتين على ما أوردته لأنهما في مدح الكفار فما أثبته.

* * *

61 ـ الوزير أبو الفضل عبد العزيز بن أحمد بن دانق[1]

عالم بالهندسة والحساب، متصرف في آلات الكتاب، وله مع ذلك مقطعات عجيبة، وتشبيهات مصيبة، فمن ذلك قوله يصف النرجس:

كفٌّ من الفضةِ مبسوطةٌ في وسطها كاسٌ من العسجدِ

وقوله في مقارنة القمر للمريخ:

كأنما البدرُ حين لاح وقد قارب مرّيخَهُ ودانَاهُ
وجهُ محبٍّ وقد دنا خجلاً تحملُ كاسَ النديم يمناه

* * *

62 ـ أبو محمد عبد العزيز بن عبد الرحمن الأنصاري الكاتب[2]

من «الدرة»: كاتب مبرز وشاعر مفلق، وبحر متدفق، له نثر كبرود اليمن، ونظم مع النظم في قرن، متصرف في فنون الشعر كما هو مُلَقَّى على لسانه فهو

(1) المختصر والمغرب (وفيه: دابق).
(2) ترجم له في مختارات ابن الصيرفي وأورد له القطع الأربع الأولى (وعنوان الأريب 1: 134) والثانية وردت أيضاً في المغرب؛ والقطعتان الخامسة والسادسة في المنتخل.

يجري مع نفسه جَرْيَ الزلال على الرضراض، ولو مُزِجَ شعره بشعر أبي العتاهية، لم يفرق بينهما إلا من كان راويه، فمن شعره قوله مترسلاً في الغزل:

بـاللّهِ يـا طـاووسـةُ انـطلقي بلطافـةٍ فاستعـطفي الـوحشـهْ
قـولي لها عبـدُ العـزيـز بكى فسقى بأدمعه الربَى العَطِشه
وتنـاول القـرطـاسَ يكتب مـا يلقى فخـانتـه اليـدُ الـرَّعِشَـهْ

وقـال:

أخلو بـه وأعفُّ عنـه كـأنني حَذَرَ الدنيةِ لستُ من عشّاقِـهِ
كـالماءِ في يـدِ صائمٍ يلتـذُّهُ ظمأ ويصدفُ عن لذيذ مذاقه

وقـال:

أتعـرف لي من سائـر الناس أسـوةً أعزّي به نفسي فقد عزَّني صبـري
تعـاونَ إخـواني وأهـلُ مـودتي عليَّ ليـرمـوني بقـاصمـةِ الـظهـر
وأصبـحَ من علمتُ يَـرْمي ويتَّقي يريشُ ويبري كلَّ سهمٍ إلى نحري
فصرتُ أخاف السُّخْطَ من جانب الرضى وأرتقبُ الخـذلانَ من جهـة النـصـر
إلى أي شـرقٍ أم إلى أيِّ مغـرب أوجّـه وجهي عنكمُ يا بني دهـري

وقـال:

ولما رأيت الحبَّ يُعْدِي من الهوى كتمتـكَ مـا ألقـاه من ألمِ الحبِّ
وصنْتُكَ في إنسانِ عيني فمذ بَكَتْ جعلتـك والتوحيـدَ في حَبَّة القلب
ولو قلتَ لي لا تشربِ الماءَ لم أرِدْ عليـه ولم أشتقْ إلى البارِدِ العـذب
فمـا لـك تلقـاني بصـدٍّ وإنمـا تواصلني بالشوق في أسطرِ الكتب

ومن شعره قوله:

أقـولُ لـلعـاذلِ لـمـا بـدا يـرفـلُ في إشـراقِـهِ المعجبِ

أهــذه الـشـمسُ الـتـي قـلتـمُ تــطلعُ للنــاسِ من المغــرب

وكتب إلى بعض إخوانه في صدر كتاب:

كتبت أشكو إليكم ما وجـدتُ بكم من الغــرام ومثلي من شكـا فبكى
والـــلّهِ والـلّهِ ثــم الـلّهِ ثــالــثــةً مـا قصَّـر البينُ في قتلي ولا تـركـا
كـأن بين ضلوعي حين يـذكــركمْ قلبي جنــاحَ قـطاةٍ عُلّقَتْ شَــرَكـا

***

63 ـ أبو محمد عبد العزيز بن الحاكم عمر بن عبد العزيز المعافري[1]

وصفه بالبراعة في الصناعة، والمهـارة في العبارة، والتنزه في رياض الرياضات، والتنبّه في سحريات السحريات، وأورد له ما اخترت منه قوله في العذار:

فيــه للعين مُنْيَــةٌ واعـتــذارُ حين أبدى البديعَ منه العذارُ
فات حدَّ القياس إذ صيغ ماءً وسط دُرٍّ مــركّـبٍ فيــه نــار

وقوله من الأوصاف:

انـظر إلى الزهـرة والمشتري إذ قابلا البدر يريكـا العَجَبْ
قـد أشبهـا قُـرْطَينِ قـد عُلِّقـا في جانِبَيْ تاجٍ صقيلِ الذهب

ولـه أيضاً:

وكـــأن الــبــدر والــمــر يــخ إذ وافــى إلــيــهِ
مَــلِكٌ تــوقــد لــيــلاً شــمــعــةً بــيــن يــديــه

---

(1) من الخريدة.

ولـه في القناعة:

أنـا لـعـمـري يئسـتُ مـن الـغـنـى فـاسـتـرحـتُ
وقـد قـنعـتُ فـحـسـبـي مـن الـغـنـى أنْ قـنـعـتُ

* * *

64 ـ عبد الكريم بن عبد الله بن محمد المقرىء الصقلي[1]

حدثني أبو البهاء عبد الكريم بن عبد الله بن محمد المقرىء الصقلي من حفظه بالإسكندرية أنَّ أبا محمد عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي بصقلية وأبا بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله المالكي بإفريقية قالا: ثنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الله الأجدابي بالقيروان، ثنا أبو بكر هبة الله بن أبي عقبة التميمي، ثنا جبلة بن حمود الصدفي، ثنا سحنون بن سعيد التنوخي عن عبد الرحمن بن القاسم المتعي عن مالك بن أنس الأصبحي عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله»[2].

أبو البهاء هذا كان من أهل القراءات والحديث روى لي شيئاً يسيراً من حفظه، وكتبت من أجزائه كذلك فوائد من حكاية وشعر، وقال لي: ولد سنة أربعين وأربعمائة بمدينة صقلية. وتوفي في شعبان سنة سبع عشرة وخمسمائة بالإسكندرية وأنا بمصر. وهو عبد الكريم بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الكريم المقرىء الواعظ، رأى أبا بكر محمد بن الحسن ابن البر اللغوي وأبا علي الحسن بن رشيق الشاعر الأزدي القروي وأبا بكر السمنطاري الفقيه الصقلي وعبد الحق بن محمد بن هارون السهمي وأبا عبد الله بن جميهير ومحمد بن يونس الصقلي.

سمعته يقول: قرأت القرآن على أبي محمد عبد الله بن فرج المديني

---

(1) هذه الترجمة من معجم السفر: 178 ـ 179.
(2) قارن بالتمهيد لابن عبد البرّ 14/115 ـ 126.

ومحمد بن إبراهيم بن الشامي المديني وأبي بكر محمد بن علي الأزدي ابن بنت العروق وأبي عبد الله محمد بن عبد الله الفتال وهؤلاء شيوخ المدينة بصقلية والمقدَّمون في الإقراء وعلى أبي العباس أحمد بن محمد بن عباد الإشبيلي وأبي عبد الله بن جميهير القادم علينا؛ وسمعت الحديث على عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي وعتيق بن علي بن داود السمنطاري وقرأت الفقه على محمد بن يونس وأبي العباس أحمد بن محمد اللخمي وعمر بن أبي الطيب وغيرهم، وأبي كان من أصحاب أبي الحسن بن القابسي ويعرف بالمتعبد، ورأيت أبا بكر بن البر وأبا علي بن رشيق واستفدت منهما وماتا بصقلية بعد خراب القيروان، وقد أنشدني أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي لنفسه بصقلية مما قاله في غلام للمعز يعرف بفسوة الكلب وقد ولاه القيروان:

إنا إلى الله راجعون لقد ... هان على الله أهلُ ذا البلد
أفسوة الكلب صار يملكنا ... فكيف لو كان ضرطةَ الأسد

***

65 ـ عبد الله بن جبر الصقلي[1]

كان في مدة مستنصر بني عبد المؤمن في المائة السابعة. أحسن ما سمعت له قوله:

لو رام يحلفُ أن الشمس ما غربت ... في فيه كذَّبه من خدِّهِ الشفقُ

وقوله في شمعة:

وصعدةٍ لبست سربالَ مشتهرٍ ... بالحبِّ منغمسٍ في الدمع والحرقِ
ما زال يطعنُ صَدْرَ الليلِ لهذمها ... حتى غدا سائلاً منه دم الشفق

***

(1) من المغرب.

66 ـ الأمير أبو القاسم عبد الله بن سليمان بن يخلف الكلبي[1]

أحد الأدباء المجيدين والشعراء المعدودين، وممن جمع إلى شرف المنصب غرائب العلم والأدب، وتصرف في أنواع الشعر، وأجاد في التشبيهات ووصف الخمر وأضاف إلى ذلك جودة النثر، وله تأليفات وكتب مصنفات في الرد على العلماء والتعليق على الشعراء، فمن مختار شعره في التشبيهات والخمر والغزل قوله[2]:

نعيميَ أحلَى بتلك الديارِ ... رواحي إلى لذةٍ وابتكاري
فليت ليالي الصدودِ الطوالَ ... فداءُ ليالي الوصالِ القصار
زمانَ أبيتُ طليقَ الرقاد ... وأغدو خليعاً خليعَ العذار
ولم يكنِ الهجرُ مما أخافُ ... ولا العاذلُ الفظُّ ممن أُداري
أسابقُ صبحي بصبحِ الدنان ... وأصرفُ ليلي بِصَرْفِ العُقَارِ
ألا ربَّ يومٍ لنا بالمروجِ ... بخيلِ الضياءِ جوادِ القِطَار
كأن الشقيقَ بها وَجْنَةٌ ... بآخرها لمعةٌ من عذار
كأن البنفسجَ في لونه ... اختلاطُ الظلامِ بضوءِ النهار
وسوسنها مثل بيضِ القباب ... بأوسطها عُمُدٌ من نُضَار
ترى النرجسَ الغضَّ فوق الغصونِ ... مثلَ المصابيحِ فوق المنار
وأترجّها كحقاقِ النضار ... تُصَفَّفُ أو كَثُدِيٍّ الجواري
أقمنا نسابقُ صَرْفَ الزمان ... بِداراً إلى عيشنا المستعار
نجيبُ بصوت القناني القيانَ ... إذا ما أجابت غناءَ القماري
وتصبحُ عيدانُنا في اصطخابٍ ... يَلَذُّ وأطيارُنا في اشتجار

(1) انظر المكتبة الصقلية: 154.
(2) المنتخل من الدرة ومنها 17 بيتاً في الوافي 17: 202 ـ 203.

نشمّ الخدودَ شميمَ الرياضِ ... ونجني النهودَ اجتناءَ الثمار
وَنُسْقَى على النور مثلَ النجومِ ... ومثل البدور اعتلتْ للمدار
عقاراً هي النارُ في نورها ... فلولا المزاجُ رَمتْ بالشرار
نعمنا بها وكأن النجومَ ... دراهمُ من فضةٍ في نثار
إذا ما لقيتَ الليالي بها ... فأنت على صَرْفِهَا بالخيار

وقال من أخرى في أولها (1):

شربتُ على الرياضِ النيّراتِ ... وتغريدِ الحمامِ الساجعاتِ
معتقةً ألذَّ من التصابي ... وأشرفَ في النفوسِ من الحياة
تسيرُ إلى الهموم بلا ارتياعٍ ... كما سار الكميُّ إلى الكماة
وتجري في النفوسِ شفاءَ داءٍ ... مجاري الماء في أصْلِ النبات
كأن حَبابها شَبَكٌ مقيمٌ ... لصيدِ الألسنِ المتطايرات
لنا من لونها شَفَقُ العشايا ... ومن أقداحها فَلَقُ الغَداة
على روضٍ يذلِّهُ من رآه ... بأصنافِ المناظرِ واللغات
ويبكيه ابتسامُ الصبحِ فيه ... ويضحكه عبوسُ المُدْجِنَاتِ
كأن الأقحوانَ فصوصُ تبرٍ ... تُرَكَّبُ في اللجين مُوَسَّطَات
ونارنجاً على الأغصانِ يحكي ... كؤوسَ الخمر في أيدي السقاة
إذا ما لم تُنَعِّمْني حياتي ... فما فَضْلُ الحياةِ على الممات
شربتُ بِسُدْفَة كظلام جدّي ... وأحداثِ الزمانِ المبهمات
إلى أن بان فتقٌ مثلُ لفظي ... وأخلاقي الحسان المشرقات

وقوله من أخرى في مثل ذلك أولها (2):

أرحتُ النفس من همٍّ براحِ ... وهانَ عليَّ إلحاحُ اللواحي

---

(1) المنتخل والوافي: 203 ـ 204.

(2) القطع 1 ـ 4 هذه كلها من المنتخل.

وصاحبتُ المدامَ وصاحبتني | على لذاتها وعلى سماحي
فما تبقي على طَرَبٍ مَصُونٍ | ولا أبقي على مالٍ مباح
ثوتْ في دنِّها ولها هديرٌ | هديرُ الفحلِ ما بينَ اللقاح
وصَفَّتْهَا السنون ورقَّقتها | كما رقَّ النسيم من الرواح
إلى أن كشَّفَتْ عنها الليالي | ونالتها يدُ القَدَرِ المتاح
فأبرزها يُزالُ الدنُّ صرفاً | كما انبعث النجيعُ من الجراح

وقوله في الغزل:

قلبٌ يَلَذّ بطولِ الوجدِ والحُرَقِ | ومقلةٌ تشتفي بالدمع والأرقِ
من لي بشمسِ جمالٍ أظلمتْ أفقي | عليَّ غَماً وكلُّ الناسِ في قلق
ثنى أعنةَ أبصارِ الأنامِ لها | جمالها فهي في دِرْعٍ من الحدق

وقوله:

زارني طيفٌ على وجلٍ | ساحرُ الألفاظِ والمقلِ
للضنا حقٌّ عليَّ به | حين أخفاني عن العذل
أنا راضٍ في محبته | بالذي يقضي عليَّ ولي
كيف أحيا في هواهُ وقد | خُلِقَتْ عيناه من أَجَلي

وقوله:

أقمتم وقلبي بكم راحلُ | وغبتمْ وتمثالكمْ ماثلُ
وأوهمتموني بطولِ الجفاءِ | أن ودادي لكم باطل
وإني لأخفي بكم ما لقيتُ | مخافةَ أن يشمتَ العاذل
إذا سمحتْ منكمُ عَطْفَةٌ | حماها رقيبكُمُ الباخل
كأنَّ نحوليَ في حبكم | يباريه وصلكمُ الناحل

ولـه من قصيدة يفخر فيها[1] :

عهـدي ببؤسِ ربـاكَ وهـو نعيمُ ... أيـامَ أنتَ على الحسـان كـريمُ
أيـامَ فيـك من الكـواعبِ جَنّـةٌ ... معشـوقـةٌ ومن الـوشـاة جحيم

منهـا :

وأهاجني برقٌ يَشُوقُ إلى الحمى ... قلبَ المشـوقِ فـلا يـزالُ يهيمُ
حَسُنَتْ بـه الدنيـا فكـلُّ قـرارةٍ ... روضٌ وكـلُّ صبـاً يهبُّ نسيم
تلك الرياضُ المحيياتُ نفوسنا ... أنفـاسُهـا لا الشيـحُ والقيصـوم
سقيـاً لأيـام الـربيـع وحسنهـا ... لـو أن ذاك الحسنَ كـان يـدوم
طـابت حدائقهـا وَرُقْنَ كـأنهـا ... جـودي النثير ولفـظيَ المنـظوم
وأنا الذي حـازت مناسبُـهُ العلا ... وأنـاف منهـا مُحْـدَثٌ وقـديم
تحنـو عليَّ المكرمـات نوازعـاً ... فكـأنني للمكـرمـاتِ حميم
واصلتهـنَّ كـأنهـنَّ حبـائـبٌ ... وحببتهـن كـأنهـنَّ حـريـم
شـرفي سمـاء للسمـاء منيفـةٌ ... وخـلائقي فوقَ النجـومِ نجوم
مـا دمتُ فالفخـرُ المؤثَّـلُ دائمٌ ... فـإذا عـدمتُ فـإنـه معـدوم

وقـال[2] :

مـا إنْ سمعتُ ولا رأيت بمثلها ... نـارٌ على أيـدي السقـاةِ تـدارُ
وجلوتها غَلَسَ الظلامِ فراعني ... أن قـام في غَلَسِ الظلام نهـار

وقـال :

يـا قـاتلي صبـراً بـطرفٍ فـاتـرِ ... ومعـذبي وجـداً بخـدٍّ نـاضـرِ

---

(1) منها عشرة أبيات في مختارات ابن الصيرفي والبيتان 9، 10 في مسالك الأبصار ونقلهما أماري في المكتبة الصقلية ص: 154.
(2) هذه القطعة والقطعتان بعدها من مسالك الأبصار (انظر المكتبة الصقلية).

ما زال دمعي فيك يألفُ ناظري حتى حسبتُ الدمعَ بعضَ الناظر

وقــال:

كفى حَزَناً على البلوى مقـامي أخصُّ عـداكَ دونكَ بـالسـلام
فَجُــدْ بـالنــوم إذ منعـوك مني لـعلي أن أزوركَ فـي المنــام
رجـوتُ بمقلتيـك شفــاءَ دائي وهل يَشْفِي السقامُ من السقـام
ومـا أبقى الحِمـامُ عليَّ عـطفـاً ولكني خفـيتُ عـن الحـمـام

ولــه[1]:

بـروحيَ عهـدُ الصِّبـا في زَرُودِ بـكــلِّ مَهَــاةٍ مـن العِيـنِ رُودِ
إذ الـدار تجمعُ شمـلَ السـرور والـدهـرُ يُــطْلِعُ نجمَ السعـود
وإذ مـوردي من رُضابِ الثغـورِ وإذ مــرتعي من ثمــارِ النهــود

وقولـه:

فقـام يمشي الهوينـا من روادفه وقد تحملتُ منها فوقَ ما حملا

***

67 ــ الوزير أبو محمد عبد الله بن عبد الله الهاشمي [2]

مـن شـعــره:

وأغيــدٍ لم يـزلْ كــريمــاً من جيــده قـد أراكَ ريمــا
يــريـك من قُــرْبِـهِ نعيمــاً يـبــرزه تحـقــرُ النـعيـمــا
عينــاه عَـوْنٌ على البــلايـا كــلامُـهُ يبــرىءُ الكلومــا

(1) القطعة والبيت المفرد من المتنخل.
(2) من المختصر.

فحاذِرِ الطرفَ منه كي لا تظلَّ من سقمه سقيما
سليمُ لحظٍ سليمُ لفظٍ يا من رأى سالماً سليما

* * *

68 ـ أبو المصيب عبد الله بن مالك القيسي[1]

أحد رجال اللغة والعربية المطابيع في أجناس القريض، العالمين بالأوزان والأعاريض، وله في ذلك تأليف يدل على علمه وجودة اختياره وفهمه.

ومن شعره:

غلطَ الذي سمَّى الحجارةَ جوهراً إنَّ الكريمَ أحقُّ باسمِ الجوهرِ
إن الجواهرَ قد علمت صوامتٌ والمرء جوهره جميلُ المحضر

وقوله:

إذا المرءُ صارِمُهُ لحظُهُ وميزانُهُ للورى لفظُهُ
إذا المرءُ قابلني بالجميلِ توفَّر من مِدَحي حظَّه
وعظتُ أناساً وكم واعظ لهمْ لم يؤدبهمُ وعظه
فلما تولَّوا تلافيتهم بقولٍ ينهنههم فظه
صحبتهم فحفظتُ الجميلَ وما كان يألفني حفظه

* * *

69 ـ أبو محمد عبد الله بن مبارك[2]

من «الدرة» أنه من أهل الديانة، وله:

تأملْ لعل الله يُعْقِبُكَ الهدى فشاهدُ ذاكَ العقلُ إن لم يكنْ نُسْكُ

---

(1) من المختصر وبغية الوعاة.
(2) من المغرب.

أليس الـذي قد نَـظَّمَ العِقْـدَ بـدأةً ينـظِّمـه عَـوْداً إذا انتـثـر السلك

***

70 ــ أبو محمد عبد الله بن مخلوف الفأفاء[1]

لـه:

يـا مـن أقـلَّ فـؤادي ولـحظَ عـيـنـيَ عَـلَّهْ
صِلْني تَـصِلْني حيـاتـي وامـنـنْ عـليَّ بقـبـله

ولـه:

يـا مَنْ يجـودُ بـدائـهِ لا تـبـخـلنْ بـدوائِـهِ
واعـطفْ على قلبٍ غـدا مـثـواكَ فـي سـودائـه
وانضـحْ بماءِ الـوصـلِ نـا رَ الهجـرِ في أحشـائـه
أمـرضتـه بجفـونـك الـ ـمـرضى فَجُـدْ بشفـاتـه

***

71 ــ أبو محمد عبد المعطي بن محمد السرقوسي[2]

مـن شـعـره:

اطلب الرزقَ حيث كان من الأر ضِ فـإن الفقيـرَ كـالمفقـودِ
وإذا ضـاقـتِ البـلادُ بِـحُـرٍّ سـار منهـا إلى مكـانٍ جـديـد

***

(1) من الخريدة.
(2) من المغرب.

72 ـ عبد الوهاب بن عبد الله بن مبارك[1]

لـه:

نفسي الفداءُ لظبيٍ ... قد جاز في التيه حَدَّه
حكى القضيبَ انعطافاً ... كما حكى الليثَ نجده
بالدمع طَرَّزَ خدي ... مذ طَرَّزَ الشعرُ خده
كأنه بدرُ تِمٍّ ... في الأفق قابل سَعْدَه
يا ليته باتَ عندي ... أو ليتني بتُّ عنده
يا عاذلي فيه دَعْهُ ... يُطِلْ كما شاءَ صده
فإنما هو مولىً ... أضحى يؤدِّبُ عبده

ولـه:

إذا المرءُ لم يُعْرَفْ بِجَدٍّ ولا أبٍ ... ولم يشتهر في الناسِ إلا بأُمِّهِ
فلا تسألنْ عن حاله فهو ساقطٌ ... وإن لم تشع في الناسِ أسبابُ ذمِّهِ

***

73 ـ أبو بكر عتيق بن عبد الله السكري[2]

من شعره:

عارضٌ فيه عِذارٌ ... ذاك ليلٌ ونهارُ
هو في الجوهرِ ماءٌ ... وهو في التوريدِ نار
كتب الحسنُ عليه ... أنَّه خَتْفٌ مُعَار

(1) من الخريدة.
(2) من المختصر.

مــن رآه فــهــو صَــبٌّ   مــا لــه عنــه اصــطبــار
أيـهــا البــدر الـمـفــدَّى   أدمــعــي فــيــك بــدار
سِـحْـرُ عينيـك رمتنـي   أســهــمٌ مــنــه غــرار
فـمتـى لي عـنـكَ سُـلْوَا   نٌ وفـي الـصَّـدْرِ أُوار
أنـت لـي حـتـفٌ قَتُـولٌ   لـيس لـي مـنــه فــرار
إن أرمْ عــنــك عــزاءً   فـهــو في الـنفس نــوار

يقول في مدحه:

مــلك تــحــســدُ فــيــه   آلَ قــحــطانٍ نــزارُ

* * *

74 ـ أبو بكر عتيق بن عبد الله بن رحمون الخولاني المقري الواعظ(1)

مـن شـعــره:

لا تخشَ في بـلدةٍ ضيــاعــاً   حــيــث حــيــاةٌ فـثَـمَّ رزقُ
قــد ضَـمِـنَ الله لــلبــرايــا   رزقـهـمُ فــالـعـنــاءُ حـمـق

* * *

75 ـ أبو بكر عتيق بن علي بن داود السمنطاري(2)

ذكره ابن القطاع فقال: العابد أبو بكر عتيق بن علي بن داود المعروف بالسمنطاري، أحد عباد الجزيرة المجتهدين وزهادها العالمين، وممن رفض

---

(1) من الخريدة.

(2) معجم البلدان (سمنطار) والمكتبة الصقلية: 113 ـ 114.

الأولى ولم يتعلق منها بسبب، وطلب الأخرى وبالغ في الطلب. وسافر إلى الحجاز فحج وساح في البلدان من أرض اليمن والشام إلى أرض فارس وخراسان، ولقي بها من العبّاد وأصحاب الحديث والزهاد فكتب عنهم جميع ما سمع، وصنف كل ما جمع، وله في دخول البلدان ومقابلة العلماء كتاب بناه على حروف المعجم في غاية الفصاحة، وله في الرقائق وأخبار الصالحين كتاب كبير لم يُسْبَقْ إلى مثله في نهاية الملاحة، وفي الفقه والحديث تواليف حسان في غاية الترتيب والبيان، له شعر في الزهد ومكابدة الزمان فمنه قوله:

فِتَنٌ أقبلتْ وقومٌ غُفُولُ ... وزمانٌ على الأنامِ يصولُ
رَكَدَتْ فيه لا تريد زوالاً ... عَمَّ فيها الفسادُ والتَضليل
أيها الخائنُ الذي شأنُهُ الإثْـ ... ـمُ وكسبُ الحرامِ ماذا تقول
بِعتَ دارَ الخلود بالثمنِ البخـ ... ـسِ بدنيا عما قريبٍ تزول

وقال الحافظ أبو القاسم: بلغني أن عتيق السمنطاري توفي لثمان بقين من ربيع الآخر سنة أربع وستين وأربعمائة.

* * *

76 ــ عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن السوسي(1)

مطالعه(2) مسقط رأسه، ومربط ناسه، ومغبط كاسه، وبها تهذَّب وقرأ على أبيه الأدب، ثم سكن بلرم واتخذها داراً، ووجد بها قراراً، ونيف على السبعين، ومتع ببنين. وله شعر صحيح المعنى، قويم المبنى، لذيذ المجنى. وذكر أنه أنشده لنفسه قبل وفاته بأيام قلائل مرثية في بعض رؤساء المسلمين

(1) من الخريدة.
(2) لعل الصواب: (مالطة).

بصقلية تدل على ما حواه من فضائل وهي قصيدة طويلة أولها:

رِكَابُ المعالي بالأسى رَحْلَهُ حَطّا ... وطَوْدُ العلى العالي تهدَّمَ وانحطا
فنائي مساءات الأسى متقرّبٌ ... وقربُ مسراتِ السرورِ بنا شطا
وكيف لنور الشمسِ والبدر عودةٌ ... وهذا منار المجدِ والعزّ قد قُطّا
أُصيبَ فما ردَّ الردى عنه رَهْطُهُ ... بلى أودعَ الأحزانَ [إذ] ودَّعَ الرهطا

ومنها:

يعز علينا أن ثوى في بسيطةٍ ... وردَّ الردى عن كفِّه القبضَ والبسطا
كأن حماماً للحمام قد انبرى ... لأرواحِ أهلِ الفضلِ يلقُطُها لقطا
فيا رزءُ ما أنكى ويا حُزْنُ ما أبكى ... ويا دهر ما أعْدَى ويا موتُ ما أسطا
عزاءً عزاءً قد محا الموتُ قبلنا ... ملوكاً كما يمحون من كُتُبٍ خطا

***

77 ـ أبو سعيد عثمان بن عتيق[1]

له من قصيدة في الأمير المعتصم أبي يحيى محمد بن معن بن صمادح:

فاض عقيقُ الدمعِ فوقَ البَهارْ ... وانحدر الطلُّ على الجلّنارْ
واجتمع الغصنان لكنَّ ذا ... ذاوٍ وهذا يانعٌ [ذو] اخضرار
وكاد ذا ينقدُّ من لينه ... وكاد هذا يعتريه انكسار
واضطرمتْ في القلبِ نارُ الجوى ... فهذه الأدْمُعُ عنه شَرار

***

(1) من الخريدة.

78 ـ عثمان بن علي بن عمر السرقوسي الصقلي النحوي[1]

كان عالماً نحوياً لغوياً مقرئاً. قرأ القرآن على ابن الفحام وابن بليمة وغيرهما. وله تواليف في القراءات والنحو والعروض. وكانت له في جامع مصر حلقة للإقراء وانتفع به الناس، ونقلوا كلامه، وكتبوا تصانيفه، وتنافس فيها أهل العلم. وكان قريباً من زماننا هذا في المائة السادسة للهجرة، لقيه الحافظ السلفي بمصر، وشاركه في السماع على أبي صادق وابن بركات والفراء الموصلي.

ومن مصنفاته التي شاهدتها: «الحاشية» على كتاب «الإيضاح» وهي في غاية الجودة، و«مختصر عمدة ابن رشيق»؛ وشاهدت هذا المختصر بحلب بخطه عند ابن القيسراني، وقد زاد فيه أبواباً أخلَّ بها ابن رشيق، وهي واقعة موقعها من التصنيف. وله شعر.

أنبأنا أبو طاهر السلفي في إجازته العامة قال: أنشدني أبو عمر عثمان بن علي بن عمر السرقوسي النحوي لنفسه بالثغر ـ يعني الإسكندرية ـ وكتب لي بخطه:

إنّ المشيبَ من الخطوبِ خطيبُ ... ألّا هوىً بعد المشيب يطيبُ

خطب الخطابُ على قضيبكَ خطبةً ... لا غُصْنَ من بعد الخضاب رطيب

فدع الصِّبا فمن المصيبة أن تُرَى ... صبأً وصيِّبُ مقلتيكَ يصوب

إن الخضابَ لعين عين ضده ... ببنانهنَّ وكفهن خضيب

ضحك المشيبُ بلمتي فبكتْ له ... عيني فمني ضاحكٌ وقطوب

ضدان مجتمعان في وقتٍ معاً ... في ذاتِ مرء إن ذا لعجيب

وكتب إليه السلفي رسالة فأجاب بهذه الورقة[2]: وقفت على ما تَفَضَّلَتْ

---

(1) ترجمته في إنباه الرواة 2: 342 (رقم: 512) وله ترجمة في معجم الأدباء 12: 130.

(2) من هنا إضافة من معجم الأدباء حتى آخر الترجمة.

به حضرته وانتهت إليه من الآداب همته، فمن نثر رأيتُ العلمَ مضمونه، والدرَّ مكنونه، والحكمةَ قرينه. ومن نظمٍ كانت الفصاحة يمينه، وفصل الخطاب عرنينه. وودَّ فصيح الكلام أن يكونه، وأحيا القلوب وكشف لها المحجوب، من كل حكمة لم تكن لتصل إليه لولاه، وسحرِ بلاغةٍ له منحه إياها الله، فقلت والخاطر لسفري خاطر، وماء مزني بعد شآبيبه قاطر:

تَـوَّجني مـولايَ من قـولـه ... تـاجاً عـلا التيجـانَ من قبله
لأنـهـا تـبـلَى وهـذا إذا ... مـرَّتْ بـه الأيـامُ لـم تُـبْـلِهِ
فنثـرهُ الإكـليـلُ في فَـرْعِـهِ ... ونـظْمُـهُ الجـوهـرُ من أصله
وهـو فقيـهُ حـافظٌ في الـورى ... مُـهَـذَّبٌ يجـري عـلى رِسْلِهِ
كـلَّا وأمـا إنْ جرى فـالـورى ... غـدرهـمُ مـا كـان من سَيْلِه
فـعلمُـهُ يشتـقُّ مـن لـفـظه ... ولـفـظه يُـشْـتَـقُّ مـن فـضـله
تـكـاملت أوصـافُـهُ كـلُّهـا ... ومـثـله مـن كـان مـن مـثـله
ومـا أنـا إلا كـمـهـدٍ إلـى ... بـغـدادَ والبـصـرةِ من نـخله

وأما ما ذَكَرَتْ[1] ـ حرسها الله تعالى ـ من كتاب «الهدى لأولي النهى» في المشهور من القراءات وما تضمن من الروايات:

فـلو تـفـرغـتُ إلـى نـقـله ... أو كـان عنـدي الأمْ من شكله
عـذري إلى مـولاي أني امـرؤ ... مسـافـرٌ والشـغـلُ من فـعله
لـكلِّهِ مـن بـعـضـهِ شـاغـلٌ ... وبعضُـهُ المشـغـولُ من كُـلِّهِ

وأما ما يتعلق ببيت الأحوص من كلام، وما قلت فيه من نثر ونظام، فأنا آتي إليها، وأتلوه لديها، والله يديمُ النعمةَ عليها.

* * *

(1) أي حضرته.

78 ب ـ عثمان بن علي بن عمر الخزرجي الصقلي[1]

أبو عمرو النحوي، روى عنه الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي، وأبو محمد بن بري النحوي، وأبو البقاء صالح بن عادي العذري الأنماطي المصري نزيل قفط وقال: أنشدني أبو عمرو عثمان بن علي الصقلي لنفسه:

هَيْنٌ عليها أن ترى الصَّبَا ... يتجرَّعُ الأوصابَ والكربا
من لم يَصِدْ بتكلُّفٍ قَنَصاً ... وتعمدٍ للصيدِ لم يعبا
لا تعتني يا هذه بفتىً ... أخذت جفونُكِ قلبَهُ غصبا
أو ما علمتِ بأنه رجلٌ ... لما دعاهُ هواكمُ لبَّى

وقال في «مختصر العمدة» وقد ذكر قول الشماخ:

إذا بلغتني وحملتِ رحلي

وما ناقضه به أبو نواس من قوله:

أقول لناقتي إذ بلغتني ... لقد أصبحت مني باليمين
فلم أجعلك للغربان نحلاً ... ولا قلت اشرقي بدم الوتين

وذكر غير ذلك من هذا الباب ثم قال: ولي قصيدة أولها:

رحلتْ فعلمتِ الفؤادَ رحيلاً ... وبكتْ فصيرتِ الأسيلَ مسيلا
وحدا بها حادٍ حدا بي للنوى ... لكنَّ منَّا قاتلاً وقتيلا
وإذا الحبيب أراد قتلَ محبه ... جعل الفراقَ إلى المماتِ سبيلا

أذكر فيها خطابي الناقة، واحترست مما يؤخذ على الشماخ بأخذ من

---

(1) هذه الترجمة من معجم الأدباء، ويبدو أن الصقلي هذا هو عين الصقلي السابق.

مذهب أبي نواس:

وإذا بلغتِ المرتضى فتسيبي		إذ ليس يُحْوِجُني أسومُ رحيلا

والمرتضى يحيى بن تميم بن المعز بن باديس.

وله كتاب مختصر في القوافي، رواه عنه السلفي في سنة سبع عشرة وخمسمائة، وله كتاب «مخارج الحروف» مختصر أيضاً، وكتاب «مختصر العمدة» لابن رشيق، وكتاب «شرح الإيضاح»، وقال عثمان الصقلي في مختصره للعمدة، وقد ذكر السرقات فقال لي من قصيدة أولها: «نقلتها من خطه، وقد أعلم عليه ع، وهي علامة لنفسه»:

دمعٌ رأى بَرْقَ الحمى فتحدَّرا		وجوىً ذكرتُ له الحمى فتسعَّرا
لولم يكن هجرٌ لما عَذُبَ الهوى		أنا أشتهي من هاجري أن يهجرا
بيني وبين الحبِّ نسبةُ عنصرٍ		فمتى وصلتِ وصلتِ ذاك العنصرا

قال: ثم وجدت للموصلي:

إذا لم يكن في الحبِّ سخطٌ ولا رضا		فأين حلاواتُ الرسائلِ والكتبِ

قال: ولله در القائل:

بُنِيَ الحبُّ على الجورِ فلو		أنصف المحبوبُ فيه لسمجْ
ليس يُسْتَحْسَنُ في دِينِ الهوى		عاشقٌ يُحْسِنُ تلفيقَ الحججِ

ومما ذكره الصقلي لنفسه في هذا الكتاب أيضاً وقد ذكر المواردة قال: وهو ما ادعي في شعر امرىء القيس وطرفة من كونهما لم يفرق بين بيتيهما إلا بالقافية قال امرؤ القيس: «تجمَّل». وقال طرفة: «تجلد». قال الصقلي: وأعجب من ذلك أني صنعت قصيدة أولها:

يهونُ عليها أن أبيت متيماً		وأصبحَ محزوناً وأضحيَ مغرما

ومنهـا:

صِلِي مُدْنفاً أو واعـديهِ واخلفي فقد يترجى الآلَ من شفه الظما
ضمانٌ على عينيك قتلي وإنمـا ضمانٌ على عينيَّ أن تبكيا دمـا
ليفـدِكِ ما أَسْـأَرْتِ مني فـإنها حُشَاشَةُ صبٍّ أزمعت أن تَصَرَّما

قال: ثم قرأت بعد ديوانَ البحتري فوجدت معظم هذه الألفاظ مبددةً فيه. قال: فإذا كانت أكثر المعاني يشترك فيها الناس حتى قطع ابن قتيبة أن قـوله تعالى: ﴿يريدُ أن ينقضَّ﴾ لا يعبر عنه إلا بهذه العبارة ونحوها فغير مستنكر أن يشتركوا وتتفق ألفاظهم في العبارة عنها، ولكن أبى المولدون إلا أنها سرقة.

قلت: لو قال في موضع «أضحى» من البيت الأول «أمسى» كان أجود ليقابل به «أصبح» ولو قال في البيت الثاني «وقد يشتفي بالآل من شفَّه الظما» كان أحسن في الصنعة وأجود.

79 ـ أبو الحسن علي بن أبي إسحاق إبراهيم بن الوداني[1]

وصفه بالرياسة والنفاسة؛ ومن شعره قوله يصف ليلة:

من يشتـري مني النجـومَ بليلةٍ لا فَـرْقَ بين نجومهـا وصحابي
دارتْ على فَلَكِ السماءِ ونحن قد دُرْنَـا عـلى فَـلَكٍ مـن الآداب
وأتى الصبـاحُ فـلا أتى وكـأنـه شيبٌ أطـلَّ على سـواد شبـاب

ولـه في المشيب:

وبــرغمي لمــا أتــاني مشيبي قلتُ أهلاً بذا الضَّحُوكِ القَطُوبِ
ولعمــري مـا كنتُ ممن يُحَيِّـ ـهِ ولـكـن تـمـلُّقُ الـمـغـلوب

(1) من الخريدة والمختصر وذكره ياقوت في مادة «ودان» وأورد البيت الأول من المقطوعة الأولى وقـال إنه صاحب الديوان بصقلية.

وكان في عهد ابن رشيق وبينهما مكاتبات.

* * *

80 ــ أبو الحسن علي بن أحمد بن زيادة الله السعدي[1]

من «الدرة» شريف الأصل جامع لأدوات الفضل؛ ومن شعره قوله:

إن كان يلهو بشيءٍ عنك يَشْغَلُهُ ... فلا أتيحَ له ما منك يأملُهُ
في كلِّ حينٍ له ذكر يردِّدُهُ ... شوقاً إليكَ وتمثالاً يمثله
لما رأى دونك الأبوابَ مغلقةً ... حاول في غيرها باباً يُوَصِّله
ألقى على جسمه الأسقامَ تنحله ... كيما يَخِفَّ لعلَّ الريحَ تحمله

* * *

81 ــ أبو الحسن علي بن أحمد بن زين الخد الأزدي[2]

من شعره:

تَهَلَّلَ وجهُ الدهرِ بعد قُطُوبِ ... وأشرق نجمُ السَّعدِ بعدَ مغيبِ
وآذنتِ الأيامُ إيذانَ مُنْعِمٍ ... بإسعاد صبٍّ أو قفولِ حبيب
فبتُّ رحيبَ الصدر ذا أريحيةٍ ... ومن قبلُ ما قد كان غيرَ رحيب
ومما شجا قلبي وشيَّبَ مَفْرِقي ... مراغمةٌ من قبلِ حينِ مشيبي
كتابٌ أتاني فيه غَدْرُ أحبَّةٍ ... وَفَيْتُ لهم في حضرةٍ ومغيب

* * *

(1) من المغرب.
(2) من المختصر وذكره ابن ميسر في تاريخ مصر: 63 وقال إنه كان يلقب بمصطنع الدولة وقد أرسله الخليفة الفاطمي سنة 517 إلى رجار الثاني ملك صقلية في خلاف نشأ بينه وبين الحسن بن علي صاحب المهدية، فأصلح مصطنع الدولة بينهما.

82 ــ أبو الحسن علي بن بشرى اللغوي الكاتب الصقلي[1]

من أهلها المقيمين بها. كان في النظم والنثر سابقاً لا يجارى، وفي اللغة والإعراب لا يبارى.

وله من الشعر[2] قوله:

وتعجبني الغصونُ إذا تَثَنَّتْ ... ولا سِيمَا وفيهنَّ الثمارُ
إذا ارتجَّتْ نهودٌ في قدود ... فقلْ للحلمِ قد ذَهَبَ الوقار

ومنه قوله[3]:

ملكتني المدامةُ الخندريسُ ... وغزالٌ يرنو وَغُصْنٌ يميس
إنما تملك النفوس فتعصي ... ناصحيها ما تشتهيهِ النفوس
قد ألفتُ الصِّبا وإن لحظتني ... فيه من عاذلي لواحظُ شُوس
ربَّ يومٍ لهوتُ فيه بأبكا ... رٍ حسان كأنهن شموس
حضرتنا السعودُ فيه وغابت ... عن ذرانا فلم تَطِرْنا النحوس
للقماري به غناءٌ وللرو ... ضِ ابتسامٌ وللغيومِ عبوس

وقوله يصف البرق:

بدا البرقُ من نحوِ الحجاز مذكراً ... بسلمى وَسُعْدَى والتذكُر يُنْصِبُ
يلوحُ على لون الدجى فكأنه ... سيوفٌ على زُرْقِ الثياب تقلب
فللّه برقٌ عَذَّبَ القلبَ لمعُهُ ... أكلُّ محبٍّ بالبروقِ معذَّبُ

* * *

---

(1) ترجمته في إنباه الرواة 2: 234 (رقم: 439) وفيه القطعة الأولى والثانية.

(2) البيتان في المغرب.

(3) هذه القطعة والتالية لها من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1: 129).

83 ــ علي بن جعفر بن علي السعدي الصقلي
المعروف بابن القطاع اللغوي النحوي الكاتب(1)

مولده بصقلية، فاضل ابن فاضل، ولد بصقلية في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، وقرأ الأدب على فضلائها كابن البر اللغوي وأمثاله. وأجاد النحو غاية الإجادة، وصنف التصانيف الجميلة، ورحل عن صقلية لما أشرف على تملكها الفرنج، ووصل إلى مصر في حدود سنة خمسمائة. وأكرم في الدولة المصرية. وتصدر للإفادة والاستفادة. وقد كان نَقَدَةُ المصريين يَسِمُونَهُ بالتساهل في الرواية، فمن ذلك أنه لما دخل إلى مصر سئل عن كتاب «الصحاح» في اللغة للجوهري، فذكر أنه لم يصل إليهم، ثم لما رأى اشتغال الطلبة به ورغبة الناس فيه ألف طريقاً في روايته، وأخذ الناسُ عنه مقلدين له، إلا الأقل من محققي النقل في ذلك الوقت.

وكان ذكياً، قال الشعر صبياً سنة ست وأربعين وأربعمائة، فمن شعره ما قاله في الغزل، وأضمر اسم حمزة:

يا من رمى النار في فؤادي ... وأنبط العين بالبكاء
اسمك تصحيفه بقلبي ... وفي ثناياك بُرْءُ دائي
اردُدْ سلامي فإن نفسي ... لم يبقَ منها سوى ذَماء
وارقق بصبٍّ أتى ذليلاً ... قد مزج اليأسَ بالرجاء
أنهكه في الهوى التجنّي ... فصار في رقةِ الهواء

أقام بمصر على الإفادة والتصنيف إلى أن مات بها في حدود سنة خمس عشرة وخمسمائة.

فمن تصانيفه: كتاب «تهذيب أفعال ابن القوطية» في اللغة، كتاب «شرح

(1) ترجمته في إنباه الرواة 2: 236 (رقم: 441) وستأتي ترجمته في معجم الأدباء وله ترجمة في وفيات الأعيان، وقد ترجم له في الخريدة والمختصر والمغرب.

الأمثلة»، كتاب «الدرة الخطيرة في شعر أهل الجزيرة»، كتاب «المجموع الأدبي» له.

أنبأنا أبو طاهر السلفي الأصبهاني نزيل الإسكندرية في إجازته العامة؛ سمعت أبا الحسن هبة الله بن علي بن الحسن الكاتب الفرضي بمصر يقول: سمعت أبا القاسم علي بن جعفر بن علي اللغوي الصقلي يقول: كتب إليّ أبو الفضل يوسف بن حسداي الوزير الهاروني بسرقسطة من مدن الأندلس حين دخلها:

أعيذك بالله من فاضل ... أديب تداهى على صحبه
فأعرض محتقراً بزَّهُمْ ... وكلٌ ينافسُ في جلبه
فلما أذاع لدينا سرا ... ئر ما كان أُودِعَ في قلبه
جلا كل معجزة من نظيم ... لآلئه وحلى عصبه
فهل جاز سمعاً ولم يلهه ... ومرَّ بقلبٍ ولم يُصْبِهِ!

فأجبته مرتجلاً:

بدأتَ بفضلٍ أتاه الكريم ... ولا غروَ منك ابتداءٌ به
لأنك مُغْرًى بفعل الجميل ... مُهِينٌ لما عزَّ في كسبه
أتتنيَ أبياتُك الرائقاتُ ... بشأوٍ بعيد على قربه
ونظم جلا النظم في أُفْقِهِ ... وحلَّى له الجديَ في قطبه
فأنطقني حُسْنُهُ واجترأتُ ... وقلتُ من الشعر في ضربه
وعوَّلتُ فيه على فضله ... وما خصَّه الله من إربه

• وذكر القاضي الموفق يوسف بن الخلال كاتب الإنشاء في الدولة القصرية بالديار المصرية أبا القاسم علي بن جعفر بن علي السعدي المعروف بابن القطاع هذا، قال: مولده بجزيرة صقلية سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، ووفاته بمصر سنة خمس عشرة وخمسمائة.

نقل من خط الشيخ أبي القاسم علي بن جعفر بن القطاع حكاية هذا

معناها: رأيت في المنام كأني جالس مع الفقيه عبد الرحمن بن أبي بكر السرقوسي إذ دخل علينا شاب ومعه غلام أسود طوال، فسلم وجلس، فقال له الفقيه: ما هذا العبد الأسود؟ فقال: اشتريته للخدمة، فقال له الفقيه: ما يصلح هذا للخدمة، فقال له الشاب: هذا هو المال، فقال الفقيه ارتجالاً:

* قد جاء عبّاد بعبدٍ له *

ثم قال: أجز، فقلت:

* فقال لي هذا هو المالُ *

فقال الفقيه:

* فقلت إن العذر في مثله *

ثم قال: أجز، فقلت:

* يصعبُ والإنسان يحتال *

فقال الفقيه:

* والناسُ قد قالوا ومن ذا الذي *

وقال: أجز، فقلت:

* يَرُدّ قِيلَ الناسِ إن قالوا *

وانتبهت.

ومن شعره قوله في قصيدة(1):

فلا تنفدنَّ العمرَ في طلب الصبا ... ولا تشقينْ يوماً بسعدى ولا نعم
[ولا تندبنْ أطلالَ مية باللوى ... ولا تسفحنْ ماءَ الشؤونِ على رسم]
فأن قُصارى المرءِ إدراكُ حاجِهِ ... وتبقى مَذَمَّاتُ الأحاديثِ والإثم

وقوله من أخرى:

قهوةٌ إن تبسمتْ لمزاجٍ ... خلتَ ثغراً في كاسها لؤلؤيا

---

(1) من هنا مجموعة من شعره من الخريدة والمختصر والمغرب.

فاصطبحها سلافةً تتركُ الشيـ ـخَ إذا ما أصاب منها صبيا
واغتنم غفلةَ الزمانِ فإن الـ ـمرءَ رهنٌ ما دام يوجد حيا
قطع العذر يا عذولي عذارٌ كهلالٍ أنار بدراً سويا

وقوله من أخرى في مدح الأفضل أولها:

صاحبيَّ وا أسفا ذي ديارها فقفا
واسمعا أبثكما من حديثها طرفا

وقوله من أخرى:

فيا نفس عَدِّي عن صِباك فإنه قبيحٌ برأسٍ بالمشيبِ معممِ
أفقْ إنَّ في خمسين عاماً لحجَّةً على ذي الحجى إن لم يكنْ قلبه عمي

وقوله من أخرى:

من ذا يطيقُ صفاتِ قومٍ مجدهُمْ وسناهمُ من عهدِ سامٍ سامِ
وحماهم من عهد حامٍ لم يَزَلْ يحميه [منهم] ليثُ غابٍ حامِ

وقوله من أخرى:

إذا ابتسمت يوماً [رأيتَ] بثغرها سموطاً من الياقوت قد رُصِّعَتْ درا
وإن سَفَرَتْ عاينتَ شمساً منيرةً تردّ عيونَ الناظرين لها حسرى
وتسلبُ عيناها العقولَ إذا رنت كأن بعينيها إذا نظرتْ سحرا

ومنها:

ألا إنما البيضُ الحسانُ غوادرٌ ومن قَبُحَتْ أفعالُهُ استحسنَ الغدرا
يملنَ إلى سودِ القرون وميلها إلى البيضِ منها كان لو أنصفتْ أحرى

وقوله في وصف الزمان:

رمانةٌ مثل نَهْدِ العاتقِ الريمِ تُزْهَى بلونٍ وشكلٍ غيرِ مسؤومِ

كـأنها حُقَّـةٌ من عسجـدٍ مُلِئَتْ	من اليـواقيتِ نثراً غيـرَ منـظوم

وقولـه :

أنت كـالموتِ تـدركُ النـاسَ طـراً	مثلمـا يـدركُ الصبـاحَ المسـاءُ
كيف يـرجُـو مَنْ ذا أخفتَ نجـاءً	منـك هيهـاتَ أين منـكَ النجـاةُ

وقوله في لثغة :

وشـادنٍ فـي لسـانِـهِ عُـقَـدٌ	حَـلَّتْ عقـودي وأوهـنتْ جَـلَدِي
عـابـوه جهـلاً بهـا فقلت لـهم	أمـا سمعتم بـالنفثِ في العُقَـدِ

وقولـه :

أقبـل الصبحُ وصـاح الـدِّيَكَـهْ	فـاسقنيهـا قـهـوةً مُنْسَفِـكَـهْ
قـهـوةً لـو ذاقـهـا ذو نُـسُـكٍ	لـزم الـفتـكَ وخـلَّى نسـكـه
فـأهِـنْ دنـيـاكَ تـعْـزِزْكَ ولا	تتـرِكِ المـالَ كمن قـد تـركـه
واغـتنـم عُمْـرَكَ فـيهـا طـائـراً	قبـل أن تحصـلَ وَسْطَ الشبكـه

وقولـه :

انـظر إلى المـاءِ حـامـلاً لهبـاً	وآعـجبْ لـنـارٍ تضـيء في مـاءِ

وقولـه :

شـربـتُ دُرْيَـاقـةً لـلهـ	ـموم إذا لـمستـنـي
دبَّتْ بجسمي فـأرْدَتْ	هـمـومَـهُ وشـفـتـنـي
قـتـلتُـهَـا بـمـزاجٍ	وبـعـد ذا قـتَـلَتْـنـي
كـأنـمـا طـلبـتـنـي	بـالـثـارِ إذ صـرعـتـنـي

وقوله في الزهد:

تنبَّهْ أيها الرجلُ النؤومُ فقد نجمتْ بعارضِكَ النجومُ
وقد أبدى ضياءُ الصبحِ عمَّا أجنَّ ظلامه الليلُ البهيم

عنى بالضياء الرشاد، وبالصبح الشيب، وبالظلام الغي، وبالليل الشباب:

فلا تغررْكَ يا مغرورُ دنيا غَرورٌ لا يدومُ لها نعيمُ
ولا تخبطْ بمعوج غَمُوضٍ فقد وضح الطريقُ المستقيم

ومنه:

يا ربَّ قافيةٍ بِكْرٍ نظمتُ بها في الجيد عقداً بدرٍّ المجدِ قد رُصِفَا
يودُّ سامِعُهَا لو كان يسمعها بكلِّ أعضائه من حُسْنها شَغَفا

ومنه:

إياكَ أن تدنوَ من روضةٍ بوجنتيه تُنْبِتُ الوردا
واحذرْ على نفسِكَ من قربها فإن فيها أسداً وردا

ومنه:

ألا إنَّ قلبي قد تضعضعَ للهجر وقلبيَ من طولِ الصدودِ على الجمر
تصارمَتِ الأجفانُ منذ صَرَمْتَني فما تلتقي إلا على دَمْعَةٍ تجري

***

83 ب ـ علي بن جعفر بن علي السعدي(1)

يعرف بابن القطاع الصقلي، وكان مقيماً بالقاهرة من مصر، يعلّم ولد

(1) هذه ترجمة ثانية لابن القطاع من معجم الأدباء 12 : 279، وقد ترجم له ابن خلكان =

الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي وزير الملقب بالآمر بالله الذي كان بمصر متغلباً. ومات ابن القطاع سنة أربع عشرة وخمسمائة بمصر، ومولده سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، وكان إمام وقته ببلده وبمصر في علم العربية وفنون الأدب. قرأ على أبي بكر محمد بن البر الصقلي.

وكان مما روي عنه «كتاب الصحاح» لإسماعيل بن حماد الجوهري، ومن طريقه اشتهرت رواية هذا الكتاب في جميع الآفاق، ولابن القطاع عدة تصانيف منها: «كتاب الجوهرة الخطيرة في شعراء الجزيرة» - يعني جزيرة صقلية - اشتملت على مائةٍ وسبعين شاعراً وعشرين ألف بيت شعر، و«كتاب الأسماء في اللغة» جمع فيه أبنية الأسماء كلها، و«كتاب الأفعال» هذَّبَ فيه «أفعالَ» ابن القوطية و«أفعالَ» ابن طريف وغيرهما في ثلاث مجلدات، وله حواش على «كتاب الصحاح» نفيسة وعليها اعتمد أبو محمد بن برّي النحوي المصري فيما تكلم عليه من حواشي «الصحاح»، وكتاب «فرائد الشذور وقلائد النحور» في الأشعار، و«كتاب العروض والقوافي»، و«كتاب تاريخ صقلية»، و«كتاب أبنية الأسماء والأفعال»، ولابن القطاع أشعار ليست على قدر علمه.

* * *

84 ـ علي بن الحسن بن حبيب اللغوي الصقلي أبو الحسن[1]

من أهلها المقيمين بها، أحد رجال اللغة المعدودين والعلماءِ المبرزين، وممن تناول المرمى البعيد بقريب فهمه، وأوضح المبهماتِ بنورِ علمه، وكان

= (3 : 322) ورفع في نسبه إلى عدنان، والسعدي نسبة إلى سعد بن زيد مناة بن تميم. وقال: لما رحل إلى مصر بالغ أهل مصر في إكرامه، وكان نسبه إلى التساهل في الرواية، وله شعر كثير.

(1) ترجمته في إنباه الرواة 2: 255 (رقم: 455) وفيه البيتان، وله ترجمة في معجم الأدباء 13: 78 وله ذكر في المختصر.

مضطلعاً بنقد الشعر ومعانيه، ناهضاً بأعباء الغريب ومبانيه؛ فمن شعره:

أهـابُ الكأسَ أشـربُهَا وإنِّي ... لأجْرَأ من أسـامـةَ في النـزالِ
أراوغـهـا مـراوغـة كـأنّـي ... أُلاقي عنـد ذاك شَبَا العـوالي

* * *

85 ــ أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي سعيد القاضي سهل بن مهران[1]

أحد المطيلين المحسنين والمداح المجيدين، فمن شعره قوله يمدح الأمير أبا القاسم علي بن الحسن[2] الكلبي ملك صقلية ويعتبه من قصيدة أولها:

مـرادك من قُرْبِ الحبيبِ المبـاعدِ ... ضمانٌ على طَيْفِ الخيالِ المعاودِ
ألمَّ قُبيـلَ الصبـحِ يجلبـه الـدجى ... على رقبةٍ خوفَ العيـونِ الرواصـد
فـأطمـعَ مشتـاقـاً وعلَّلَ مـدنفـاً ... عـديمَ الأَسَى فيه قليـلَ المساعـد
وبـات فمـا زالت ذراعي وسـادَةً ... تلي جيـدَهُ المعـطارَ دون المسـاود

* * *

86 ــ أبو الحسن علي بن الحسن بن الطوبي[3]

ذكر أنه إمام البلغاء، وزمام الشعراء، مؤلف دفـاتر، ومصنف جـواهر، ومقلد دواوين، ومعتمد سلاطين. سافر إلى المشرق، وحل منـه في الأفق،

(1) من المختصر.
(2) تولى صقلية بعد أخيه أحمد فوصل إليها في نصف شعبان سنة 359 وفي سنة 360 أرسل إليه المعز سجلاً باستقلاله بولاية صقلية، وكان كثير الغزو في الأرض الكبيرة واستشهد عام 372.
(3) من الخريدة والمختصر والمغرب وذكره التجيبي في شرح المختار من شعر بشار.

وكان في زمان المعز بن باديس عنفوانه، ولـه فيه قصيدة رصع بهـا ديوانـه [ومنها]:

أجـارتنـا شُـدِّي حـزيمَـكِ للتي | هي الحزمُ أولا تعذلي في ارتكابها
وكفي فـإن العـذلَ منـكِ زيـادةً | عليَّ كفى نفسي الحـزينةَ مـا بها

ومنهـا:

وإمـا المنى أو فـالمنيـةُ إنهـا | حيـاةُ لبيبٍ لم ينـل من لبـابهـا
وهـل نعمـةٌ إلا بِبُـوسَى وإنمـا | عـذوبةُ دنيـا المرءِ عنـد عذابهـا
سـآوي إلى عـزِّ المعـزِّ لعـله | سيأوي لنفس حرة في اكتئـابهـا
إليك معزَّ الـدين وابنَ نصيره | حملتُ عقودَ المدح بعد انتخابها
وأثوابَ حمدٍ حُكْتُ أثوابَ وشيها | على ثقـةٍ مني بعـظم ثـوابهـا

ولـه من قصيدة:

أجـارتنـا إنَّ الـزمـانَ لجـائـرٌ | وإن أذاه لـلكـرامِ لـظاهـرُ
أجـارتنـا أن الحـوادثَ جَمَّـةٌ | ومن ذا على رَيْبِ الحوادثِ صابر

[ومنهـا]:

أجيـرانـنـا إن الـفؤادَ لـديـكم | لثـاوٍ وإن الجسم عنكم لسـائـر
أأتـركُ قلبي عنـدكم وهـو حـائـرٌ | وآخـذُ طرفي منكمُ وهـو سـاهـر
كذا يُغْلَبُ الصبرُ الجميلُ كما أرى | ويخسرُ في بيـعِ الأحبـة تـاجـر

ولـه:

أعـددتُ للدهر إذ أَرْدَتْ حـوادثُهُ | عـزماً يَحُـلُّ عليـه كـلَّ مـا عقـدا
وصـارماً تتخـطى العينُ صورتَـهُ | كـأنما ذاب من حـديـه فـارتعـدا
وذابـلاً تُـوضِـحُ العليـا ذُبَـالَتَـهُ | كـأنهـا نجمُ سعـدٍ لاح منفـردا

ونشرةً ليس للريح المضيّ بها　　　إلا كما عرضت للنّهْيِ فاطردا
وسابحاً لا تروعُ الأرضَ أربَعُهُ　　　كأنه ناقدٌ مالاً قد انتقدا
فذاك مالٌ متى يحرزه وارثه　　　فخير ما وَجَدَ الإنسان ما وَخَدَا

ولـه:

سل الليلَ عني هل أنامُ إذا سجا　　　وهل مَلَّ جنبي مضجعي ومكاني
على أنني جَلْدٌ إذا الضُرُّ مسني　　　صبورٌ على ما نابني وعراني

ولـه في الغزل:

ما أحسبُ السحرَ غيرَ معناها　　　والعنبرَ الجَوْنَ غيرَ رَيَّاها
إنا جهلنا ديارها فبدا　　　من عَرْفها ما به عرفناها
كأنما خَلَّفَتْ بساحتها　　　منه دليلاً لكلِّ من تاها
لا كَثَبُ دارُهَا فأغشاها　　　ولا فؤادي يَريمُ ذكراها

ومنها:

الموتُ أَوْلَى متى قضيتُ بها　　　نحبي فمحيايَ في محيَاها
وأغبطُ الماءَ حين ترشُفُهُ　　　إذ كان دوني مقبِّلاً فاها

ومنها:

وما ثنائي على قَلائدها　　　إلا بأنْ أشبهتْ ثناياها
. أجزعُ من عَتْبها ويبعثني　　　كَرْهاً إليها طلابُ عتباها
دُنُوّها منكَ من شمائلها　　　وبُعدها منكَ من سجاياها

ولـه من أخرى أولها:

رأى نورَهَا أو رأى نارَهَا　　　فلما تجلَّى اجتلى دارها
وقد ضرب الليلُ أرواقه　　　وأرختْ دياجيه أستارها

فقلْ في جمالٍ يضيءُ الدجى ... وَيُغْشِي النجومَ وأنوارها

ومنها:

وشاطرةٍ ردفها شَطْرُهَا ... وما يبلغ الخصرُ معشارها

ومنها:

فيا لك عصراً قطعنا به ... ليالِيَ تشبهُ أسحارها
ولذاتِ عيشٍ مضى عَيْنُهَا ... فها أنا أطلبُ آثارها
فها هي لم يبقَ منها سوى ... أحاديثَ أعشقُ تكرارها
قضيتُ الصبا دَيْنَ أوطارِهِ ... ولم تَقْضِ نفسيَ أوطارها

وله من أخرى:

أما من وقفةٍ أم من مقامٍ ... أبثك عنده داءً دخيلا
جفوتَ فضاقتِ الدنيا وكانت ... عليَّ رحيبةً عرضاً وطولا
لعلك يا قضيبَ البان يوماً ... تمهد في ظلالك لي مقيلا
أما لو كان قلبك من صَفَاةٍ ... لشيَّعني على حُبِّي قليلا
ولكني دُفِعْتُ إلى حديدٍ ... يُطَوِّلُ - كلما قُرِعَ - الصليلا
لئن أنبطتَ من عيني دموعاً ... لقد أذكيتَ في قلبي غليلا
فيا عجباً دموعٌ ليس تَرْقَا ... ووجدٌ ليس يمكنُ أن يزولا
ولم أسمعْ بأن حَياً توالى ... على أرض تزيدُ به مُحُولا

أين هذا من قول القاضي أبي بكر الأرجاني حيث قال وابتكر المعنى:

يروِّي ضاحِيَ الوجناتِ دمعي ... ويعدلُ عن لهيبِ جوىً دخيلِ
وما نفعي وإن هطلَتْ غيوثٌ ... إذا أخطأن أمكنةَ المحول

ولأبي الحسن الطوبي:

خالسْتُهُ نظراً تحمّل بيننا نجوى هوىً خفيتْ على الجلّاسِ
فاحمرَّ ثم اصفرَّ خيفةَ كاشح فِعْلَ المدامةِ عند مزج الكاسِ

ولـه:

أيا رَبِّ قَرِّبْ دارَهَا ونوالَهَا وإلا فأعظم إن هلكتُ بها أجري
ويا ربِّ قدِّر أن أعيشَ بأرضها وإلا فقدِّر أن يكونَ بها قبري

ولـه:

هبني أسأتُ فأين إقـ ـراري بذنبي واعتذاري
هلاّ سألتَ عن الجفا ء غِناكَ عني وافتقاري
لو أن غيرك رام غد راً [بي] لكان بكَ انتصاري

ولـه:

ارفق بعينيك فإنَّ الذي ضُمِّنتا من سَقَمٍ زائدُ
فاستودع اللحظَ لأجفانها فهي مراضٌ وهو العائد

ولـه أيضاً:

وعيشٍ هززناهُ هزَّ النسيمِ قضيبَ الأراكةِ عند الهبوبِ
مزجناه باللهو مَزْجَ الكؤوسِ بشكوى الهوى وَرُضابِ الحبيب
فيا لكَ عصراً قضينا به حقوقَ الشبيبة دون المشيب

ولـه في العذار:

البدرُ في أزرارِهِ والغصنُ في زنّارِهِ
وكأنما فُتَّ العبيـ ـرُ على مَخَطِّ عذاره

ولـه أيضاً:

يـا عـاذلي أنت الخليُّ فخلِّني — وَحَشاً عليه من الصبا [بِهِ] نـارُ
كيف السلو وكيف صبري عندما — قـامتْ بعـذري قـامـةٌ وعـذار

ولـه في الخمر وغيرها من قصيدة:

قضيتُ أوطـارَ نفسي غيـرَ مُتَّـرِكِ — ولم أقفهـا على لَحْـقٍ ولا دَرَكِ
وكم رددتُ على العذالِ ما سهروا — في حَوْكِهِ وهو لـم ينجحْ ولـم يَحِكِ
وكم غدوتُ إلى الحاناتِ منهمكاً — بكـلِّ غـادٍ إلى اللذاتِ منهمـك
أُهينُ مـالي وأُغلي الـراحَ دونهمُ — في ظلِّ عيشٍ كما يهوون مشترك
ومسمعاً يجمعُ الأسماعَ في قَرَنٍ — من صوت غِرٍّ عليـه لحنُ مُحْتَنِكِ
وسـاقياً تـركبُ الصهبـاءَ نـظرتُـهُ — إلى صريـعٍ من الفتيـان منبتـك
غـدا يُصَـرِّفهـا فينـا ويمـزجُهَـا — فنحن وهيَ مع الأيام في ضحك
والمـاءُ يحذَرُ منهـا أن تطيـرَ فقد — صاغ الحبابُ عليها صيغةَ الشبك

ومنهـا:

كـأنهـا جـوهـرٌ في ذاتِـهِ عَـرَضٌ — قـد شيب مُنْسَبِكٌ منـه بمنسبـكِ
فاسمعْ بعينيك منها مثلَ ما سمعت — أذناك ما قيل عن نُوحٍ وعن لَمَك
ولـيلةٍ بـتهـا والأرضُ عـامـرةٌ — حولي بحورٌ وبانٌ ماس في نبـك

ومنها في الدبيب:

والكاسُ تخدعهم عني وقد نذروا — بـأنني غيرُ مـأمـونٍ على التكـك
حتى إذا امتـلأوا منها ومـال بهم — أَخْذُ الكرى وتداعَى كلُّ ممتسك
دببتُ أكتمُ في أنفـاسهم قـدمي — كأنني بينهم ماشٍ على الحسك
وقد تخلَّص غيـي من يَدَيْ رَشَدِي — فيهم وأُطْلِقَ فتكي من عُرَى نُسُكي
فبتُّ أنقدُ مما خُـوِّلـوا سككـاً — وكنت قدماً أجيـد النقدَ للسكـك

وقــد وثقتُ بعفــوِ الله عن زللي　　　فمـا أُبالي بمـا خَطَّتْ يـدُ الملك

ولـه من أخرى في الخمر:

وصهبـاءَ كالإبـريز تبصرُ كاسَهَـا　　　من اللمع في مثلِ الشراعِ الممدَّدِ
كما حفَّ نورُ البدرِ من حولِ هالةٍ　　　وفاض لهيبُ الشوقِ من قلبِ مكمد
إذا ما احتوتها راحةُ المرءِ أمسكت　　　بهُـدَّابِ ظـلٍّ من سنـاهـا مـورد
وإن نـاولتهـا بـالمـزاج يـدٌ عـلا　　　لهـا زَبَدٌ مثـل الدلاصِ المسـرد
إذا مـا تبـدَّى تحسبُ العين أنــه　　　نجومُ لجينٍ لُحْنَ في أُفُقِ عسجد

ولــه:

حـيًّـا بـريـحـانٍ وقــد　　　خَـصِـرَ اللســانُ فنــابَ عَنْــهُ
وفــهـمــتُ مـن مـعـكـوسـه　　　تـأخـيـرَ مـا أبـغـيـه منـه

أحسن من هذا ما طالعته من مجموع في الأترنج:

أتـرنجـة قـد أتتـك تُـهْـدَى　　　لا تَـقْبَـلَنْـهَـا وإن سُـرِرْتَـا
لا تـهـوَ أتـرنـجـةً فـإنــي　　　رأيـت مـقـلوبـهـا هُـجِـرْتَـا

عدنا إلى شعر ابن الطوبي

نبذ من في الأوصاف والتشبيهات

لـه في وصف الثريا:

انــظر إلى الأفق كيف بـهجتُـهُ　　　ولــلثـريـا عـليـه تَـنْـكُـتُـهُ
كـأنـهـا وهي فيــه طـالـعـةٌ　　　قـميصُ وشـيٍ وتلك غُــرْزَتُـهُ

ولـه في الخضاب ومدحه:

بعيشك ما أنكرتَ من ذي صبابـةٍ　　　تحيَّـلَ في ردِّ الصِّبـا فـأعـادَهُ

هب الشيبَ في خدي بياضَ أديمه	زمانٌ شبابي في الخضاب سواده

ولـه في العذار:

قـدٌّ من الأغصـانِ يُشْـرِقُ فـوقَـهُ	وجـهٌ عـليـه بهـجـةُ الأقمـار
وكـأن ممتـدَّ العـذارِ بـوجهـه	لـيـلٌ أُمِـرَّ على ضـيـاءِ نهـار

ولـه:

يـا حبـذا كـأسٌ يكـونُ بهـا	ريـقٌ كـأنَّ ختـامَـهُ مِـسْـكُ
بـاتـتْ تـعـلِّلني بـهـا وبـه	حسنـاءُ مـا في حسنهـا شـك
هـاتيكَ كـالـدنيـا فـلا أحـدٌ	إلا لـهـا بـفـؤادِهِ فـتـك

ولـه في العذار:

قـال العـذولُ التحى فقلتُ لـه	حُسْنٌ جـديـدٌ قضى بتجـديـدِ
أمـا تـرى عـارِضَيْـهِ فـوقهمـا	لامُ ابـتـداءٍ ولامُ تـوكـيـد

ولـه يصف الكاس والحباب:

يـا حبـذا كـأسٌ بَـدَتْ فـوقهـا	حبـابَـةٌ زهـراءُ مـا تـذهبُ
أدارهـا السـاقي فـردُّ الضحى	وانجـابتِ الـظلمـاءُ والغيهب
فقلتُ للشُّـرْبِ انظروا واعجبـوا	من حُسْنِ شمسٍ وسطها كـوكب

ولـه يصف قواداً بحسن الصناعة:

وأحـورَ مـائـلٍ النـظرات عني	دسستُ إليـه من يَسْعَى وسيـطا
فجـاء بـه على مَـهَـلٍ وسـترٍ	كمـا يستـدرجُ اللهبُ السليـطا

ولـه في أبخر:

مُنيتُ ولكنْ أرتجي عَفْـوَ خـالقي	بـأبخرَ ملعـونِ الحـديثِ مـذمَّمِ

إذا همَّ بالقولِ الذي ليس نافعي سمعتُ بـأنفي منه قبـل التكلم
هـو الكلبُ إلا أن في فيـه ريحَـه ولم أر كلبـاً قبلهـا منتـنَ الفـم

***

87 ــ علي بن طاهر بن الرقباني
أبو الفضل اللغوي الصقلي(1)

من أهلها المقيمين بها، حافظ للغة وأيام العرب، جامع لأدوات الأدب. فمن شعره يمدح الأمير صمصام الدولة وقد وصلت إليه ألقاب كثيرة وخلع شريفة من مصر:

من قبلِ ذي الألقابِ كنتَ شريفاً إذ لم تَـزِدْكَ بكثـرةٍ تعـريفـا
لكنهـا عَـذُبَتْ فنحن بـذكـرهـا نـرتـاحُ لـو كـانت تُعَـدّ ألـوفـا
يـا سيـدَ الأمـلاكِ والعلمُ الـذي تـرك القويَّ من العُصَـاةِ ضعيفـا
لا زلتَ مسعـوداً وَجَدُّكَ صـاعداً حتى تُـرَى فـوقَ النجـوم منيفـا

***

88 ــ أبو الحسن علي بن عبد الجبار
المعروف بابن الكموني(2)

من فقهاء صقلية وكان نبيلاً أديباً، وهو القائل يرثي صقلية عند الحادث بها من الفتنة:

[مدينـةٌ] كـانت وكنّـا بهـا في ظـلِّ عيشٍ ناعـمٍ رطبِ

---

(1) ترجمته في إنباه الرواة 2 : 284 (رقم: 463).
(2) ترجمته في ترتيب المدارك 8 : 114.

مَــدَّ عـليهــا الأمـنُ أستــارَهُ فســار ذكـراهـا مـع الـركـب
لـم يشكـروا نعمةَ مـا خُـوِّلـوا فَبُــدِّلـوا الملحَ من العــذب

* * *

89 ـ أبو الحسن علي بن عبد الجبار بن الوداني (1)

من أهل القرآن وسبق ذكر والده وعمه، ومن شعره:

يــا قــانــطاً مــن حــالِــهِ إنَّ الـقـنــوطَ مـن الـبـليَّـهْ
لا تـيـأسـنَّ مـن الـغـنـى لله ألــطـافٌ خــفـيـه

* * *

90 ـ علي بن عبد الرحمن الصقلي النحوي العروضي (2)

نزيل الإسكندرية. عالم بعلمي النحو والعروض، قيِّمٌ بهما، بليغٌ فيهما، مشاركٌ في جميع الأنواع الأدبية، متصدر لإفادة هذا النوع، وله شعر.

أنبأنا أبـو طاهـر السلفي الأصبهاني في إجـازته العـامة قـال: «قال لي أبو الحسن علي بن الحسن بن يوسف الدمراوي اللخمي بالإسكندرية: كنت أقـرأ على أبي الحسن علي بن عبـد الـرحمن الصقلي العـروضي النحـوي، فعملتُ أبياتاً وعرضتها عليه، فأضاف إليها بيتاً واحداً، فالتي لي:

قـالت سعادُ وقـد جـدَّ الـوداعُ بنـا ودمعهـا واكفٌ ينـهـلُّ كـالبـردِ
كم من شجاعٍ بلا سيفٍ ولا تُرُسٍ ومـن جبـان بـآلاتٍ مـن العــدد
ومن كـريـمٍ بـلا مــالٍ يجـودُ بــه ومن لئيمٍ كثيـرِ المـالِ والصفــد

---

(1) من الخريدة.

(2) ترجمته في إنباه الرواة 2: 290 (رقم: 471).

والذي لـه:

جـاد الزمـانُ على هـذا وضنَّ على ... هـذا فـأصبح لا يخلو من الكمـد
إن الأمـورَ على الأقـدارِ جـاريـة ... وكـلُّ ذي أمـلٍ يسعَى إلى أمـد

* * *

91 ــ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أبي بشر الأنصاري الكاتب البلنوبي الصقلي(٦)

له في راقصة:

هيفاءُ إن رَقَصَتْ في مجلسٍ رقصت ... قلوبُ مَنْ حولها من حِـذْقِهَا طَـرَبَا
خفيفـةُ الوطءِ لـو جالتْ بخـطرتها ... في جَفْنِ ذي رَمَدٍ لم يشتكِ الوصبا

وقولـه:

لنـا في كـلِّ مـقترَحٍ وصـوتٍ ... مـنـاجـاةٌ بـأسـرارِ الـقـلوبِ
فنفهمُ بـالـتشـاكـي مـا نـلاقي ... بـلا واشٍ نـخـافُ ولا رقـيـب

وقولـه:

وسـاق كمثـلِ الغـزالِ الـربيب ... بصيـرِ اللحـاظِ بصيـدِ القـلوب
جـسـرتُ عـليـه فـقـبَّـلْتُـهُ ... مجـاهـرةً في حضـور الـرقيب
فـلمـا تـوسَّـد كـفَّ الـكـرى ... وأهـداهُ لـي سكـره مـن قـريب
تـعـجلـتُ ذنـبـاً بـفـتـكـي بـه ... ولـكنـه مـن مـليـحِ الـذنـوب

---

(٦) له ديوان مستقل ومختارات كثيرة في الخريدة وابن الصيرفي والمختصر والمغرب وله ذكر في نهاية الأرب ومناهج الفكر وسرور النفس وقد ضمت هذه الترجمة ما ورد في المصادر المذكورة.

وقولـه:

كتبتَ فهلا إذ رددتَ جوابي جعلتَ الرضا عنّي مكانَ عتابي
لئن كان ذنباً أنني لم أزركمُ لَفَقْدي للقياكم أشدُّ عقاب

ولـه:

زمانـنا منقلبٌ فاسدٌ يرفعُ أهلَ الجهلِ والعُجْبِ
كالنقشِ في الخاتم لا يستوي ختمٌ به إلا مع القلب

ولـه في الشمعة:

ثم قامت مع السقاةِ علينا ناحلاتِ الجسوم صُفْرَ الذوائب
جمدت من دموعها عبراتٍ فهي مثل الحليِّ فوق الترائب
بَليتْ إذ بكت وكلُّ محبٍّ هكذا جسمُهُ من الدمع ذائب

ولـه في الوزير يحيى بن عبد الله بن المدبر:

شيدت للوزراءِ يا ابنَ مدبّر شَرَفاً لهم يبقى على الأعقابِ
وجمعتَ بين طهارةِ الأ خلاقِ والأعراقِ والأفعالِ والأثْوابِ
جعل الإلـه لكلِّ قومٍ سادةً وبنو المدبر سادةُ الكتاب

وقال مسمى وهو تميم وموضعه حرف الباء:

اسم الذي أضحى فؤادي به معذباً صباً بتعذيبه
إن صيَّروا أولَهُ ثانياً غدا اسمه بعضَ صفاتي به

وقال:

الموت في صُحُفِ العشاقِ مكتوبُ والهجرُ من قبلُ تنكيدُ وتعذيبُ
إن طال ليلي فوجْهُ الصبحِ مَطْلِعُهُ من وجه من هو عن عينيَّ محجوب

من لي بـإعـلامـه أني لغيبتـه ذيلُ المدامع في خديَّ مسحوب
كـأنَّ أجفـانَ عيني من تـذكـره غُصْنٌ مَرُوخٌ من الطَّرفـاء مقضوب

وقـال:

الله يعـلم كـيـف سِـرْ تُ ومـا لـقيـتُ وكيـف بـتُّ
حـذراً عـليـك وُقِـيـتُ فـيـ ـكَ من الحـوادث مـا حـذرت
إن لـم تـمـنَّ بـوصـف حـا لـك لـي بخطٍّ يـديـك مـت

وقال مما يقرأ على خمسة أوزان:

وغـزالٍ مشـنـف قـد رثـى لي بَعْـدُ بُعْـدي لمـا رأى مـا لقيتُ
مثل روضٍ مفوَّف لا أبـالـي وهـو عـنـدي في حبـه إذ ضنيت
وجهـه البدرُ طـالعـاً تـاه لـمـا حـازَ ودّي فـإنني قـد شقيت
في قضيبٍ مهفـهفٍ لـذَّ فـيـه طـولُ وجدي جفـا فكـدتُ أموت
مـانعٌ غيـر مسعفٍ لـيس يـأبـى نَقْضَ عهـدي وليس إلا السكـوت
جـائرٌ غيـر منصِف حـال عـمـا كـان يُـبْـدي إن الـوصال بخوت

أنشدنا ابن حمود قال، أنشدنا أبو الحسن لنفسه:

قـمـرٌ حييت بقـربـه وحـيـاةُ مثـلي مـوتُـهُ
أبكـاه شكـواي الضنـى لا كنتُ حين شكـوتـه
فـلقـد جـرحـتُ فـؤاده بـعـتـابـه وأسـوتـه
حتى إذا لـيـلُ الـدجى عـنـي تـدارك فـوتـه
رصَّعْتَ من فضـل العـمـامـة تـاجَـهُ فـجلوتـه
ونـسـجـتُ من حُـلَل الغـوالـي حُـلَّةً فـكسـوتـه
وكـتبـتُ وشيـاً خـفـت فـألَ حـروفـه فـمحـوتـه
والكـاسُ تنهبُ روحـهـا والعـودُ يخفت صـوتـه

والنـد مضـروبُ السـرادقِ بـالعبيـر حَشَـوْتُـهُ
ورأيـتُ مـاءَ الـورد مُـزّقَ ثـوبـه فـرفـوتـه
والـبـدرُ يـرقـبـنـي ولـولا غـيـرتـي لـدعـوتـه
زمـنٌ صفـا لـي عيشُـهُ فـطربـتُـهُ ولـهـوتـه
ووصـفـتـهُ بـلسـانِـهِ فـمـدحـتـه وهـجـوتـه
عَـوَّذْتُ بـالـقـرآن مَـنْ عُـلِّقْـتُـهُ فـبـلوتـه
يـا ربّ لـو داركـتـنـي بـعـذارِهِ لـسـلوتـه

أنشدنا ابن حمود قال، أنشدني أبو الحسن لنفسه:

أفدي الذي زارني من بعد هجرتـه ورقَّ لـي إذ رأى آثـار جَـفْـوَتِـهِ
فنلتُ في قـربه الـدنيا بـأجمعها ومـرَّ أسعـدُ وقتٍ لـي بـرؤيتـه
كـأنَّ أوتـارَهُ إذ بـاتَ يُـعْمِـلُهَـا قـد اكتست مُلَحاً من حسن نغمته
ما أطيبَ الكاس للنـدمان من يـده مـمـزوجـةً بجنى فيـه ونكـهتـه

وكتب أبـو سليمـان هبـة الله الكـاتـب إلى أبـي الحسن عـلي بن عبد الرحمن بن أبي البشر الأنصاري الصقلي:

فـديتُـكَ مـا هـذا القِلَى والتجنبُ فـإن تـكُ ذا عَتْبٍ فـإني مُعْتِبُ
وإن تكنِ الأخرى فَعُدْ لي إلى الرضى فـودُّكَ لي من بـاردِ المـاء أعـذب
وإن اصطباري عنك صعبٌ مرامُـهُ ولا سِيَّمـا في حينِ نلهـو ونلعب

فأجابه علي بن أبي البشر:

وعيشـكَ مع علمي بـأنـك تمـزحُ لقـد نـالني من ذاك وَجْـدٌ مبـرِّحُ
ووالله مـا فـارقتُ أمـركَ سـاعـةً ومـا لي عمـا تـرتضي متـزحـزح
وإني على قُـرْبِ المـزار وَبُعْـدِهِ حليفُ اشتيـاقٍ ليس ينـأى فيبـرح
فـلا عيشَ لي إلا بـظلك يُجْتَنى ولا لهـوَ لي إلا بـزنـدكَ يقـدح

ومـا كـان إلا مـا تحققت علمـه	على أنني منه إلى العذر أجنـح
ولكنني من بعـد ذا لا بـكَ الأذى	حليفُ ضنىً أمسي بـه ثم أصبـح

أنشدنا ابن حمود قال، أنشدني أبو الحسن لنفسه:

يـا مَنْ إذا عُـذْتُ في ليلي وكربتـه	بـذكره شملتني سـاعةُ الفـرجِ
لا تـطَّرِحْ مهجتي للشـوقِ يتلفهـا	فالشوقُ ليس بمأمونٍ على المهـج

أنشدنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن يحيى بن حمود الخريمي بالإسكندرية، قال: أنشدنا أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الصقلي الكاتب لنفسه ويعرف بالبلنوبي النحوي الأنصاري:

هـل على ذي شبيبـةٍ من جُنَـاحِ	في تمـاديه خـطوةً في المـزاح
أيهـا الـلائمُ الـذي حَسِبَ اللومَ	صـلاحـاً مـا فيـه لي من صـلاح
خـلِّني اغـتنـمْ سعـادةَ عـمـري	في اغتبـاقٍ مـردَّدٍ واصـطبـاح
قبـل أن يعقـد المشيبُ بفـوديَّ	لجـامـاً يكـفِّني عن جِـمَـاحِي
إن أكنْ في الهـوى معنًّى المعنَّين	فـقـد صـادني مـليـحُ المـلاح
لستُ بـالـراح مستهـامـاً ولكن	بـغـلامٍ سـعـى إلـيَّ بـراح
بـغـلامٍ مثـل الـفتـاة غـريـرٍ	أو فـتـاةٍ مثـلِ الـغـلامِ رداح
أنـا صـاحٍ من خمـرةٍ غيـرَ أني	لستُ من خمـرِ مقلتيـه بصـاح
فضحتنـا المـدامُ بين النَّـدامى	حبـذا هَتْكَتي بـه وافتضـاحي
كـلّ حُسْـنٍ بـه يبـاهي بضـدّ	خَرَسُ الحِجْلِ مثلُ نُطْقِ الوشاح
ومتى مـا نـظرتُ نَـزَّهْتُ طـرفي	فـي شقيـقٍ ونـرجـسٍ وأقـاح
فـكـأنَّ الإلَـه إذ خـلق الـخـلقَ	بـراه لـفتـنـتي بـاقـتـراحـي
يا بني الموفقي جُزْتُمْ مدَى الشكـرِ	وفـتُّـمْ خـواطـرَ الـمـداح
بـنفـوسٍ مـخلوقـةٍ مـن مَعَـالٍ	وأكـفٌّ مـخـلوقـةٍ مـن سـمـاح
كـلُّ بـدرٍ تـبلج الـمجـدُ منـه	عن حيـا مُزْنَـةٍ وضـوءِ صبـاح

كتب الجــودُ في المكــارم منكــم صحفاً ما لها مدى الدهر ماح
بـأيادي محمــدٍ أصبح الشعــرُ خـطيـرَ الأثـمـانِ والأربـاح
كاد فيـه المـديـحُ يخـطرُ زهـواً بين عـرْض حِمًى ومـالٍ مبـاح
وثـنـاءٍ نـظمتُـهُ في معـاليـه كـثيـرِ الحجـولِ والأوضـاحِ
بمعــانٍ مثـلِ الكـواكب زُهْـرٍ وقـوافٍ خـفـيـفـةِ الأرواح
هـو جَمُّ الآدابِ جَـزْلُ المسـاعي فـي غـدوٍّ من الـعـلى ورواح
هـضبـةٌ من شـهـامـةٍ ووقـار روضـةٌ مـن فـكـاهـةٍ ومـزاح
يسـرحُ الحلم في جوانبِ صـدرٍ منه رحبِ الحمى فسيحِ النواحي
ذو اعتزالٍ عن الخَنَا وانقبـاضٍ وانبسـاطٍ إلى الندى وانشـراح
يمنحُ النائـلَ الجزيـلَ ويرتـاحُ اشتيـاقـاً للزائـر المرتـاح
عَـطِنٌ للوفـود خَـيَّـمَ فـيـه مستميـحٌ لنـائـل مستمـاح
حاملٌ نفسه على الهول في المجدِ ولـو كـان في رؤوسِ الرمـاح
لستَ تـدري من بـذلِـهِ أمنيـلٌ بـاعتمـادٍ أو ضـاربٌ بقـداح
أيّ غـيث هَـمَى ليحـكي نـداهُ فهـو غيثٌ هَمَى بـوجـهٍ وقـاح

وأنشدنا أبو الحسن لنفسه:

سرى طيفُ من أهوى فهل هو مُسْعدي فـأطلبَهُ عنـه بإنجـازِ موعـدي
ألَمَّ بنـا وهـنـاً وقـد غلب الربى بـأسحمَ من صبغِ الحنادسِ أسود
فقلتُ لـه والليلُ ينجـابُ مـرحبـاً وأهـلاً وسهـلاً بـالصباحِ المجـدد
وجـاذبَ عطفيـه اعتـلاقيَ فـانثنى تَـثَنِّـيَ غُـصْـنِ البـانـةِ المتـأود
نـظمتُ عليـه عِقْـدَ لثمٍ مُفَصَّـلاً بـلؤلـؤ دمـعٍ مـن تُؤَامٍ ومـفـرد
أحسّ بقلبي كلّمـا رُمْـتُ ضَـمَّـه لهيبَ جـوىً من خِلْبِـهِ المتـوقـد
ولـولا بُروقُ الثغـر أخفى اجتمـاعنـا دُجَى كُحُـلٍ مـا مسّ جفنـاً بـإثمـد
تفـرَّدَ لم يقصـدْ بكحـلٍ وإنـمـا تـرادف تكـرارُ الحـديث المـردد

عزمتُ على فتكٍ بطيفك في الكرى		فماذا ترى مولاي أنت وسيدي
فلا ورضاب من ثناياك باردٍ		لذيذٍ متى تَسْأَلْ به الكاسَ تشهد
وما زُرْفِنَتْ صدغاكِ إلا لأنها		لنا شَرَكٌ فاقنصْ متى شئتَ واصطد
غنيتَ بسيفٍ من جفونك منتضى		فما بال سيفٍ في نجادك مغمد
أبت وَجَنَاتُ الوردِ إلا استكانةً		لوجنةِ مكحولِ المحاجرِ أغيد
حبيبٌ أرى خِصْبَ الزمان ابتسامَهُ		ولو كنتُ في عيشٍ من البؤس أنكد
أقبل خدَّ الكاسِ تذكارَ خدِّه		وقلبي رهينٌ عند ذاك المورد
وأملأُ عيني منه والشوقُ مقلقي		ففي كلِّ لحظٍ نظرةُ المتزود
ولما تناجَتْ بالعيون قلوبنا		وفي اللحظ مُجْدٍ بالوصالِ وَمُجْتَدِ
عرفتُ مكانَ الريِّ من ظمأ الجوى		ولكنني مستودَعُ غُلَّةَ الصدي
أرى جنةً قد أينعت ثمراتها		وَعَزَّتْ فما تُجْنَى بعينٍ ولا يد
وَجُرْدٍ حميناها المناهلَ بعدما		قذفنا بها في فَرْقَدٍ بعد فرقد
إذا انغمستْ في ظلمةِ الليلِ أشعلتْ		لها البيدُ أطرافَ الرماحِ فتهتدي
فلما بدا الإصباحُ مَدَّتْ عيونَهَا		إليه وظنَّتْهُ شريعةَ مورد
ترقَّتْ بها الآمال حتى توصَّلَتْ		إلى ذي المعالي المصطفى ابنِ محمد
أما والخفافِ البيضِ والخيلُ ترتمي		بأبطالها تحت القنا المتقصِّد
لأمنعُ من في الأرض دُرَّةَ لجةٍ		ولبدةِ ضرغام وجارُ المؤيد
أقام معزُّ الملك للملك رايةً		بها يهتدي من كان ليس بمهتد
إذا قلتُ يوماً قد تناهت صنيعةٌ		له وأيادٍ جَمَّةٌ عاد يبتدي
وإن قلتُ قد أوفى على الأمسِ يومه		أتى بالذي يوفي على اليومِ في الغد
تضوعَ طيبُ الفعلِ عن طيب مولدِ		نماهُ وطيبُ الفرعِ من طيب مَحْتِدِ
عَرَتْنِي من وشكِ الفراق صَبابةٌ		عدمتُ اصطباري عندها وتجلدي
فلا اكتحلتْ بالغُمْضِ عيني فإنني		أفارقُ بدرَ التِمِّ حُفَّ بأسعد
فتىً قلبُهُ أمضى من السيف جُرْأةً		وراحتُهُ أندى من العارض الندي

ولــولا رجــائـي أن يؤوب مُسَلَّمـاً وشيكاًعلى رغم العدا زُرْتُ ملحدي
لئن كنتُ قـد واليتُ بـالنـظم مـدحـه فـكم مـن يــدٍ والـى إلـيَّ ومـن يــد
سـاشكـره شُكْـرَ الـريـاض لمـزنـةٍ تــروحُ عليهـا بــالعِهَــادِ وتغتــدي
لـعمــرك مــا وردُ جـنـيٌّ ونــرجسٌ بــأطيبَ من عَــرْفِ الثنــاءِ المخلد

وقال يصف نارنجة:

ونــارنجـةٍ بين الــريـاض نــظرتُهَـا على غُصُـنٍ رطبٍ كـقــامــةِ أغيــد
إذا ميلتــه الـريــح مـالت كــأُكْــرَةٍ بَــدَتْ ذهبـاً في صــولجـانٍ زمــرد

ولـه في الشريف فخر الدولة النقيب:

مـا سـافـرتْ هممي إلى أكـرومـةٍ في غـايـة إلا وجـدتُـكَ عنـدهـا
فـاسلمْ سـلامـةَ مـا أقــولُ فـإنــه تتصـرَّمُ الـدنيـا وتبقَى بعـدهـا

وقــال:

أتــرانـي أحيــا إلـى أن يـعــودا نــازحٌ لم يَــدَعْ لعيني هُجُــودا
كيف أرجــو الحيــاةَ بعــد حبيبٍ كــان يـومي بـه من الـدهــرِ عيـدا
كنت أشكو الصدودَ في القرب والآ ن قــد استغـرق البعــادُ الصـدودا
أشتهي أن أبــوحَ بـاسمــك لكنْ لقبتني الــوشـاة فيـك الجحودا

وقــال:

إلى الله أشكــو دخيــلَ الكَـمَــدْ فليس على الـبعــدِ عـنــدي جَلَدْ
ومن كنتُ في الـقــرب أشتــاقُــهُ فـكيــف أكــونُ إذا مــا بَــعُــدْ

أنشدنا ابن حمود قال، أنشدنا أبو الحسن لنفسه:

لا بـذاكَ الـدنــوِّ تفـديــك نفسي يــا مـنــاهــا ولا بهــذا الـبعــادِ
هبـكَ أصبحتَ لا تراعي اشتيـاقي فــارعَ مــا كــان بـيـنـنــا من وداد

شقيتْ بالسهاد فيك جفونٌ فهنيئاً لغيرها بالرقاد

ولـه في الشريف فخر الدولة النقيب :

إذا تهلَّلَ وانهلَّتْ مواهبُهُ فقد تبسم غيثُ الديمةِ الزَّهِرُ
وقاتمُ النقع جلَّاه بطلعته كأنه قَمَرٌ في كفه قدر
لما رأتني صروفُ الدهرِ عُذْتُ به جاءت إليّ من الزلَّاتِ تعتذر

وقال يصف نارنجة :

تنعَّمْ بنارنجكَ المجتنى فقد حضر السعدُ لما حَضَرْ
فيا مرحباً بقدودِ الغصون ويا مرحباً بخدود السحر
كأن السماء هَمَتْ بالنضار فصاغَتْ لها الأرضُ منها الأكر

نشدنا أبو الحسن لنفسه يرثي أمه :

بكلِّ والدةٍ تفدى وما وَلَدَتْ زهراءُ طيبةُ الأعراقِ مذكارُ
أحلَّها من ذرى عدنان في شَرَفٍ عالي الذرى ما له من ذا الورى جار
بل ليتَ شعريَ ما يُغْنِي الفداء وقد تشبثتْ للمنايا فيكِ أظفار
يا أكرمَ الأمهاتِ الطاهرات لقد أودعتِ قلبي غليلاً دونه النار
بيني وبينك بُعْدُ المشرقين على قُرْبِ المزار وما شَطَّتْ بك الدار
سقى ثراكِ وللسقيا حللتِ به كفافَهُ ديمةٌ وطفاءُ مدرار
إذا بكت فوقه أنداؤها ضحكتْ خلاله من أنيق النبتِ أزهار
قلْ للجنوب إذا وافتْ مسلِّمةً واستصحبتها عشياتٌ وأسحار
عوجي على عَسْجدِ الاقدام واعتمدي سَمْتَ الشمال ولا يأخُذْكِ تسيار
ونكّبي الجوسقَ العالي ولا تقفي ما لم تلاقِكِ أعلامٌ وأحجار
عن يَسْرَةِ المسجدِ المشهورِ معرفة بذي العمودين عرفانٌ وإنكار
خلّي الصفات ولكن حيثما سطعت من القرافة أضواءٌ وأنوار

وفاض عَرْفُ كما قد فَضَّ في ملأ — من التجارِ عيابَ المسكِ عطار
فثمَّ حَطَّتْ عن الأعوادِ ساريةٌ — من الغمامِ ثناها الدهرَ مسيار
وثمَّ باب إلى الفردوسِ مُخْتَصَرٌ — منه الطريقُ فنعم الباب والدار
يا ربِّ كُنْ عند ظني فيكَ لي ولها — كذاك يفعلُ رحبُ الطَّوْلِ غفَّار
قد كنتُ أحسبهم في القاطنين معي — ما كنت أحسبُ أن القوم زوار
لا غَرَّني أملٌ من بعدها أبداً — هيهات كلٌّ من التأميل غرار
من كان يُخبرني والدارُ جامعةٌ — أن الأحبة بعد العينِ آثار
يا منزلاً بات من سكانه عَطِلاً — ما قيل حَلُّوهُ حتى قيلَ قد ساروا
قضيتُ منهم ومن إيناسهم وطراً — وقد بَقِي لك أوطارٌ وأوطار
كلٌّ يفارق في الدنيا أحبَّتَهُ — وإنما هو إعجالٌ وإنظار
ونحن سَفْرٌ مطايانا إلى أَمَدٍ — أعمارنا وفنونُ العيشِ أصفار
لا ينفعُ المرءَ إلا ما يُقَدِّمُهُ — لا درهمٌ بعده يبقى ولا دار
صبراً فما لقتيلِ الدهرِ من قَوَدٍ — يُرْجَى ولا لعقيرِ الموت عَقَّار
يا دهرُ أعظمُ شيءٍ هَدَّني أسفاً — ظعينةٌ لكَ لم يُدْرَكْ لها ثار
لو كنتَ يا دهر من يَلْقَى مبارزَةً — أو كان يُدْفَعُ بالمقدارِ مقدار
ثناك جيشٌ يثيرُ النقعَ مشتملٌ — لكنه بالقنا الخطيِّ خطار
قَضَتْ ونحن حواليها نُطِيفُ بها — كأنها بيننا عَقْرَى وأيسار
يلقَى الفتى وهو مضطر مصائبَهُ — كأنما هو للتسليمِ مختار
وكم لنا في خلالِ العيش من قَدَمٍ — نُسَرّ أن تتقضَّى وهي أعمار
للمرءِ في المرءِ تنبيهٌ وموعظة — لو كان ينفعُ إعذار وإنذار

أنشدنا ابن حمود قال، أنشدني أبو الحسن لنفسه:

إلى كم يملكُ المشتاقُ صبراً — إذا طال التجنبُ كان هجرا
فهل لك يا فديتكَ في صديقٍ — بلوتَ وداده سراً وجهرا

إذا واصلتَ عـدَّ الشهـرَ يـومـاً   وإن صـارمْتَ عـدَّ اليـومَ شهـرا
لنجنيَ من ريـاضِ الإنس زهـراً   ونـطفي من لهيبِ الشـوقِ جمـرا
وتصـطخبُ المثالثُ والمثـاني   فـنحيـا لـذةً ونمـوتُ سكـرا

وأنشد له ابن القطاع:

جـاء بـكـمثـرى جنـيٍّ غـدا   مـنـظرُهُ يـبـدي لـنـا خُـبْـرَهْ
مـن كـلِّ زهـراءَ خـلوقـيـةٍ   تـجمـعُ بين الـنـهـدِ والسـرَّهْ

وقــال:

إليـك أشكو عيونـاً أنت قلتَ لهـا   فيضي فقـد فضحتني بين جلاسي
ومـا تـركتَ عـدواً لي علمت بـه   إلا وقـد رقَّ لي من قلبك القـاسي
فـإن رضيتَ بأن ألقى الحمـامَ فيـا   أهـلاً بـذاكَ على العينين والـراس

ولـه في مغنٍ ثقيل:

أفـسـدتْ كـاسُـكَ يـا أحـ   ـمـقُ كـفـيـكَ وحـسَّـكْ
قـلتُ حَـقِّـقْ مـا تـغـنـيـ   ـه فـقـد غـيَّـرتَ حِـسَّـك
قـال غـنـيـتُ ثـقـيـلاً   قـلتُ قـد غـنـيـتَ نـفـسـك

وقال وقد سئل إجازة البيت الأخير:

تَـوَلَّوْا وأسـرابُ الدمـوعِ تفيضُ   وليلي طـويلٌ بـالهمـوم عـريضُ
ولما استقلوا أسلم الوجدُ مهجتي   إلى عَـزَمـاتٍ مـا لهنَّ نهـوض
تـوقَّدُ نيـرانُ الجوى بين أضلعي   إذا لاح من بـرق العشاءِ وميض
ولـم يبقَ لي إلا جفـونٌ قـريحـةٌ   وعَـظْمٌ براه الشـوقُ فهـو مَهيض
فغنٍّ لمحـزونٍ جفا النـومُ جَفْنَـهُ   فليس له حتى الوصـالِ غموض
«شجاني مغاني الحيِّ وانشقت العصا   وصاح غرابُ البينِ أنت مريض»

وقد تعاور الشعراء وصف وقوع الشعاع على صفحات الماء، ومن مليح ما قيل فيه قول بعض أهل العصر وهو أبو الحسن علي بن أبي البشر الكاتب:

شربنا مَعْ غروبِ الشمس شمساً مشعشعةً إلى وقتِ الطلوعِ
وضوءُ الشمسِ فوق النيلِ بادٍ كأطراف الأسنَّةِ في الدروع

أنشدنا ابن حمود قال، أنشدنا أبو الحسن لنفسه:

وكنتُ عزيزاً لو عصيتُ خلاعتي وبتُّ لنصحِ العاذلات مطيعا
بحقكمُ لا تهجروني فإنني أَمَلْتُ إليكم جانبيَّ جميعا

وقال:

ألم يأنِ للطيفِ أن يعطفَا وأن يطرقَ الهائمَ المدنفا
جفا بعدما كان لي واصلاً وخلَّف عنديَ ما خلفا
أما تعطفينَ على خاضعٍ لديك يناجيك مستعطفا
إذا كتبتْ يدُهُ أحرفاً إليك محا دَمْعُهُ الأحرفا
ولو كنتُ أملكَ غَرْبَ الدموع منعتُ جفونيَ أن تذرفا
غراماً بإشعال نارِ الغرام وما عُذْرُ صَبٍّ بكى واشتفى

وقال:

قد أنصف السقمُ من عينيك وانتصفا فها هما يحكيان العاشقَ الدنفا
يا ساحرَ الطرفِ قد أغريتَ بي كلَفاً برحاً وصيرتني أستحسنُ الكلفا
أظنّ خديك من جاري دمي اختضبا لقد تناهيتَ في قتلي وقد ظرفا

وقال:

يا سيء القدرة كم ذا الجفا لقد شَفَى هجرك بي واشتفى
تراكَ لم يكفك ما حلَّ بي بعدكَ من طول الضنا أو كفى

وقال:

اسم الذي صَيَّرني مدنفاً لما انتضى من جَفْنِهِ مرهفا
يلعبُ إن رُخِّمَ معكوسه لأنه قد نَسَقَ الأحرفا
أما ترى كيف غدا ثلثه جذراً لثلثيه إذا ألفا
قد غلب القلبَ على صبرِهِ وهكذا يخرُجُ إن صُحِّفَا

وقال:

يا غزالاً صاغه الصا نعُ من حُسْنٍ وظَرْفِ
لا وزهرٍ في رياضٍ غيرِ مبذولٍ لقطف
ما تعرضتُ لريبٍ إنما نزهتُ طرفي

وله في الشريف فخر الدولة النقيب:

وفي مدح فخر الدولة الفخرُ كُلُّهُ لذي منطقٍ ماضي الغرارينِ مُفْلِقِ
ثمالٌ لمحرومٍ وعزٌّ لخاضعٍ وغوثٌ لملهوفٍ وكنزٌ لمملق

وقال:

هذي الخدود وهذه الحدَقُ فليدنُ من بفؤادِهِ يَثِقُ
عنفوا عليَّ بلومهم زمناً لو جُرِّعُوا كأسَ الهوى شرقوا
ما الحبّ إلا مَسْلَكٌ خطر عَسِرُ النجاةِ وموطىءٌ زَلَق
لو أنهم عشقوا لما عَذلوا لكنهم عَذَلُوا وما عشقوا
أما اللئام فإنهم بلهوا من حيثُ ظَنُّوا أنهم حذقوا
رُزقوا وما خُلقوا لمكرمةٍ فكأنهم خُلِقُوا وما رزقوا

وقال:

كيف لم يشتعلْ بنارِ اشتياقي قَلَمٌ لي أبثُّهُ ما ألاقي

كـان حلوَ المـذاق عيشـيَ للقُـرْ ... بِ فـأضحى للبعـدِ مُـرَّ المـذاق
فـوصـيـري لآخـذنَّ بـثـاري ... من ليـالي الفـراق يـومَ التـلاقي

وقـال:

هجـرتُـكِ يـا سُؤْلَ نفسـي ولي ... فـؤادٌ متـى تُـذْكَـري يـخـفـقِ
ومـا ذاك مـني اطـراحُ الـمـلولِ ... ولـكـنـه نَـظَـرُ الـمـشـفـقِ
أخـافُ عـليـكِ فـلولاكِ لـم ... أكـن أتـقـي نـيـل مـا أتـقـي
كمـا تتـركـين بـرودَ الـشـراب ... ظـمـأى مخـافـةَ أن تـشـرقـي
فـإن سُـرَّ حـاسـدنـا بعـدنـا ... فـنحـن عـلى رَغْـمِـهِ نـلتـقـي
ومـهمـا عـلمـتِ فـلا تـجـهـلي ... بـأن الـمحبَّ سـعيـدٌ شـقـي

أنشدنا ابن حمود قال، أنشدنا أبو الحسن لنفسه:

قـبلتُ وجـنـتـه وقـد ظـهـرتْ ... في صحـنهـا مـن قلبيَ الحـرقُ
وجسـرتُ ثم جـبنـتُ عن فـمـه ... يُعْـطِي الغـرامُ ويمنـعُ الـفـرقُ
مـا كـنتُ أدري قـبـل ضَـمَّـتـه ... إن الـجـوانـحَ كـلهـا تَـمِـقُ

ولـه:

عَـذَّبْـتَ قـلبـي ببـخـلك ... فـامـنـنْ عـليَّ بـوصـلك
يـا عِـلَّتـي وشـفـائـي ... مـاذا لـقـيـتُ لأجـلك
بِـحُـسْـنِ وجـهـك إلا ... أَمَّـنْـتَـنِـي قُـبْـحَ فـعـلك
أرجـو انـعـطافـك لـكـنْ ... أخـافُ مـن طـول مَـطْلك
نـهـاكَ أهـلكَ عـنـي؟ ... مـن أجـلِ أهـلكَ أهـلك

وقال: وهذان البيتان يجمعان حروف المعجم:

مُـزَرْفَنُ الصـدغ يَسْطُو لحـظه عبثـاً ... بالخلق جذلانَ إن يشكوا الهوى ضَحِكَا
لا تـعـرضنَّ لـوردٍ فـرق وجـنـتـه ... فـإنـمـا نَصَـبْـتْـهُ عينـه شـركـا

ودخل على بعض الرؤساء وبين يديه طبق قد ملىء ورداً أحمر وأبيض فاستدعى منه وصفه في الحال فقال بديهاً:

كـأنـمـا الـوردُ الـذي نـشـره ... يـعبـقُ مـن طـيـبِ مـعـانـيـكـا
دمـاءُ أعـدائِـكَ مـسـفـوكـةً ... قـد قـارنـتْ بيضَ أيـاديـكـا

ولـه أيضاً:

أنت عمـا حـلَّ بـي في شُـغُـلِ ... إنـمـا يـرثـي لـمـثلي مـن بُلِي
لـيَ وعـدٌ دونَ عيـنيـك مَـضَـى ... دونـه عـمـري ووافـى أجـلـي
فـوريحـانِ العـذارِ الـخضِـلِ ... فـوق وردِ الـوجنـةِ المشتعـل
يـا حبيبَ النفس لـو أبصـر مـا ... حـلَّ بي منـكَ عـدوي رقَّ لـي

أنشدنا ابن حمود قال، أنشدنا أبو الحسن لنفسه من قصيدة:

لـولا أبـو الفـرجِ الهمـامُ لمـا ... وجـد الـرجـاهُ إلى المنى سبـلا
أضحى يُفَـرِّقُ مـن مـواهِبِـهِ ... شمـلاً ويجمـع للعـلا شـمـلا
جَـوْرٌ على الأمـوال عـاد وقـد ... عَـمَّ الـعـفـاةَ بـنـيـله عـدلا
ولـه إذا مـا المشكـلات عَـدَتْ ... فـهمٌ يـكـون لـعـقـدهـا حَـلَّا
نـغْدُو فـنـغـنـمُ من مـواهِبِـه ... جـزلاً ومـن آدابـه جـزلا
وتـراه مـنـفـرداً بـغـايـتـه ... في الفضـل إن جِـداً وإن هـزلا
وتـرى تـطوُّلَـهُ ونـائِـلَهُ ... غضَّ الـشبـابِ وحـلمَـهُ كهـلا
وتـودُّ أيـدي المجـد لـو جَعَلَتْ ... خـدَّ الـحسـودِ لـرجـله نـعـلا
تـلقـاهـمُ الآمـالُ كـاسـفـةً ... وتـعـودُ عنـد لقـائـه جـذلى
مـا عـاقـه عن نيـلِ مكـرمـةٍ ... شـيءٌ يـقـال لأجـلِهِ لـولا
كثـرتْ فمـا تُحْصَـى منـاقبـه ... مـن ذا يَـعُـدُّ الـقـطرَ والـرمـلا
مـا فيـه للعـذالِ مـن طَمَـعٍ ... غلب السمـاحُ عليـه واستـولى

مـا زلتُ أبدعُ في مـحـاسـنـه قـولاً ويُبْـدِعُ في النـدى فعـلا
تُـمْلي وأستملـي فـواضِلَهُ مـا الـفـضـلُ إلا لـلذي أملى
لـلَّه آل الـمـوقـفـي فـمـا أعـلى صنـائـعَـهُـمْ ومـا أحـلى
طُبِعُـوا على كَـرَمِ الخـلالِ فـلا عيّـاً تـرى فيـهـم ولا بـخـلا
إن الـمسـاعـي غـيـرُ نـاصـرةٍ من ليس ينصـرُ فَرْعَـهُ الأصـلا
يبغي العـلا متجشمـاً خُلُقـاً فيـروحُ مـرسـومـاً بـه عقـلا
من لم يـقـابـل حُسْنَ لبتـه حُسْنُ الـحـليِّ غـدا بـه عـطلا
ملكتْ عنـان العُـرْفِ منـك يـدٌ لا تعـرفُ التسـويفَ والـمـطلا
لـو أنهـا للغيـثِ مـا تَـرَكَتْ جَـذْبـاً ببلقـعـةٍ ولا مـحـلا
فـاهنـأ بهـذا العيـدِ وابـقَ لـه مـا زار مـشـتـاقـاً ومـا ولّـى
لا تُسْلَبُ الـدنيـا الجمـالَ بمـن سُـوَرُ المـديـحِ بـذكـره تتلى

أنشدنا ابن حمود قال، أنشدني أبو الحسن لنفسه :

ومـقـبّـلٍ كـفّـي وددتُ بـأنـه أوْمَـى إلى شـفتـيَّ بـالتـقـبيـلِ
جـاذبتـه فضـل العتـاب وبيننـا كـبـر الـملول ورقـة الـمـملول
من لي بـه والـدار غيـر بعيـدة مـن داره والـمـال غيـر قـليـل

أنشدنا ابن حمود قال ، أنشدنا أبو الحسن لنفسه :

هـل في رضـابـك نقعة لغليـل أو في جنـابـك وقـفـة لمقيـل
يـا جنـة ألف النعيم ظـلالـهـا كيف السبيـل إليك لابن سبيـل
متبـدد العبـرات يستـر فيضهـا ببنـانـه من كـاشـح وعـذول
أمجـرد السيفين اغـمـد واحـداً والق الكـمـاة بـواحـد مسلول
أسـرفت في قتل النفـوس وأسرهـا فكفـاك من دم هـالـك مـطلول
عنف الـرقيب فلومننت دمجتني بين الـوشاح وخصـرك المجـدول
نـادمت بـدر التم يقـرب كـاسـه ويعلني من فضلهـا الـمعسـول

فظللت من فرح به ومسرة — مع مفرط الاعظام والتبجيل
وكأنني متنزه في روضة — محفوفة بأسنة ونصول
قبلت خد الكاس محمولاً على الـ — ـتشبيه أو ضرباً من التأويل
بالرغم مني أن أصادف بغيتي — وأعود منها راضياً ببديل
وغضضت من بصري ولو أطلقته — لعلمتُ أين مواضع التقبيل
وأخذت من كحل الغزال لمقلتي — فكحلتها من طرفه المكحول
وسألتُ إسعافي برشفٍ لآلىء — أشرقن أبلج مسعفٍ ومنيل
وشغلتُ خُوطَ البانِ في أوراقه — بعناقِهِ من نَضْرَةٍ بذبول
لا والزرافينِ العوالقِ مهجتي — من طُرَّتَيْهِ ما شفيتُ غليلي
بي من هوى الانس الذين علقتهم — ما لم يكنْ بكثيِّرٍ وجميل
أما السَّقام فليس غيرَ صدودهم — والموتُ إذ همْ آذنوا برحيل
من عاذري من عاذلٍ كلمته — بالعرض وهو مكلِّمي بالطول
قلت الملاحُ سلبنَ عقلي قال لي : — فاصبر، فهل صبرٌ بلا معقول
كَلَفي بذي قَلَمٍ وسيفٍ دونه — كلفي بذاتِ دمالجٍ وحجول
هبني كتمتُ وقلت ما أنا عاشق — ما حيلتي في حيرتي ونحولي
أغدرتِ يا عيني وكنتِ خليلةً — لا اغترُّ بعدكِ واثقٌ بخليل
فوحقِّ عزِّ الدولةِ القمرِ الذي — أمسى بغير موافقٍ وعديل
لأعاقبنَّكِ بالسهاد وعبرةٍ — تحكي غزارة سيبه المبذول
من أيِّ شيءٍ يعجبون إذا همُ — بَصُروا بعزِّ الدولةِ المأمول؟
من بارقٍ متألق أو عارضٍ — متدفِّق أو صارمٍ مصقول
ليس المقلَّد بالطعانِ وباللُّهَى — في مُلْتَقَى يوميهما بنحيل
متبسِّمٌ طَلْقُ اليدين مُعَوَّدٌ — في ذا وذا إعطاءَ كلِّ جزيل
بشمائلٍ لولا الملاحةُ خلتها — مسروقةً من شمألٍ وشمول
نثرٌ ونظمٌ كالقلائدِ فُصِّلَتْ — منها اللآلىء أحسنَ التفصيل

عَلِقَ العــلا عَلِقَ الصِّبــا فتشبثتْ　　منـه بقلبٍ متيَّمٍ مـتبـول
وسعى فـأمَّلَ حـاسـدوه لحـاقَهُ　　لا تُـدْرَكُ العليـاءُ بـالـتـأميـل
بَـطَلٌ إذا اخترط الحسـامَ تطايـرتْ　　هامُ العدى عن صَفْحِهِ المصقول
يبـدو فَتُكْسَفُ منـه أقمـارُ الـدجى　　خجـلاً وتُـذْعَـرُ منه أُسْـدُ الغِيـلِ
الخلقُ مـن لحـظاتِــهِ وَهِبـاتِــهِ　　وظُبــاتِــهِ قَتْلى بكــلِّ سبيــل
فـاق ابنُ فائـقٍ الـورى بكمـالـه　　ودعــوا من التكثيـرِ والتـقليــلِ

ومنه في عز الدولة مقلد وقد جرح:

لقدخضتَ بحرَ الموتِ ركضاًوصافحَ الـ　　ـحـديد حـديداً منـك غيـرَ كليـل
فــأنت حسـامٌ والجــروح فلولُــهُ　　ولا خيــرَ في سيفٍ بغيــر فلول

ومـن شـعــره:

إحــدى مــواشـطِهِ مــلاحـتُــهُ　　فــالحليُ يحسـنُ فيــه والـعَــطَلُ
لــولا سهـامُ جفــونِــهِ انـتـظمت　　عـقــداً على وجـنـاتِــهِ القُبَــلُ

ومنهــا:

أو مــا تــرى غـيــمــاً تَـجَــلَّلَهُ　　غَسَقٌ دجــا والـسجـفُ مُنْسَــدِلُ
داجٍ عــلى داج كــأنـهـمــا　　في مقلتيــك الكُحْــلُ والكَحَــلُ

وقال في مغنٍّ:

ولـنـــا مـغـــنٍّ لا يـزا　　لُ يـغـيـظنـا مـا يـفـعــلُ
صَــلَفٌ وتــيــهٌ زائــد　　وتــبــظرُمٌ وتــمــخــلُلُ
غــنــى ثـقـيــلاً أوّلاً　　وهــو الـثـقـيــلُ الأول

وقال في الشيب والتغزل:

تبلج هــذا الصبـحُ أو كـاد يفعـلُ　　فــاقصــر واستحيـى مُعَنّىً مضلَّلُ

أتـاهُ نـذيـرُ الشيبِ قبـل أوانـه فـأقلَعَ عن لذاته وهـو مُعْجَـلُ
فـأهـلاً بضيفٍ قـال هـزلي لجـده تـرفَّقْ فـإني حين تنـزِلُ أرحـل
سقى ورعى الله الشبـابَ فـإنـه على مـا جنى سترٌ من اللهـو مسبل
بنفسيَ من شطَّتْ به غُـرْبَةُ النوى ومن هـو في لحظي وفكـري ممثل
ومن لـجَّ قلبي في هـواه وعـزَّني رضـاهُ فـلا يـسلو ولا يـتبـدل
صحـوتُ وعنـدي من هـواه بقيَّـةٌ تعمُّ جميـعَ العـاشقين وتفضـل
عجبتُ لطرفٍ قد تضـرَّجَ من دمي فمـا احمـرَّ إلا خـدُّهُ وهـو أكحـل
ومـا كنتُ أدري قبل لقيـا لحـاظِنَـا بـأنَّ لَـدَى الألحـاظِ سهمٌ ومقتـل

وقـال:

يـا ذا الـذي كـلَّ يـومٍ يـزيـدُ عـقـلي خـبـالا
وَلَّـهْـتَـنـي بـكَ حـتـى رأيـتُ رشـدي ضـلالا
أدعـو عـليـكَ وقـلـبـي يـقـولُ يـا ربِّ لا لا

وقـال:

ولقـد وجـدتُ الصبـرَ بعـدكُم صـعبـاً وكـنتُ أظنـه سـهـلا
واستعبـرتْ عيني فـقلتُ لـهـا هـلا حَـذِرْتِ الأعـينَ الـنجـلا
لا مـرحبـاً بـالبين من أجَـلٍ تـنـأى الـحـيـاةُ بـه ولا أهـلا
قـد كـان لـي ملكـاً دنـوكـم فـالآن أصبـح بعـدكم عـزلا

لـه من قصيدة يمدح فيها الوزير رئيس الرؤساء:

لحـظاتٌ من شبيهـاتِ الـدمى صـرعـتـني بين ظَلْـمٍ ولَـمَـى
بعـدمـا قلتُ تنـاهتْ صبـوتي أرجعتني مستهـامـاً مغـرمـا
لائـمي أقْـصِـرْ فـإني كـلّمـا زدتَ لـومـاً زاد سمعي صممـا
بـأبـي من جـاءنـي معـتـذراً وَجِـلاً مـمـا جـنـاه نـدمـا

فـرأيتُ الـبـدرَ في طلعـتـه ضـاحكـاً من وجهـه مبتسـمـا
زائـرٌ أسـأل عـنـه مـقـلـتـي هـل رأتـه يـقـظةً أو حـلمـا
بـوشـاحٍ نـاقضَ الحجـلَ فـذا بـاح بـالـسـرِّ وهـذا كـتـمـا
كيف تخفى نَـوْرَةُ الصبـح وقـد فتـح الـروضَ وجلّى الـظلمـا
عـجبي من سَـقَـمٍ في طـرفـه يـورث السُّقْمَ ويشفي السقـمـا
قـمـر يـعـبـده عـاشـقُـهُ عَبَـدَ المفتـونُ قبـلُ الصنمـا
قـد أعـار الكـأسَ منـه وجنـة وثـنـايـا ورضـابـاً وفـمـا
أحبـابـاً مـا أثـار المـاء في جـوهـا أم حَـدَقـاً أم أنـجـمـا
جـال فيهـا لـؤلـؤاً مـنـتـشـراً وعـلاهـا لـؤلـؤاً مـنـتـظـمـا
كيف أعتـدّ بلقيـا هـاجـرٍ قبلمـا حـاول وصلي صـرمـا
لـو تجاسـرتُ على الفتـكِ بـه لـم أعـدْ أقـرعُ سنـي نـدمـا
أيّ شـيءٍ ضـرني لـو أنـنـي كنتُ في الحِـلِّ طرقت الحـرمـا
أنـا عـنـدي مـن شَـفَى غُـلَّتـه مـن حبيـبٍ مسـعـدٍ مـا أثـمـا
ولقـد ذقتُ بكـاسـاتِ الهـوى عـسـلاً طـوراً وطـوراً علقـمـا
وجليسٍ قـد شئنـا شَخْـصَـهُ مـذ عـرفنـاه مُلِحّـاً مبـرمـا
ثَـقَّـلَ الـوطـأةَ فـي زَوْرَتِـهِ ثـم مـا وَدَّعَ حـتـى سـلمـا
بـعضُ مـا لاقيـتُ مـنـه أنـه نـفَّـر الـريمَ الـذي قـد رئـمـا
ذلَّ مـن يـأوي إلـى مُـلْتَـجَـأٍ لـيس يؤوي وَيُـرَوِّي من ظمـا
وأعـزّ الـخـلقِ طـراً عـائـذ بـرئيسِ الـرؤسـاءِ اعتصـمـا
نحن منـه في جَنـابٍ وادعٍ نـلبسُ العـز ونجني الـنِّعـمـا
قـد بـلونـاه عـلـى عـلاتـه فبلونـا العـارضَ المنسجـمـا

وقـال:

فيـه لـي جنـةٌ وفيـه نـعيـمُ وعـذابٌ أشـقى بـه وجـحيـم
جـاءني عـائـداً ليعلمَ مـا بـي من تـجـنِّي هـواه وهـو عـليم

هو يدري ما أوجبَ السقمَ لكن ليس يدري بما يقاسِي السقيم
ثم نادى وقد رأى سوءَ حالي جَلَّ محيي العظام وهي رميم

وقال:

ألا فليوطِّنْ نفسه كلُّ عاشقٍ على خمسةٍ محفوفةٍ بغرام
رقيبٍ وواشٍ كاشحٍ ومفندٍ ملحٌّ ودمع واكفٍ وسقامِ

أنشدنا ابن حمود قال، أنشدنا أبو الحسن لنفسه:

نُنَبِّيكمُ من حالنا كلَّ ما كانا فما كان سراً دونكم عاد إعلانا
ظللنا بحكم الراحِ نَغْنَمُ لذةً من العيش صَرْفُ الدهرِ منها تناسانا
وعارضَنا القفّاصُ يعرضُ سحره وناهيك بالقفاصِ خِدناً وإحسانا
إذا قارنت أوتارُهُ نغماتِهِ ظللتَ وإن لم تَشْرَبِ الراحَ سكرانا
ولي [مؤنسٌ] بين الندامى يَعُلّني إذا غفلوا ورداً وراحاً وريحانا
وقد نثرت ألفاظُهُ زَهْرَ روضةٍ إذا نظمت حسناً ودراً ومرجانا
يهزُّ فؤادي كلَّما هز عطفَهُ جوىً ملهبٌ أحشايَ شوقاً وأشجانا
وقد كان فظاً قاسياً فرقيتُهُ بشعرٍ هو السحرُ الحلالُ فقد لانا
ألا إنما الدنيا مُدامٌ ومُؤْنِسٌ يميتكَ أحياناً ويُحْيِيك أحيانا

وقال:

لا فرَّجَ الله عنِّي ولا شَفَى طولَ حزني
وأنصبَ الشوقُ قلبي وأمكنَ العجزَ مني
إذ لم أروِّحْ [فؤادي] من ذي القِلَى والتجني

وله أيضاً:

أقول ولاح لي خدٌّ وصدغ لمن تفاحةٌ من صولجان
بودّي لو لثمتهما جميعاً ولكني أحاذرُ صَوْلَ جانِ

وقـــال:

وصـل الكتابُ فكـان آنسَ واصلٍ عنـدي وأحسـنَ قـادمٍ ألـقـاهُ
لا شيءَ أنفسُ منه يهـدي جامعـاً شَمْـلَ المنى إلا الـذي أهـداه
ففضضـتُـهُ وجعلتُ ألثمُ كـلَّ مـا كـتـبـتْـهُ أو مَـرَّتْ عـليـه يـداه
وفهمتُ مُـودَعَـهُ فـرُحْتُ بغبـطةٍ جـذلانَ مبـتـهـجـاً بـمـا أداه
وعجبتُ من لفظٍ تنـاسَقَ فيـه مـا أحـلاهُ مـا أحـلاه مـا أحـلاه
ولقـد غبِـطْتُ عليـه علقَ مَضِنَّةٍ عُـدِمَتْ لـه الأشكـالُ والأشبـاه
كـالروضِ بـاكـره الحيـا فتفتَّحَتْ أزهـارُهُ وتـضـوَّعَـتْ ريـاه
كـالعقـدِ فُصِّـل لؤلؤاً وزبـرجـداً فـتـقـابـلـت أُولاهُ مـع أخـراه
دُرٌّ تـرفـع قَـدْرُهُ عـن قيـمـةٍ منـظومـةٍ صغـراه مـع كـبـراه

أنشدنا ابن حمود قال، أنشدني أبو الحسن لنفسه:

أهيفُ عَبْـلُ الـرِّدْفِ صِفْـرُ حَشَـاهْ لـو قيـل للحسن انتسبْ مـا عـداهْ
أسـخطَ من يـهـواه مسـتـيـقـظاً وعـاد يـسـتـعـطفُـهُ في كـراه
فكـان كـالكـاتب سـطراً سهـا فيـه فمـا لـبَّثَ حتى محـاه
إن كـان لا يصـدُقُ في قـولِـهِ ويخلفُ الـوعـدَ فـواخـجلتـاه
قـد قَـدَّ قلبي سيفُ ألحـاظِـهِ واختضبتْ من دمـه وجنتـاه
وليس فـوق السحـرِ من بـابـلٍ إلا الـذي قَـالَتْـهُ لي مقلتـاه
يـا لائمي حَسْبُـكَ من عـاشقٍ جـاد عـليـه بـمـنـاه مـنـاه
لـولا انتبـاهُ اللحظِ لي لـم يَقَـعْ في شَـرَكِ الكـاسِ غـزالُ الفـلاه
ولـم أنـل سـوءاً سـوى أنـنـي أدنـيـتُـهُ مـنـي وقـبـلـتُ فـاه
وَذُدْتُ عـنـه كـبـداً شـارفـت ورداً فَـحَفَّـتْ كحـفيـف الـقـطاه
وكـدتُ من بكـراءَ مكتـومـةٍ أمـلأ كـفَّـيَّ بـرغـم الـوشـاه
يـا رشـأً من قبـلِ تـقـبـيله وضمِّـه مـا ذقتُ طعم الحيـاه

مــاذا الــذي تــأمــرُ في مُغْــرَمٍ قــد بلغَ الشــوقُ بــه منتهــاه؟
هـل نـافعي من سحـرِ عينيك مـا كَـرَّرْتُـهُ من عُـوَذٍ في الصـلاهْ؟
أو انــتــســابــي بــودادي إلــى من بتٍّ ممنــوع الـحمـى في ذراه
إلـى سمــاء الــرؤسـاء انـتـهـت وراثــةُ الســودِ شمس الـكفــاه
دلَّ عــلى أعــراقِــهِ فــعــله وإنمــا الســروُ لـنجـل السَّــراه
رأى عــليٌّ قَــصْــدَ آبــائــه أوضـحَ نهجٍ في العلى فــاقتفـاه
تعممــوا التيجــانَ واسـتـأثــروا بـمُبْتَنَـى المـلكِ فـأعـلوا بـنـاه
نبتُ نبـاتِ العــز مـن تـربــه الـ ـعــالم من حـاز السُّهَى وامتــطاه
من كـان لا يعـلمْ معنى اسـمــه فــإنــه يــغـلطُ مـهـمــا ادعــاه
لـو كـان حــدُّ الشمس ممـا يُـرَى رأيـتَ مـكـتــوبــاً عـليــه كـنــاه
أو كــان هــذا النيــلُ مـن كفــه يجـري جَـرَى التبـرُ مكـانَ الميـاه
البــدرُ والشـمسُ مـعــاً وجـهــه والبحــرُ والمــزن جميعــاً يــداه
لمــا رأى المــدحَ الــذي يُـقْتَنَى مـن بــره، غــالى بــه واقـتـنــاه
وربَّ مـسـبــوبٍ بــمــدح غــدا نــاظـمُــهُ أبـلغَ مــمـن هــجـاه
يــرى الفتى في الشعـر أفعــالَـهُ وإنـمــا الشعــر لــه كــالـمــراه
وكـالصَّـدَى يسمـعُ مـا قــالـه الـ ـقــائــلُ لا يسمـع شيئــاً ســواه
مثـل نسيمِ الـريـحِ مـا واجهتْ مــر عــليــه ثــم أدى ثــواه
تــرحَّــل الــعــيــدُ ولــكـنــه لــمــا انتـهى دارَكَ أَلـقَى عـصــاه
وكــلَّ يــومٍ بــكَ عــيــدٌ لــنــا دمـتَ سـعــيــداً ورعــاك الإلــه

ومن شعره قوله يمدح الناصر للدين أبي محمد اليازوري[1]:

تــوالـت فـتـوحــاتٌ وأُدْرِكَ ثــارُ وقــرٌّ لأمــرِ الـمـسـلمـيـن قــرارُ
وجــرَّدَ سيفَ اللّهِ نــاصــرُ دينــه فــصــالَ بــه حــدٌّ لــه وغــرار

(1) من مختارات ابن الصيرفي.

ودانتْ لـه الحـربُ العـوانُ وإنهـا ... وإن رئـمـت أنـسـاً لـه لـنـوار
يـردُّ إليـه أمـرهـا وهي شـامسٌ ... لهـا مِسْحَـلٌ من قـهـره وعـذار
كـأن مـطافَ الحـادثـات بشـاهقٍ ... منيفِ الـذرى للفتـح فيـه مـطار
تـزلّ خطوبُ الـدهر عن صفحـاته ... كمـا زلَّ عن صفح الحسـام غبـار
فيـا ناصرَ الدين الـذي فخرتْ بـه ... بنـاةُ المعـالي يـعـربٌ ونـزار
لقـد علم الأعـداءُ أنـك منتضٍ ... حسـامـاً لهـم هُلْكٌ بـه ودمـار
وإنـك حـزبُ الله تسعَى بهـديـه ... وتغضبُ في مـرضـاتـه وتغـار
بكفّـكَ سيفُ الله تضـربهـم بـه ... وهـل يحتمِي من ذي الفقـار فقـار
تشلّهُـم خيـلُ الإلّـه عـوابسـاً ... كمـا طـرد الليـلَ البهيمَ نـهـار
كتـائبُ في ذاتِ الإلّـه مشيحـةً ... لهـا بغيـاثِ المسلمين شعـار
فـولّـوا فـراراً والـرمـاحُ تنوشهم ... لـهم حَيَـدٌ عن وقعهـا ونـفـار
وجـاؤوك في دَوْحٍ قَنَـاكَ غصـونـه ... فـليس لهـم إلا الـرؤوسَ ثـمـار
أضـفتـهمُ حـتى إذا مـا تـمـردوا ... أضـفتَ بـهم تـبـاً لهـم وخسـار
وأروعَ بسـامٍ عليـه سكـينـةٌ ... مـن الله بـادٍ نـورهـا ووقـار
عمـرتَ به جيـدَ المعـالي قـلائـداً ... يـطولُ بهـا الإمتـاع وهي قصـار
فيـا عَلَمَ المجدِ الـذي طُـرِّزَتْ بـه ... حُـلاه وأضـحـى فـي ذَراه مـنـار
تنـامُ الرعـايا مـلءَ أجفانهـا كـرىً ... ونـومـك فـيـهـا زَلَّـةٌ وغـرار
فـلا عَطِلَتْ منـك الـوزارةُ إنهـا ... هي المعصمُ الحـالي وأنتَ سوار
وعشْ يـا غيـاثَ المسلمين فـإنمـا ... حيـاتُـكَ عـزٌ للورى وفـخـار
وَدُمْ ملكـاً ما سـاوت العين أختهـا ... ومـا صحبت يمنى اليـدين يسـار

وقال فيه أيضاً[1]:

يمينـك أندى العـارضين سحـابـا ... وعـزمك أمضى الضـاربين ذبـابـا

---

(1) من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1: 134 ـ 135).

وأنت أعم النـاس طَـوْلاً وسؤدداً وأطيبهم جـرثـومـةً ونـصـابـا
وأشـرعـهم يـوم الـلقـاءِ أسنّـةً وأمـرعهم يـومَ العـطاء جنـابـا
شهـادةَ بَـرٍّ لا يُحَـابـي بمـثلهـا ألا ربمـا كـان السحـابُ محـابى
حللتَ بـدارِ الملك ثم قـطنتهـا كمـا قـطن الليثُ الغضنفرُ غـابـا
وأنشبتهـا بـالسمهـريـة والـظبـا طِعـاناً ثنى عنهـا العـدى وضـرابـا
وفجّـرتَ فيهـا للنضـار جـداولاً وسـطّرتَ فيهـا للسمـاح كتـابـا
يقـولون إن المـزنَ يحكيك صَوْبُهُ مجـاملةً مـا قـد شهـدت وغـابـا
وكم أزمـةٍ عمَّ البـريـةَ بؤسُـهَـا فهـل نـاب فيهـا عن نـداك منـابـا
هَمَتْ ذهبـاً فيهـا يـداك عليـهم وضـنَّتْ يـداه أن تـرشّ ذَهـابـا
ولو كانَ لـلأسيافِ عَـزْمُكَ مـا نَبَتْ ولا نـاط بـالخضـرِ النجـادُ قـرابـا
تغـار من المجـدِ المعـالي وتنتمي إلى اسمـك صبّاتِ القلوب طـرابا
ومـا زلتَ تُرْضِي الله في نَصْـرِ دينه بمـألُكَـةٍ تـزجي الأسـودَ غضـابـا
إذا طـويتْ كـانت وغىً وقسـاطـلاً وإن نُشِـرَتْ كـانت ظبـاً وحـرابـا
ومـا أنت إلا مُـطْعَمُ النصـرِ أينمـا أغـرتَ على نَهْبٍ رُزِقْتَ نهـابـا
وكـم نَعَـمٍ خُـوِّلْتَـهُ لـم تَـشُـلَّهُ بخيـلٍ ولـم تـوجِفْ عليـه ركـابـا
وأبلجَ ميمـونِ النقيبـة لـو دعـا إلى نصـره وحشَ الفـلا لأجـابـا
أجـلّ ملوكِ الأرض من ظلَّ لاثمـاً تـرابـاً عـلتـه رجـله وركـابـا
سقى حلبـاً من جودِ كفِّـكَ مـاطـرٌ إذا لم تَصُبْ فيـه المـواطـرُ صـابـا
•علوتَهُمُ بـالمـرهفـاتِ كـأنمـا قـددتَ عليهم بـالبـروقِ سحـابـا
وأطلعتَ سحبـاً من نبـاتِـكَ ثـرةً تَفيضُ عـليهـم نـائـلاً وعقـابـا

وقـال أيضـاً(1):

عرفتُ لها طيفـاً على النأي طـارقا يسـاعِـدُ مشتـاقـاً ويُسْعِـدُ شـائقـا

---

(1) من مختارات ابن الصيرفي.

ألمت وفي جفني بقايا مدامعٍ مَرَتْهَا نواها فاستهلَّتْ سوابقا
فأومضَ في رجعِ الحديث ابتسامها وميضَ الحيا أهدى لنجدٍ شقائقا
وما اعتجرت بالليلِ إلا مخافةً لمرتقب يُذْكِي العيونَ الروامقا
كستك بهاراً فوق خدك ذابلاً وقد لبست في وجنتيها عقائقا
وولَّتْ بقلبٍ أسلمته يدُ الهوى إلى الشوق مغلوبَ التجلد وامقا
سقاها الحيا حيث استقلَّت مواطراً كَجُودِ غياثِ المسلمين دوافقا
رعى الله تاجَ الأصفياء وإنما دعوتُ بأن يرعى الدُّنَا والخلائقا
فيا ناصرَ الدين الذي بنواله غدا الشعرُ بين الجودِ والبخل فارقا
ملكتَ فؤاداً بالمعالي متيماً وأُعطيتَ قلباً بالمكارم عاشقا
وما ابتدر الأملاكُ غايةَ سؤدد ومكرمةٍ إلا وجدناك سابقا
فمن كان منهم مانعاً كنتَ باذلاً ومن كان منهم حارماً كنت رازقا
وخولك الله المغاربَ كلَّها يُنَفِّذُ فيها حُكْمَهُ والمشارقا
تنكبتَ عن ظلِّ الهوادةِ سالكاً هواجرَ في طَرْفِ العلا وودائقا
وملمومةٍ أزدية ناصرية بعثتَ على الأعداء منها البوائقا
قرعتَ بها عظم العراقِ فلم تزل له بشفار المشرفيِّ عوارقا
وقد جمعت منه خراسانُ ذيلها على عَجَلٍ لما قددت البنائقا
قددتَ غمامَ السابريّ عليهمُ مضاعفةً لما انتضيت البوارقا
بكفِّك آجالُ الأعادي وإنما أخذتَ على الأعمار منها المضايقا
إذا خاطبٌ لم يعلُ أعواد منبر بما تشتهي من خطبةٍ كان فاسقا
إذا درهمٌ لم يبدُ بينَ سطوره بذكرك سطر كان زيفاً فرامقا
إذا ما تعاطى الجودَ بعدك مدّعٍ له أو تحلى باسمه كان سارقا
ومن يبغِ أن تحظى يداه بمنعم سواكَ كمن يبغي مع الله خالقا
وكان الذي كانت خراسان داره بها مغرماً ثم استقل مفارقا
إذا همَّ تقويضاً تلفَّتَ ناكباً بساتين في أكنافها وجواسقا

تـريـه منــاه مـرفقـاً في طمـاعــة / إذا سـاغت الأطماعُ كـانت مرافقـا

وقـد نصحتْـهُ نفسُـهُ وهي حـربـه / إذا نصـح الأعداءُ كـانـوا أصـادقـا

وبالموصلِ استأصلت شأفةَ ملكـه / بكـرَّاتِ حملاتٍ تُشِيبُ المفـارقـا

يقيـك بشحطِ الدارِ منهـا فلم تَـزَلْ / تجـوبُ سهـوبـاً دونهـا وسمــالقـا

ذكـرتَ الـردينيـات في جنبـاتهـا / بـواشقَ تعلو في ذراهـا البــواسقـا

جلبتَ من الأجيــال أجبــالَ طيِّءٍ / كراديسَ شَكَّتْ بالكمـاة الرسـاتقا

فظلَّتْ وقد عـادت جواسِقُهَـا ربىً / وكـانت رباهـا قبـل ذاك شـواهقـا

إذا خـاطر الـرعديـدُ أنهـل رمحـه / كما اختلس اللحظَ المحبُّ مسارقا

وساقت عُقَيلٌ في رؤوسِ رمـاحها / عقــائـلَ من أمــوالهم ووسـائقـا

وهرَّتْ كلابٌ في الوشيج فأقعصتْ / أرانبَ في أجحــارهـا وخــرانقـا

ملكتَ رِجـالاتِ العـراق بـراحـةٍ / تفيض حيـاً طوراً وطـوراً صواعقـا

فقد أنطقت بالجود من كان أخرساً / وقد أخرست باليأسِ من كان ناطقا

تصـافح أيـديها الألـوفَ صـوامتـا / ومـا عـرفت من قبلُ إلا الـدوانقـا

وكم قلعــةٍ بـالمشــرفيِّ اقتلعتهـا / وأذريتهـا وَجْـهَ الـريـاح سـواحقـا

وثقتَ بنصــر الله في كـل مــوطنٍ / وكنتَ امـرءاً مـذ كنتَ بـالله واثقـا

كســاك أميــرُ المؤمنين منــاقبــاً / فكنتَ بهـا يا نـاصـر الـدين لائقـا

وأصفــاكَ من بـين البــريــةِ خُلَّةً / رآك لهــا محضَ المـودة صــادقـا

***

92 ـ أبو الحسن علي بن عبد الله بن الشامي (1)

لـه من قصيدة:

يـا سيـدي لي أواصـرُ كَـرُمَتْ / فـارعَ لها لا عَـدِمْتُـكَ الـذممـا

---

(1) من الخريدة.

فكم أناسٍ حقوقَهَا جَحَدُوا ظلماً وما عادِلٌ كمن ظلما
فَحَسَّنُوا جَحْدَها بلومهمُ وإنما هَجَّنُوا به الكرما

وله في الوداع:

ودَّعني وانصرفا يحملُ وجداً متلفا
ملتفتاً وكلما نَقَّلَ رجلاً وقفا
لو أنني أنصفتُهُ متّ مكاني أسفا

وله:

إذا نحن أعيانا اللقاءُ فودُّنا بمحضِ التصافي كلّ حينٍ له وِرْدُ
ولا صُنْعَ للأيام في نَقْضِ مُبْرَمٍ يعودُ جديداً كلما قدم العهد

* * *

93 ـ أبو الحسن علي بن محمد المعروف بالصقلي[1]

من شعره:

بركةٌ للماء تَطَّرِدُ للصبا في متنها زَرَدُ
بات في أحشائها قَمَرٌ مثلَ قلبِ الصبِّ يرتعد

وقوله يصف الخمر:

وقهوةٍ كشعاع النار في قَدَحٍ قد شجَّها بمزاج الماءِ ساقيها
يريك دراً نثيراً في أسافلها يعود دراً نظيماً في أعاليها

* * *

(1) من المختصر.

94 ـ أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسين التميمي السعدي[1]

من «الدرة»: أحد علماء المتقدمين، مدح الحاكم، ومن شعره:

ذكرتُكِ ذكرى لو تـذكَّر بعضهـا ثبيـرٌ تـداعى ركنُـهُ وتصـدَّعَـا
وواصلتُ أنفاساً أبى طولُ وصلها لقلبيَ إلاّ أن يكـون مقـطعـا
وأفنيتُ دمعَ العينِ يومَ فـراقكم فلم يبقَ لي دمعٌ يصافحُ مدمعـا

وقوله في رونق، اسم جارية:

اسم الـذي تَيَّمـني حبُّـهُ يـلوحُ في ديبـاج خَـدَّيْـهِ
حتى إذا صُحِفَ مـعكـوسُـهُ كـان الـذي في لحظِ عينيـه

وأضمر اسم علي فقال:

اسـم الـذي تيمـني عشقـاً يُتْـعِـبُ ذا اللبِّ إذا يـلقـى
ثـلاثـةٌ إن رُخِّمَتْ كـان مـا رُخِّـمَ جـذراً لـلذي يـبقـى

وأضمره أيضاً فقال:

اسم الـذي أبتـغي رضـاه ولا آمنُ مـا عشتُ من تَسَخُّـطِهِ
ثـالـثـه مثـلُ شِبْـهِ أوَّلِـهِ بـل هـو إن شئتَ ثلثُ أوسـطه

***

95 ـ أبو الحسن علي بن محمد [بن] علي الربعي المعروف بابن الخياط[2]

أطنب في الثناء عليه من طريقة الشعر والأدب ابن القطاع، وهو أحد

(1) من المختصر.

(2) من المختصر وابن الصيرفي وأكثر أشعاره أوردها التجيبي في المختار من شعر بشار.

أعلام الشعراء ومدح كثيراً من ملوك بني أبي الحسين منهم جعفر بن ثقة الدولة، وحضر الفتنة ومدح صاحبها ابن الثمنة بقصيدة أولها:

مُرْ حيثُ شئتَ فأنت وحدَكَ عسكرُ والناسُ بعدك فضلةٌ لا تذكر

ومن شعره قوله:

يا جامعَ البؤسِ والنعمى براحته كالغيثِ يجمعُ بين الماءِ واللَّهَبِ

وقوله:

تمتعْ بالمنام على شمالٍ فسوفَ يطولُ نومُكَ باليمينِ
ومتع من يحبُّكَ من تلاقٍ فأنت من الفراقِ على يقين

وله:

ليس إلا تَنَفُّسَ الصُّعَداءِ وبكائي وما غَنَاءُ بكائي
من رسولي إلى السماءِ يؤدي لي كتاباً إلى هلال السماء
كيف يرقَى إلى السماءِ كثيفٌ يسلك الجسمَ في رقيق الهواء
عجز الإنس أنْ تَرَقَّى إليها فعسى الجنُّ أن تكونَ شفائي
أم ترى الجنّ تتقي شُهُبَ الرجـ ـم فدعني كذا أموتُ بدائي

وقال(1):

لا تعجبنَّ لرتبة أشرارُهَا يعلون والأخيارُ فيها تَسْفُلُ
فالناقصون هم الذين علوا بها والراسخون هم الذين تنزلوا
أو ما ترى الميزانَ يعلو خفةً في كفةٍ ويحط فيها الأثقل

(1) من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1: 133 ـ 134).

وقال[1]:

إنّ سبَّ الملوك من شُعَبِ المو ... تِ فإياك أن تسبَّ الملوكا
إن عَفَوْا عنك بالذنوبِ أهانُو ... كَ وإن عاقبوا بها قتلوكا

وقال:

إذا عارضتَ ذا قولٍ بفعلٍ ... فإن الصمتَ عنه به خطابُ
وحسبكَ من جوابك حدّ سيف ... إذا جردته عُرِفَ الجواب
بجيشٍ حليةُ الفرسانِ فيه ... سَرَاةُ الناس والخيلُ العراب
أسودُ خفيَّةٍ في حُسْنِ خَلْقٍ ... عليها من رماحِ الخطِّ غاب

ولـه من قصيدة مدح بها الأمير انتصار الدولة:

وإن يدي رهنٌ لهم منكَ بعدما ... يضايقه كالنار أو جمرها أحرّ
من التاركات الأرضَ بالحربِ جذوة ... إذا كانت الأعشابُ فيها من البشر

ومن قصيدة له في انتصار الدولة أيضاً:

ويا ربَّ يوم له مسعرٍ ... إذا خمدت نارُهُ أوقدا
تخاف به الرجلُ من أختها ... ولا تأمنُ اليدُ فيه اليدا
وترمي رجالٌ بأعضائهم ... فمثنى تراهنَّ أو موحدا
ترى السيفَ عريانَ من غمده ... وتحسبه من دمٍ مغمدا

وقال:

حبيبٌ تولّى الحبُّ قلبي وقلبَهُ ... فصاغهما قلباً له جسدان
ونحن على ما بيننا من تآلفٍ ... إذا حضر الواشونَ مفترقان

---

(1) من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1: 134).

وقـــال:

حُسْنُ وجـــهٍ لي فيـــه قـلبٌ معنى ‏ ‏ أبـــداً في الهـوى وطــرفٌ معيـد
أيـن القـتـنـيَ الـمــطامـعُ فيــه ‏ ‏ ســاعــدُ لـيـنٌ ومــرمـىً بـعـيــد
قـمــرٌ دونــه رجــومُ الشيـاطيـ ‏ ‏ ـن وظـبيٌ تــذبُّ عـنــه الأســود

وقـــال:

عرفتُ طريقَ السُّهْدِ عرفـانيَ البكا ‏ ‏ فهـل لـطريقِ النــوم من أثـرٍ يُقْفَى
فنـاهيـك من ليـلٍ بـطيءٍ مـداره ‏ ‏ تبيتُ ركـاب النجم في أفقـه وقفـا
حنــادسُ لم يُبْقِ السـرار بجـوهـا ‏ ‏ سنـاً تبصرُ العينـان في نوره الكفـا
تقهقــر فيهـا كــلُّ نجمٍ كــأنمــا ‏ ‏ يـرى كـل قـدّامٍ لحيـرتِــهِ خلفـا

ولـــه:

ومـــســتـــشـــارٍ بـعـيـــونِ الـــورى ‏ ‏ مُـسْتَـنْـفَـــرٍ كــالــرشـأ الأغـيــدِ
تــزدحـمُ الألـفــاظُ فـي وجـهــه ‏ ‏ كــأنمـا استُحْضِــرْنَ في مشهــد
مـثــل هـــلال الفــطرِ يــرقـبـنــه ‏ ‏ فــهـن يــأتــينَ عــلى مــوعــد

ولـــه:

لــو أن للحبِّ فيمـا بيننــا حَكَمــا ‏ ‏ إذاً لـبيَّــنَ حـقــاً أيَّــنــا ظَـلَمــا
عـتـبٌ ولا ذنـبَ إلا أن تــأوبـنـي ‏ ‏ طيفٌ تـزودت من إلمـامــه لممـا
قـالت لو آنـكَ صبٌّ كنتَ ذا سهـرٍ ‏ ‏ ولم تكنْ للكـرى والطيفِ مغتنمـا
فالحبُّ أعظمُ شغـلاً عند صـاحبه ‏ ‏ من أن يـذوقَ منامـاً أو يـرى حلمـا
يــا ويلتــاهُ أمحــظورٌ عـلى دَنِفٍ ‏ ‏ متيم أن يــداوي بـالكــرى سَقَمـا

ولـه في صفة خمار:

هــذا وأشــمطَ ربِّ دســكــرةٍ ‏ ‏ رحـبِ الـفـنــاءِ لـكــلِّ مـن أمَّــا

مـــسـتـنـــزلٍ جـــلـبـــابَ زائـــرِهِ ‏ ‏ ‏ ببشـــاشـــةٍ تـسـتـنـــزلُ الـعـصـمـــا
ضِـقـنـــا بـــه ذرعـــاً فـهـبَّ لـنـــا ‏ ‏ ‏ بـــزجـــاجـــةٍ خلنـــا بهـــا نـجـمـــا
ولـــو أن مُلْكَ الأرض تحت يـدي ‏ ‏ ‏ لجعـلتُ كـــلَّ نبـــاتِهَـــا كـــرمـــا
حـتـى تـــكـــونَ الأرض مـنـــهـــلـةً ‏ ‏ ‏ تغني الصـــوادي عـن زُلالٍ المـــا

ولـه في حسن الحديث:

من دواعي الـغـــرام كَـــرُّ العيـــانِ ‏ ‏ ‏ فـــاحتـرسْ من بـــوائقِ الأجفـــانِ
والحـــديثُ الـــذي يُـهَـــزِّلُ منـــه ‏ ‏ ‏ فـي الهـــوى أريـحيـــةُ الـنشـــوان
أنت من سحـــرِ ساحـــرٍ في أمـــانِ ‏ ‏ ‏ إنمـــا الـســحـــرُ كلُّه فـي اللســـان
نُبَـــذٌ من حـــديـث من تـشـتـهـيـــه ‏ ‏ ‏ نـــائبـــاتٌ عن لـــذةِ الـــرشـفـــان

ولـه في الغزل:

في أي قلبٍ يـصـــونُ حبُّـــكَ لـــو ‏ ‏ ‏ كنتَ بـمـــا في ضـمـيـــره تـــدري
حـــدُّ هـــواه مـــا بـيـنَ ســـالـفـــةٍ ‏ ‏ ‏ منـــه فمـــا دونـهـــا إلى الـصـــدر
فـــإن تـــنـــاهَـــتْ بـــه مـــآخـــذُهُ ‏ ‏ ‏ فـــآخـــرُ الحـــدِّ معقـــد الخصـــر
وقـــدَّسَ الله تـــحـــتَ ذلـــك مـــا ‏ ‏ ‏ ضُـمَّـتْ عـــلـيـــه مـعـــاقـــدُ الأُزْر
لا شـــيءَ إلا لـــحظُ أُمَـــتِّـــعُـــهُ ‏ ‏ ‏ فـي روضـــةٍ مُتِّـعَتْ مـن الـقـــطـر
حيث بـــدا الـــوردُ والبهـــارُ عـلى ‏ ‏ ‏ خـــدك والأقـحـــوانُ في الـثـغـــر
والـســوسنُ الغضُّ نـاعـمـــاً خضـلاً ‏ ‏ ‏ على منـــاطِ الـسلوك فـي الـنـحـــر
يـكـــاد مـــاءُ الـنـعـيـم يقـــطـرُ مـن ‏ ‏ ‏ سُـنَّـــةِ وجـــهٍ كَـسُـنَّـــةِ الـبـــدر
كـــأن قـــبـــطـيـــةً نـثـرت بـــهـــا ‏ ‏ ‏ خِلْطَيْـنِ مـن فـضـــةٍ ومـن تـبـــر
في كـــلِّ حـســن منحتـــه شبـــه ‏ ‏ ‏ مـستـلب من ســـلافـــة الـخـمـــر
اللونُ والنشـــرُ والمـــذاقـــةُ والـســ ‏ ‏ ‏ ـرُّ الـــذي أودعـت مـن الـسـكـــر
شـكـــلُ فنـــونٍ أخـــذتَ نسختـــه ‏ ‏ ‏ عن مَلَكَيْ بـــابـــلٍ من الـسحـــر

مـا ضـرَّ من قُتَّهُ حـديثـك أن ... يـحـرم قـوتـاً بقيـة الـعمـر
يـا حبـذا المسجـد الـذي جمعتـ ... ـنـا فيـه مقصـورة إلى العصـر
مـا كـان إلا بسـتـانَ تـلهيـةٍ ... لـولا مـراعـاةُ حـرمـةِ الشهـر
الـلحظُ راحٌ والـلفظُ فـاكـهـةٌ ... والـخـدُّ زَامُشْـنَـةٌ مـن الـزهـر
في سـاعـةٍ لم تـكنْ عـلى عـدةٍ ... فكيف جـادتْ بهـا يـد الـدهـر
ولـيتـهـا مـوطلت بـنـا أبـداً ... بـل كـلُّ شيءٍ إلى مـدى يجـري

ولـه في الحديث:

ليت شعري ما طعمُ ريقـك قلْ لي ... أخـليـطان سـكـرٌ ورحـيـقُ
روضـةٌ تجمـع الـنـواويـر والـريـ ... ـحـانَ فـي وجهـه وقـنـدٌ رشيـق
وحـديـثٌ كـأنـمـا هـو مـنـه ... رُطَـبٌ يـانـع وخـمـرٌ عتـيـق
شَـرَكٌ يقنصُ العقـولَ فـلا يسـ ... ـلم مـنـه إلا فـؤادٌ وثـيـق
لـيـت قُـوتـي ولا أريـدُ سـواهُ ... مـنـكَ لـو نلتُـهُ حـديـثٌ وريق

ولـه في نحو منه:

حـديـثُـهُ فـاكـهـةٌ رطـبـة ... وخـده روضٌ وعـيـنـاه خَـمْـر
مـا جـمـعَ الله فـنـونَ الـهـوى ... بـالحسنِ في وجـهـك إلا لأمـر

وقـال:

الـرفقُ ألـطفُ مـا اتخـذت رفيقـاً ... ويسـوءُ ظنُّـك أن تكـونَ شفيقـا
فخـذ المجـازَ من الـزمـان وأهلِهِ ... ودع الـتـعـمُّقَ فـيـه والتـحقـيقـا
وإذا سـألت اللَّهَ صحبـةَ صـاحـبٍ ... فـاسـألـه في أن يصحب التـوفيقـا
وانـظر بعينـك حـازمـاً متعـذراً ... في حيث شئتَ وعـاجـزاً مـرزوقـا

وقـال:

اللَّهَ فـاسـألْ يَجُـدْ عليكَ فقـد ... يمنـعُ منـك الجـوادُ مـا يـهبُ

قد يعثر الجدّ بالحريصِ على الـ ـحرمان والحرصُ جاهدٌ كَلِبُ
وَيُـرْزَقُ الحظَّ ذو التوكل والرفـ ـق ومن لا يكدُّهُ طلب

ولـه:

وتقول التي تخافُ رحيلي ربَّ ناءٍ نجاحه في التداني
إن شملاً مؤلفاً وكفافاً لك خير من قرعة الحدثان

وله في الطيف:

أهلاً بطيفٍ حبابه من زائر أهلاً به هجرتْ وليس بهاجر
متجملٌ لما أراد زيارةً أهدى الرقادَ إلى جفونِ الساهر

ولـه:

وما أنسَ لا أنسَ اغتفالَ رقيبهِ مخالَسةً باللحظ ساعةَ ودعا
وأحسبه لولا عيونُ وشاتِهِ لصعَّدَ أنفاساً وصوَّبَ أدمعا

ولـه:

ولقد أحكُّ العين أُوهمُ بالقذى واللحظُ بين جفونها متواتر
ولربما غفلوا ففزتُ بنظرة عجلاً كما قبض الجناح الطائر

ولـه:

تعارضنا مقابلةً بلحظٍ فأطرقنا وقد فُهِمَ المرادُ
وطار بماء وجنته شرارٌ كأن اللحظَ بينهما زناد
فيا لوشاتنا حضروا وغابوا ومن لهمُ بما جَنَّ الفؤاد
كأن الناسَ عما نحن فيه من الأسرار أشباحٌ جماد

وقـــال:

ربَّ جـليس لـيَ فـيـه وَطَـرْ　　　يـفـهـمـه عـنـي بـكـرُّ الـنـظرْ
ســاررتـه بـالـلحظِ في مـجلس　　　يـرقبنـا الـسمـعُ بـه والـبصـر
فـلم نَـقُـمْ إلا عـلى مـوعـد　　　والـنـاسُ عـنَّـا فـي أمـور أخـر

وقـــال:

لي عبدُ سُوءٍ وعبدُ السوءِ مَنْكَدَةٌ　　　والمسترَقُّ بعبدِ السـوءِ مـولاه
كـأنـني كـلمـا أنـهـاهُ آمـرُهُ　　　وحـين آمـره بـالـشـيء أنـهـاه
قـالـوا سعـادةُ فـألٍ من سعـادتـه　　　كـأنهم جهلوا اسمـاً ضـدَّ معناه
إن الغـراب أبـو البيضـاء كُنيتُـهُ　　　فـانـظر بـأي سـوادٍ خَصَّـهُ الله

وقـــال:

وغـدٌ وبعدَ غـدٍ بمضمـونيهمـا　　　عـدةٌ تَغَيَّبُ والغيـوبُ لهـا نـبـا
وحـوادثُ الأيـامِ أكـثـرُ عبـرةً　　　من أن يحيط بهـا القياس فتحسبـا

وله من أخرى يمدح فيها مرتضى الدولة وولده مؤيد الدولة ؛ أولها :

أنجـزي بعضَ مـوعـدي　　　كـم تُـمَـنِّـيـنَ بـالـغـد
أنـا راضٍ بـبـلَّـة الـ　　　ـريق للحـائم الصـدي
نصبَ الكـاشحـون لـي　　　كـلَّ شبـرٍ بـمـرصـد
سَبَّنِـي أن عـشـقـتُـهُ　　　جـائـرُ الحكمِ معتـد
سُـبَّ مـاشيت لا تُـرَعْ　　　بـلسـانـي ولا يـدي
خـوطـةٌ فـي قـرارة　　　أينعـت في ثـرىً نـدي
طـلهـا فـي عـريـنِ ور　　　دِ مـن الأسـدِ مـلبـد
لا أطـيـق الفـداءَ منـ　　　ـه بـشـيء فـأفـتـدي
غـيـر أنـي مـؤيـدٌ　　　بـالأمـيـرِ الـمـؤيـد

ولـقـد قـلتُ لـلحـوا		دثِ قـومـي أو اقـعـدي
أنـا فـي ذمـةِ الأمـيـ		ـر عـلـيٍّ بـن أحـمـد
حُطَّ رحـلي بـدارِهِ		بـيـن نَـشْـرٍ وفـرقـد
هذه الـدولـة الـتـي		كـنـتُ أرجـو لـمجتد

وقـال:

أيـحسـبني من بـين جنبـيَّ دارُهُ		أضيِّعُ من عهدِ المـودةِ مـا رعى
إذن لا اهتدت عيني بأنجمِ نحره		ولا شِمْتُ منها بين طوقيه مطلعا

وقال في الأميرين صمصام الدولة وأخيه مؤيد الدولة ابني مرتضى الدولة:

كـلاهـمـا زِيـنَ أخـوه بـه		كمـا يَـزِينُ الفـرقـدَ الفـرقـدُ
مـن تـره مـنـفـرداً مـنـهـمـا		فـي مجلسٍ قلتَ هـو الـسيـد

ولـه:

ومـا طَمَعُ الإنسـانِ إلا مَـذَلَّـةٌ		ومن قنـع استغنى وإن لم ينلْ وفـرا
وبعضُ الـرجـالِ كلمـا زاده الغنى		غنىً زاده بـالحرص في نفسه فقرا

وقـال:

من لم تـدانـك من قلبٍ مـودَّتـهُ		لم يُـدْنِهِ منكَ قربُ الـدار بـالـدار

وأعاده فقال:

لا ينفـعُ الجيـرانَ أن يتجـاوروا		مـا لم يكـنْ بيـن القـلوب جـوار

ولـه أيضاً:

أخـوك إذا مـا لم يكن لـك قلبـه		أخـاً كـان أدنى منـه نـاءٍ أخـو ودٍّ

ومن قصيدة له في الأمير تأييد الدولة:

لا تفرحنَّ ولا تحزنْ لنائبةٍ ... عليك بالخير أو بالشر لم يدم
في كلِّ أمرٍ وإن طالتْ نجاحته ... حُكْمُ التعاقب في الأنوار والظلم

وأعاد المعنى في أخرى فقال:

أرى كلَّ شيءٍ له دولة ... لحكم التعاقب فيها عَمَلْ
ولا تفرحن ولا تحزنـ ... ـن لشيءٍ إذا ما تناهى انتقل

وله من أخرى في الأمير مستخلص الدولة:

خفِّضْ عليك مساءةً ومسرة ... تلقاهما فلكلِّ شيءٍ آخرُ

وله من قصيدة يرثي بها الأمير مستخلص الدولة ويذكر أمراء من بني أبي الحسين من جزيرة صقلية ويسليهم عنها:

ليسلكمُ أن الجزيرةَ بعدكم ... كما قيل في الأمثال لحمٌ على وَضَمْ
تركتمْ بقايا حسنكم في خرابها ... كما ذَبُلَ النوار في خَلَلِ الحمم
وجوهٌ كأن الله قال لمائها ... ترقرق حياءً وامزج الحسنَ بالكرم
كأنهمُ فوق الأسرَّةِ أنجمٌ ... سعودٌ وفي الهيجا ضراغمةٌ بُهَمْ

ولـه:

كأن على لَبَّاتهمْ وخدودهم ... وذائلَ ملساً من لجينٍ وعسجد
ترى كبرياءَ الحسنِ في لحظاتهم ... تُشَابُ برهبانية المتهجد
إذا قبلوا صلبانهم رشفتْ بهم ... حصى بَرَدٍ فيه مُجاجةُ صرخد

وقال: وشبه الماء حين اجتماعه في الجدول بالسيف وفي استقراره في البركة إذا ضربته الريح بالدرع، وأوجز فيه وأحسن كل الإحسان... ووصف

عين ماء جلبت إلى البركة بدار الإمارة:

حتى استقرتْ لديه في قرارتها ثم استمرتْ به في مرمرٍ سَرِبِ
لها على الجمع والتفريق أمثلةٌ في الدرع مسرودةً والسيفَ في الشطب

وقال:

ولم يُبْكِ فقدانُ الشبابِ لعلَّةٍ سوى أنه داعٍ لفقدِ مشيب

وقال يصف الكرمة:

وكأن أقرطةً على قضبانها منظومةً سبجاً بها وعقيقا
وكأن قاطفها يميثُ بكفّه من مائها بالزعفران خلوقا

ونحوه أيضاً قوله من قصيدة:

مُلاَحِيّةً بيضاً وسوداً حوالكاً وحمراً وصفراً مُلْبَساتٍ مجاسدا
كأن على أيدي القواطفِ تحتها بما قنأت منها عروقاً مفاصدا

وقال في الخمر:

جئنا بها صفراءَ دريَّةً كأنها في البيت قنديلُ
تسعى بها هيفاءُ مجدولةٌ كأنها أهيفُ مجدول

وقال:

لا شيءَ أنفذُ في رميته من صادقٍ فإذا رمى أصمى

وله من قصيدة في التأبين:

أخٌ فأخٌ حتى تحلَّ محله فما أنت مفروحٌ به أنت فارحُ
كأن يدَ الأيام تنقدُ أهلها فما تقتضي إلا الذي هو راجح

ومنهـا:

وليس بمنجيـك الطبيبُ بـطبِّـهِ ... ولا نفسـه ممـا تـطيحُ الـطوائحُ
فكـلُّ مـا تشـاءُ من خبيثٍ وطيبٍ ... إلـى أكلة لـلسمِّ فـيهـا مـجـادح
ومـا كـلَّ حين يتبـعُ السعـدُ ربَّـه ... بلى كـلُّ سعـدٍ ليلةَ النحسِ ذابـح

ومنهـا:

فمـا بـال من يبكي لمـال نجـاحـه ... وقد جمعت في القبر منه الجوائـح

ولـه من قصيدة في التأبين أولها:

طبْ عن حياتك نفساً قربهـا أجلٌ ... فـمـا الـمنيـةُ إلا فـارسٌ بـطلُ
قِـرْنٌ ولـيس بمـرئـيٍّ فتحـذَرَهُ ... وعـلةٌ تتـوافـى عنـدهـا الـعلل

وقـال ووصف خمراً:

ذخيـرةُ قـوم يسكبـونَ عُقَـارهم ... عقـاراً إذا ارتاحـوا وإن كان تـالـدا
تـرى هَمَّهُمْ فيها طـريدَ سـرورهم ... وأحببْ بشيءٍ كـان لـلهمِّ طـاردا

وقـال:

ومـنـابـتُ الـوردِ الـتي وردت ... سَحَـراً عليـك بـوجنـةِ الخجـلِ
لـلطلِّ فـي ورقـاتِـهِ نُـقَطُ ... كـالـدمـعِ حـار بمقلة الـوجـل

وقـال يستنجز الأمير انتصار الدولة عبد الرحمن حاجة:

اللَّهُ ألـطفُ صنعـاً حين يَسَّـرَ لي ... من لطف صنعك تيسيراً لما عسـرا
وحـاجـةً نمتُ عنهـا بـاتَ يكلؤهـا ... يقـظانُ كـالعين تَلْقَى عنـده الأثـرا
حلو الشمـائـل أخـاذُ بفـطنتـه ... مجامعَ القلب حتى السمعَ والبصرا
لو كان في الأرض أمـلاكُ ملائكـة ... لقلتُ حـاشـا لـه من كـونـه بشـرا

وقائل قال لي أبشرْ بمنجحه		إن الأميرَ كريمٌ قال فانتصرا
ما حاجةٌ هي أولى أن تفوزَ بها		من حاجة منحتها عينُهُ نظرا
إذا ابنُ مستخلَصِ الإسلام قام بها		فاقعدْ فإنك قد وَلَّيتَها الظفرا
ألقيتها منه في سرٍّ يجول به		إذا تناسيتها مستبطناً ذكرا
فما اعتذاريَ في تأخير ما علموا		أن الأميرَ على تقديمه قدرا
أو دُلَّني أيها المولى على جَدَلٍ		أُدْلِي به عند من يستخبرُ الخبرا

وقال:

خرجوا ليستسقوا وقد نشأتْ		مجنوبةٌ شَرَقٌ بها السفحُ
حتى إذا اصطفوا لدعوتهم		وبدا لفيضِ دموعهم نضح
كُشِفَ الغمام إجابةً لهم		فكأنما خرجوا ليستصحوا

وله:

لا تكونن مُبْرِماً وعسوفاً		سَلْهُ دَمْهُ وخلِّ عنكَ الرغيفا
أكرم الخبزَ بالصيانةِ حتى		جعل الكعكَ للبنات شُنُوفا

وقال:

ما كان أمس فقد فات الزمانُ به		وما يكون غداً في الغيب موعود
وبين ذينك وقتٌ أنت صاحبه		في حالتيه فمذمومٌ ومحمود

ومن شعره يهنىء بسلامة ولد ملكه من جدري أصابه[1]:

لا يطمعنك في السلو تكهلي		أنا من علمت على الغرام الأول
إن كان غرك ذا الوقار فإنه		كالطيب يعبق في القميص وقد بلي

---

(1) هذه القصيدة من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1: 133).

نسـك نصبت بـه حبـالـة مـطعم ... متعـود قنص الغـزال الأكحـل
ولـرب مـأربـة لبست لهـا الـدجى ... وقضت بهـا وطراً لـطافـة مـدخلي
أسري كما تسري النجوم لحاجتي ... والنـاس بيـن مـدثـر ومُـزَمَّـل
ولقـد تعبـدني عـلى حـريتـي ... غُصْنٌ تنعَّمَ في الـرحيق السلسـل
ممن يـصـونُ عن الأكـفِّ ثمـارَهُ ... بخـلٌ ويحجبـه عن المتـأمـل
لا تنفـع العبـراتُ عنـد صـدوده ... أحـداً وَيُـرْهَبُ أن يقـالَ لـه صـل
داريـتُ قسـوتـه بـليـنِ تـلطفـي ... والصعبُ تعـطفه يـدُ المتحيِّـل
وإذا بليتَ بهـاجـرٍ فـاصبـرْ لـه ... فـالمـاءُ ينبطُ من صفـاة الجنـدل
لأسـابقنَّ غـداً لـتهنئـة العـلا ... ولآخـذنَّ بشـارةَ المـستعجـل
ولأهـدينَّ إلى الـخـلافـةِ إنهـا ... تُعلي وَتُحْمَـدُ بعدَ أحمـد في علي
سـردتْ يدُ الجُـدَرِيِّ فـوق أديمِـهِ ... حَلَقَ الـدروع مقدَّراتِ المـدخـل
ولقبلهـا لبسَ الـدروع مسـوّمـاً ... في موكبٍ كَدِرِ العجـاجةِ جحفـل
اللَّه هنـأك السـلامـةَ في الـذي ... سِيءَ العـدوّ بـه كمـا سُرَّ الـولي
داويتَ بـالصدقـات معضـلَ دائـه ... والبـرُّ يـدفـعُ كـلَّ داءٍ معضـل

وقـال في مثله :

فـاستعنْ بـالـرفق إن رمتَ صعبـاً ... ربمـا يسهـلُ بـالـرفقِ صَعْبُ
وإذا أعـيـاك أمـرٌ فـدعـه ... مـا لـمـا أعيـا من الـداء طب

وكرره فقال :

كـالصخرة الصمـاءِ يرجـعُ معولي ... متـثلمـاً عـنهـا ولا تـتـفـطَّرُ
لا بـل أُصـابِـرُهَـا على نَـزَقَـاتهـا ... إن الميـاهَ من الصـفـا تتـفجـر

ونحوه قوله أيضاً :

يـا جـارتـا إن الحجـارةَ جلمـدٌ ... ولـربمـا انفجـرتْ بهـا الأنهـار

أقساوةً عجباً ووجهك ناضرٌ يَدْمَى إذا وقعت به الأبصار

ولـه من قصيدة في الأمير انتصار الدولة :

لك عندي صنيعةٌ قلدتني نعمةً عفوها يقصِّر جهدي
فإذا ما أضاءَ حولك نورٌ من ثنائي فأنت قادحُ زندي

ولـه من أبيات تنجزه بها :

وإن أولى نباتٍ أن تُثَمِّرَهُ صنيعةٌ أنت مولاها ومُوليها
فَرُبَّها إنها سبعٌ سنابلها في حبةٍ بارك الرحمنُ لي فيها
أودعتها في ثرىً جعدٍ فأنبتها مستأرضاً أرضها خضراً أعاليها
فابعث ولياً إلى وسميها مدداً إن الكتائبَ منصورٌ تواليها

ولـه في انتصار الدولة أيضاً :

تبدو بخاطره الغيوب جلية ويرى الضمائر إثرهن خواطر

ولـه فيه :

فطنٌ يحدِّثُ بالغيوب تظنياً فكأنما لحظاته في الخاطر

ولـه فيه وفي مستخلص الدولة أبيه يمدحهما :

وكأنما الحدثان خلفَ زجاجةٍ تريانه خللَ الغيوبِ شفيفا
وكأن أسرارَ الوجوه تصوَّرَتْ لكما بأسرار القلوب حروفا
فإذا انطوى يوماً بغش نيَّةٌ نشرت فأصبح سترها مكشوفا

قال أبو طاهر التجيبي : وذاكرت أبا الحسن الربعي في هذا المعنى فقال : وما فائدة الشكوى إذا لم تفد جدوى. إنما القول في هذا ما قاله ابن المقفع في وصف صاحبه : «كان لا يشكو وجعه إلا لمن يرجو عنده برءاً»، ثم أنشدني فيه من

أول قصيدة له:

عجبتُ ولم أعجبْ بغيـر عجيب ... لـمن يـشتكي داءً لـغيـر طبيـبِ
ومـا تنفـعُ الشكـوى إلى متوجـع ... إذا لـم يكـنْ في طبـه بمـصيب
وأكثر مـا يجـدي عليـك بـدمعـه ... فـأيُّ جـدىً في عبـرة ونحيـب

وأنشدني أيضاً في نحو ذلك من أبيات له:

مـا صحبنـا النـاسَ إلا بـالغنـا ... عـنـهـم والله يـغـنـي مـن يـشـا
ولـو احـتجنـا إليـهم لـم نـكـنْ ... مـنـهـمُ إلا عـلى حـدّ شـفـا
بـينـمـا الـمـرءُ جـليسٌ حَسَـنٌ ... كـشف الـعـورةَ منـه، كـشـفـا
فـإذا هـو هـيِّـنٌ مـجـلسـه ... قـد أحيـل الـوجـهُ منـه بـالقفـا

وله من قصيدة يمدح فيها الأمير مستخلص الدولة الحسن بن ثقة الدولة؛ أولها[1]:

يـا قلب ويحك قـد خلقت ضعيفـاً ... أفـلا تـزال على هـوىً مـوقـوفـا
حتـامَ أنت بـذاتِ طَرْفٍ سـاحـرٍ ... لا تـستـبـلّ بـحنَّـةٍ مـطـروفـا
خَفَّتْ حصـاتُكَ يـومَ خفَّ قطينهـا ... هـل كنتَ تحـذر للقـطين خفـوفـا
وكـأن قيِّم ركـبهـا مـسـتـوفـز ... ضـربـوا لـه أجـلاً فحثَّ عنيفـا
سـاروا بهـا والبـدرُ من أتـرابهـا ... يـتنـقصـون تـمـامـه تحييـفـا
قد كان في حال الكمالِ كـوجهها ... فغـدا كحـاجبهـا أزجَّ نـحيـفـا
يـا من رأى القمـرَ المنيـرَ بهـودجٍ ... متجللاً غيـرَ السحـاب سجـوفـا
نـظمتْ لـه أيـدي القيـانِ بلؤلؤ ... مثـلَ النجـوم قـلائـداً وشنـوفـا
غُمَّ الهـلالُ فـأطلعتـه بـوجههـا ... في هـالـةٍ جعلت عليـه نصيفـا
وتحيلت للعين حُـمْـرُ بـرودهـا ... شفقـاً أحـاط بـه وكنَّ شفـوفـا

(1) من مختارات ابن الصيرفي.

بـل ربّ ليـلٍ بتّ أنشـدُ صبحـه | فكـأنني أضللت منـه تليفـا
ليـلاً حسبت بـه المجـرة جـدولاً | وحسبت أنجمهـا حصىً مرصـوفـا
كـان الشبـابُ حيـا الـربيـع رايتـه | رطبـاً وصَـوَّحَ بـالمشيب مصيفـا
ولـعـله بـعـد الـسنـيـن مـروّحٌ | بندى الحسين فأرتعيـه خـريفـا
مـلك تـنـطق بـالـمـلوك أبـوةً | وبـنـوةً فـأتى بـهم مـحـفـوفـا
مستخلَصُ الخلفـاءِ وابن ملوكهـا | وأبـوهم مـا بـلَّ بحـرٌ صـوفـا
لـو لـم تفز بتليـد مجـدك في العـلا | حـظاً لفـزتَ بمن ولـدتَ طـريفـا

وقولـه فيه أيضاً[1]:

نـظرتْ فقلتُ هو الغـزالُ الأدعـجُ | وتـبـسـمت فـإذا الـنـقـيُّ الأفـلجُ
وشـككـتُ بيـن مـذكّـر ومؤنـث | فيهـا فـأنبـأ بـاليقيـن الـدملج
ريحـانـةٌ بَـرْدُ النعيمِ بـظلهـا | لـو كـان فيـه للمـظل تـولّـج
إحـدى حبـالات القلوبِ لقلمـا | ينجـو إذا نُصِبَتْ لـه المتحـرج
لا يخـدعنَّـكَ بـالكنـاس بُغَـامهـا | إن العـرينَ بـه زئـيـر مـزعـج
ذو لبـدةٍ منـع الجـوازَ كـأنمـا | منـه على الصحـراء بـابٌ مرتـج
أنيـابُـهُ شـفـراتـه ولـهـاتُـهُ | تـنـورُهُ فـالنـيّ فيـهـا منضـج
أغمـامـة بـرقت بهـا أم هـودج | أم تـلك أحـلامٌ بـيـوم تـلـهـج
مـا خلتُ قبلك والمخـالـةُ حيـرةٌ | أن الكنـاسَ على بعيـرٍ يحـدج
صـار الأراك على الغـزالـةِ كَـلَّةً | والـمـردُ أزرارٌ عـليـهـا يـسـرج
هـوِّنْ عليـك بمن نـواه كهجـرهِ | أيبكّـرُ الحـادي بـه أم يـدلـج
فيمَ الصبـابة بعـدمـا ذهب الصِّبـا | سـنّ مـذكـيـة ورأسٌ أحـرج
إن الذي قد كان يحسنُ في الهوى | بـالأمس منـك اليومَ شيء يسمـج

---

(1) من مختارات ابن الصيرفي.

لم يبق يـا شرخَ الشبـاب بلمتي ... إلا دريسٌ من ثيـابـك منهـج
ستّ من العشراتِ خلف حقيبتي ... طُوِيَتْ كما طوي الكتابُ المدرج
فاصرف هواكَ إلى الثناءِ على الذي ... يثني صروفَ الدهر عنك فتفرج
الخـاتم الأمـلاك لـولا نـاشيءٌ ... مـن صلبـه يـلدُ الملوكَ متـوج
قـمـرٌ أبـوهُ الـبـدر إلا أنـه ... تِمٌّ وذلـك حين يـولَـدُ مخـدج
أخـذتْ بأسعـده الكواكبُ حـظَّها ... وتقـاسمته على السـواءِ الأبـرج
وإذا الـدجى صبغ النبيطَ أحابشـاً ... فكـأنمـا بيضُ الجلود يـرنـدج
كُشِفَ الغَمَى فتميـزت ألـوانهـا ... فكـأنمـا انفلق الصبـاحُ الأبـلج
نـوراً أعين من الهـدى ببصيـرة ... طُمِسَ الضـلالُ بها وكـان المنهج
الحقّ في الشبـه البـهيمـة أبلجُ ... والبـاطـلُ المصنـوع فيهـا لجلج
ومن الثنـاءِ على الـملوكِ مُحَبَّرٌ ... يـكسـونـه حـللاً ومنـه مُدَبَّج
والشعـرُ مثل البحر يقـذف سِيفُـهُ ... بـغثـائـه والـدرُّ حيث يُـلَجِّـج
ولو استطعتُ على النجوم نظمتها ... عقـداً عليك فهـل إليهـا مَعْـرَج
وإذا منحتـك من ثـنـاكَ نتيجـةً ... فعن المنـائح من نـوالـك تُنْتَـجُ
لا يعـدمنَّـكَ منبـرٌ وخـطيبـه ... مـا لم يـزلْ فيـه بفخرك يلهـج

ولـه من قصيدة يمدح انتصار الدولة بها وذكر فيها ظفره بخارجي خرج عليه :

ظـنَّ الإمـارة ظُـلَّةً فـإذا بـهـا ... حـربٌ يكـادُ أوارهـا يتـأجـج
ومهنّـداتٌ كـالعقـائق مـاؤهـا ... متـرقـرقٌ ولهيبهـا متـأجـج
لا تستقـرُّ العينُ فـوق متـونهـا ... فكـأنمـا هي زئبـقٌ متـدحـرج
ومـداعسٌ للخيل يَـرْمَـحُ وسطهـا ... من غيـرِ فـارسـه طِمِـرٌ مسـرج
عَقْـرَى وسـالمـةٌ تعـاثـر في القنـا ... العَسجـديُّ وذو الخمـارِ وأعـوج
طـرحَتْ فـوارسَهـا على أذقـانهم ... طَـرْحَ الكِعـابِ فمفـردٌ أو مـزوج
في مـوطنٍ سلبَ الحـليمَ وقـارَهُ ... فكـأنمـا هـو مستـطارٌ أهـوج

ولـــه:

في مثـلِ يـوم الحسـاب تحسبهم ... سَكْـرَى وكالسكـر بعضُ ما شـربـا
كـأنــمــا أرضـهــم قـلوبــهــم ... فكلُّهــا قـد أجيـلَ فـاضــطربـا

وقــال:

حـسـبــيَ مـمــا فــاتــنـي كــلُّهُ ... بـقـيــةٌ مــن أمــلٍ فــي يــدي
فـكـم كـثـيــرٍ بـلغ الـمـنـتـهـى ... كــان قليــلاً في يــد الـمبتـدي
وربـمــا استــدرك فَـوْتُ الـغنـى ... وأُسـعفَ الـنــاشــدُ بــالمـنشــد

وأعاد المعنى فقال من قصيدة ذكر فيها أمر الفتنة الكائنة بصقلية وما تفاقم منها على ضعف بدئها:

لا يهنْ بعــدهــا عليــكَ حـقيــرٌ ... رب شــانٍ يـكــونُ مـنــه شؤونُ

وقــال في قصيدة في الفتنة أيضاً:

وقلت تـلافـوا شَجَّـةَ الـدهـر إنهـا ... إذا نَـغِـلَتْ أعـيـت مَـطَبَّــةَ آسِ

وقال في مدح انتصار الدولة وابنه:

علِّقْ رجــاءك بـالحسين وبــابنــه ... إن العــلائقَ بــالـكــرام أواصــرُ
واعلمْ بـأنـك إن غـزوتَ نـداهمـا ... بلواء مــدحهمـا فـإنـك ظــافــر

من شعره يمدح الأمير ثقة الدولة يوسف بن عبد الله وولده تاج الدولة وسيف الملة جعفر من قصيدة وقد تخلص لمدحه[1]:

طــرق الخيـالُ وســاء مـا طـرقـا ... أَخــذ الــرقــادَ وخــلَّف الأرقــا

---

(1) هذه القصيدة من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1 : 132 ـ 133).

عنـدي سـرائـر لـو نفثتُ بهـا		في صخـرةٍ لـتقـطعـت فِلَقَـا
حـبّ صـليـتُ بـه واكـتـمـه		لـو مسَّ أبـكـم حـرُّهُ نـطقـا
ولقـد صبـرتْ لـه فـأوسعني		قـلقـاً وانخـن مهـجتـي حـرقـا
ولـعـلنـي إن قـلت لـي عُـلَقٌ		قـعـد الـوشـاةُ بقـصتـي حَلَقـا
وأنـا الـرهـينُ بـحبِّ سـاحـرةٍ		مـلأتْ يـديَّ ببشـرهـا مـلقـا
نـظمتْ لهـا أيـدي مـلاحتهـا		خَـرَزَ القلوبِ بجيـدهـا نسقـا

منهـا وتخلـص:

مـلكٌ تـضـمُّ الأرضَ قـبـضـتُـهُ		حتى تـكـونَ جميعـهـا طبـقـا
يغـزو بـأدهمَ في العجـاجِ تـرى		لمـع السيـوف بجسمِـهِ بَـلَقَـا

* * *

96 ـ أبو الحسن علي بن المعلم

صاحب ديوان الصناعة. في «الدرة» أنه ولع بالهجاء وذم الزمان وأوطن الأندلس. سأله بعض أخوانه أن يجيز:

ومـاءٍ كعينِ الـديـكِ يجـري على الحصى

فقـال:

إذا مـا نَهَتْـهُ الـريـحُ عن جـريـه عَصَى
يصفّق مـرتـاحـاً بـراحـةِ مـوجـه		كنشوانَ غَنَّتْهُ المثاني فأُرقصا

* * *

97 ــ الأمير أبو محمد عمار بن المنصور الكلبي[1]

ذكر أنه من أفاضل العلماء وسادات الأمراء وذو يد في الفقه والحديث؛ ولــه:

تقــول لقــد رأيتُ رجــالَ نجــدٍ ... ومــا أبصــرتُ مثلَكَ من يمــانِ
ألفتَ وقــائــعَ الـغمــرات حتى ... كــأنـك من رداهــا في أمــان[2]
إلى كم ذا الهجــومُ على المنــايــا ... وكــم هــذا التعــرضُ لـلطعــان
فقلت لهــا سمـعتُ بـكــلِّ شيءٍ ... ولــم أسـمـع بــكـلبــيٍّ جبــان

ويقول في ابن عمه شكايةً:

ظننتـك سيفاً أنتضيـك على العدا ... وما خلتُ أني أنتضيكَ على نفسي
وجئتــك أبغـي رفعــةً وكــرامــةً ... فأمسيت مقهوراً بقـربك في حبس

ومــن شـعــره:

لولاك ما اجتمـع الضدان في قَـرَنٍ ... قلبٌ حــريقٌ ودمــعٌ واكفٌ جــارِ
فكيف أسلو وطرفي منك في غَرَقٍ ... لا يستقــلُّ وقلبي منــكَ فــي نــار

ولــه:

وصـاحبِ سـرٍّ قــد كتمتُ سِــرارَهُ ... بسترٍ حصين لا يُرَامُ له هَتْــكُ
أراد اختبــاري بعـده فجحــدتــه ... فمرَّ قد استولى على عقلِهِ الشك

***

---

(1) الخريدة والمختصر.
(2) المختصر: كأنك والوقائع توأمان.

98 ــ الفقيه أبو حفص عمر بن أبي الطيب[1]

....[2]

بالقيروان من قصيدة أولها:

.... وليمـونةٍ جـاءت بِعَرْفِ القَـرَنْفُـلِ

يقـول فيهـا:

وقلتُ لهـا لمـا رأيتُ اصفـرارهـا أبيني لنـا من شـأنـكِ المتعـلل
فقـالت ولم تنطقْ ولكنَّ سقمهـا أتى بجـوابٍ يكشفُ الأمرَ فيصـلِ
عـراني فـراقٌ من غصـونٍ منيفـةٍ فغـربنـي عن فـيئهـا المتـظلل
فأصبحتُ في حُزْنٍ وساورني الضنى كما أنت في حُزْنٍ من البين مثكـل
فـأعجبتُ منها بـالجـواب بـديهـةً وإيضـاحها عن غـربتي وتـرحلي
وقلتُ لهـا إني بـكَ اليـوم بـاعثٌ إلى من لـه محضـاً ثنـائي ومقـولي

***

99 ــ أبو حفص عمر بن حسن النحوي الصقلي[3]

ذكر أنه شيخ لغة ونحو، وله في علمهما سَبْحُ صحّةٍ وصحو، حصل في اعتقال الإفرنج في صقلية، وسيم أنواع البلية. وشعره متناسب الحوك، متناسقُ السلك والسبك، وله قصيدة في مدح رجار صاحب صقلية وهو في قبضة الإسار أولها:

طلب السلوَّ لـو آن غيرَ سعـادِهِ حَلَّتْ سـويـدا قلبِـهِ وفـؤادِهِ

---

(1) من المختصر.
(2) هنا خرم في النسخة؛ ولعل الأبيات التالية لشاعر آخر.
(3) هذه الترجمة من الخريدة وله ترجمة في إنباه الرواة 2: 328 (رقم: 504) وأورد الشعر وقال في آخره: والله يغفر لهذا الشاعر في مدحه الملك الكافر، ولكنه معذور إذ هو مأسور، وقال في ترجمته: وتصدر للإفادة ببلرم في الأيام الفرنجية وأصيب من الفرنج بما قضى بسجنه.

ورجا زيارةَ طيفها في صدِّها وغرامُهُ يأبى لذيذَ رقاده
والله لولا المَلْكُ رُجَّارُ الذي أهدى لحبيه عظيمَ وداده
ما عاف كأسَ المجدِ يومَ فراقها ورأى محيا المجدِ في ميلاده

ومنها في المدح:

يهتز للجدوى اهتزازَ مُهَنَّدٍ يهتز في كفيه يومَ جلاده
ويضيء في الديجور صُبْحُ جبينه فتخالُ ضوءَ الشمس من حساده
ومطالعُ الجوزاءِ أرضُ خيامِهِ والنجمُ والقمرانِ من أوتاده
وإذا الأمور تشابَهَتْ فلقُضْبِهِ خطّ يبيّضُ سودها بمداده

ومنها:

يا أيها الملك الذي ثَبَتَتْ به قدما الفظاظةِ في صفا أصلادِهِ
ودعته أرواحُ العدى فرمَى بها لُعباً تلقّتها ظُبَى أغماده

واقتصرت منها على هذه النخبة مع الظمأ إليها، فما أوثر إثباتَ مديح الكفرة، عجل الله بهم إلى لفح ناره المسعرة. وهذا الشاعر معذور فإنه مأسور.

* * *

100 ــ أبو حفص عمر بن حسن بن السطبرق[1]

ذكر أنه من أهل الدين والورع والعفاف؛ وله في الزهد:

سيلقى العبد ما كسبتْ يداهُ ويقرأ في الصحيفة ما جَنَاهُ
ويُسْأَلُ عن ذنوبٍ سالفات فيبقى حائراً فيما دهاه
فياذا الجهل مالك والتمادي ونارُ اللّهِ تحرقُ من عصاه

(1) من الخريدة.

فعوِّلْ في الأمور على كريمٍ		توحَّدَ في الجلالةِ في علاه
وأَمِّلْ عفوه وافزَعْ إليه		فليس يخيبُ مخلوقٌ رجاه

* * *

101 ـ أبو حفص عمر بن الحسن بن العوفي الكاتب[1]

ذكر أنه لغوي شاعر كاتب منجم مهندس؛ وله في مرثية أولها:

للموتِ ما يولَدُ لا للحياهْ		وإنما المرءُ رهينُ الوفاهْ
كأنما يُنْشَرُ عمرُ [الفتى]		حتى إذا الموتُ أتاه طواه
من تَرْمِ أيدي الدهرِ لا تُخْطِهِ		والدهرُ لا يخطىء من قد رماه

ومنها:

نفس الفتى عاريةٌ عنده		ما بخله بالردِّ إلا سفاه

وله:

بأبي من غدا صميـ		ـمَ فؤادي مَحَلُّهُ
والذي عَقْدُ حبه		ليس خَلْقٌ يحلّهُ
أيها العاذلُ الذي		طال في الحبِّ عذله
أتراني مللته		لستُ ممن يمله
لا ولا اعتضتُ غيرَهُ		بل له الودُّ كله

وله:

إن دمعي أعلنَ السـ		ـرَّ وقد كان مصونا
باح بالوجدِ فأبدى		للورى داءً دفينا

---

(1) من الخريدة.

مـا لـذا تـصلحُ عيني ... قـبح الله العـيونا
جلبتْ حتفي ونمت ... فـاحتفت في الظنـونا
وغـدا مـا كـان شكـاً ... عـنـد أقـوام يقـينـا

***

102 ـ عمر بن خلف بن مكي الصقلي (1)

فقيه محدث لغوي عالم بالعربية، مصنّف في اللغة، صنف في اللغة كتاباً سماه «تلقيح الجنان وتثقيف اللسان» في نهاية الملاحة والبيان، يدلُّ على وفور حظه من هذا الشأن.

رحل إلى تونس من برّ العدوة، فاستوطنها، وولي قضاءها، وكان يجيدُ الخطب، يخطبُ في كلِّ جمعة بخطبة من إنشائه، تفوق خُطَبَ ابنِ نباتة، وله شعر يروق، منه ما قاله في القناعة:

يا حريصاً قطع الأيامَ في ... بـوس عيشٍ وعناءٍ وتَعَبْ
ليس يَعْدُوكَ من الرزقِ الذي ... قسم الله فأجملْ في الطلب

وقولـه:

نعماكم طردتنا عن زيارتكم ... وقنَّعتنا حياءً آخرَ الأبـدِ
إن الزيارة في الإحسانِ طاردةٌ ... للحرِّ عن موضع الإحسان فاقتصد

وقولـه:

لا تبادرْ بالرأي من قبل أن تُسْـ ... ـأل عنـه وإن رأيتَ عـوارا
أحمقُ الناس من أشار على النا ... س برأيٍ من قبل أن يستشارا

---

(1) ترجمته في إنباه الرواة 2: 329 (رقم: 505) وأورد له القطعة الأولى والأخيرة، وسائر المقطعات من الخريدة.

وقولــه:

لا تصحبنَّ إذا صحبتَ أخا جهلٍ ولو أن الخيارَ مَعَهْ
إن الجهولَ يضرُّ صاحبَهُ من حيث يحسبُ أنه نفعه

وقولــه:

صديقي الذي في كلِّ يومٍ وليلةٍ يكلّفني من أمره ماله بالُ
ولا يؤثر التخفيفَ عني، فإنما علامةُ صدق الودِّ عنديَ إدلال

وقوله من قطعة:

عادِ الجهولَ فإنه ممن يعينك في هلاكِهْ
واحذر معاداةَ اللبيـ ـبِ فليس تَخْلُصُ من شباكه

وقولــه:

اجعل صديقَكَ نفسَكْ وجوفَ بيتك جِلْسَكْ
واقنعْ بخبزٍ وملحٍ واجعل كتابَكَ أنسك
واقطع رجاءَك إلّا ممن يُصَرِّفُ نفسك
تعشْ سليماً كريماً حتى توافيَ رمسك

وقولــه:

وإذا الفتى من بعد طو لِ خصاصةٍ بلغ الأَمَلْ
فكأنَّ بُوسَى لم تكنْ وكأن نُعْمَى لم تزل

وقوله في مدح الانفراد:

من كان منفرداً في ذا الزمان فقد نجا من الذلِّ والأحزان والقلقِ
تزويجنا كركوبِ البحر ثم إذا صرنا إلى ولدٍ صرْنا إلى الغرق

وقوله في الشيب:

أيرومُ من نزل المشيبُ برأسِهِ ... ما قد تعوَّدَ قلبُهُ من فعلِهِ
من لم يؤثر نقصُهُ في جسمه ... في الأربعينَ فإنه في عقله

وقوله:

عجباً للموتِ يُنْسَى ... وهو [ما] لا بدَّ منهُ
قل لمن يغفلُ عنه ... وهو لا يغفلُ عنه
كيف تنساه وقد جا ... ءتْكَ رسل من لدنه
سوف تلقى الويلَ إن جئـ ... ـتَ بعذرٍ لم تُبِنْهُ
وترى جسمَكَ في النا ... ر غداً إن لم تصنه
والذي ينجو من النا ... ر أخو التقوى فَكُنْهُ

وقوله:

أتطمعُ في ودِّ امرىءٍ وهو قاطع ... لأرحامِهِ هيهاتَ قد فاتكَ الرشدُ
إذا لم يكن في المرءِ خيرٌ لوالدٍ ... ولا ولدٍ لم يَرْجُهُ أحدٌ بعد

***

103 ـ أبو حفص عمر بن رحيق(1)

قال من قصيدة يندب مدينة بلرم وقد فتحها الروم في سنة أربعين وخمسمائة:

نفسي تحنُّ إلى أهلي وأوطاني ... وهل رأيتم محباً غير حَنَّانِ
كانوا لقلبي أحباءً وفي كبدي ... نارٌ تأجج من شجوي وأحزاني

---

(1) من الخريدة.

مـا ضـرَّ حين نـأوا لـو وَدَّعُـوا دنفـاً رَهْنَ الحوادثِ في كفِّ الأسى عاني
عـزَّ اصطبـاري لرزءٍ قـد دُهِيتُ به وبـان عنّي لـوشـكِ البينِ سلواني

***

104 ـ أبو حفص عمر بن عبد الله الكاتب(1)

لــه:

أرقٌ أراقَ مَصُـونَ دمعي كـارِبُـهْ وهوىً هوى بجميلِ صبري غـالبُهْ

ومنهــا:

نـازعتُهُ بعـدالجمـاحِ عنـانَـهُ والليـلُ أليـلُ تـرجحنُّ غيـاهبـه
فقضيتُ بـالتمـويـه منه لبـانـةً وجعلت إعتـابي بحيثُ أعـاتبـه
وبشـاغـلِ الحـالين أشكـلَ أمـرُهُ لمـا استوى صـدقُ العتابِ وكـاذبه

ولــه:

ألا إن قلبـي بـالـغـرام مُـوَكَّـلُ ومذ غبتَ عن عيني فقدتُ هجوعي
منحتُ سـوادَ القلبِ صفـوَ ودادكم وقسَّمْتُـهُ بين الحشـا وضلوعـي
فـإن كنتَ لا تأسى لبعـدي فـإنني [لبعـدِكَ] وجداً مـا تجفُّ دمـوعي

***

105 ـ أبو حفص عمر بن عبد النور (2)

يعرف بابن الحكـار، صقلي فاضـل عالم نـظام محقق حسن الكـلام

(1) من الخريدة.
(2) ترجمته في ترتيب المدارك 8: 115.

والتأليف، أديب شاعر حسن القول. وله في «المدونة» شرح كبير نحو ثلثمائة جزء، وانتقد على التونسي ألف مسألة، واختصر «كتاب التمامات». أنشد له جامع شعر صقلية:

تأملتُ علمَ المرتضين أولي النهى ... فأفضلهم من ليس في جِدِّهِ لَعِبْ
ومن فقهُهُ مستنبَطٌ من حديثه ... رواه بتصحيح الرواية والتعب
وما مالكٌ إلا الهدى ولذا اهتدى ... به أُمَمٌ من سائرِ العجم والعرب

حكي أن بعض شبان فقهاء صقلية وحفاظها وهو أبو القاسم ابن الحداد وكان ممن يفتي تقدم مرة بين يدي الشيخ أبي حفص رحمه الله فأصلح له قرقه أو نعله، فقال له: اصفعني به يا أبا القاسم ولا تفتني في دين الله عز وجل - رضي الله عن جميعهم.

* * *

106 ـ الفقيه أبو حفص عمر بن مازوز بن جليل اللواتي

من فقهاء صقلية ومشاهيرها، كان شاعراً؛ فمن شعره[1]:

أأساويك أم أعدُّك شكْلاً ... أم تراني أراكَ للسبِّ أهلا
سبَّ ما شئت لستَ ممن يُجَارَى ... أنا بالسبِّ إن سببتك أولى

ومِنْ شعره أيضاً:

إذا سبني وغدٌ تزيدتُ رفعةً ... وما العار إلا أن تراني أسابِبُهْ
ولو لم تكنْ نفسي عليَّ كريمةً ... لأمكنتها من كلِّ وغدٍ تجاوبه

(1) ذكره في المنتخل وأورد له القطعة الأولى وفي مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1: 132) وأورد له القطعة الثانية، وفي ترتيب المدارك 8: 70 وكتب هنالك: «بن ساروي» وأورد له القطعة الأولى والثالثة.

كفى حَـزَناً لي أن وغـداً مخـاطبي وبـالوغـدِ فخرٌ لـو يراني أخـاطبـه

ولـه يفخر بقومه لواتة:

لمن تُـعْـزَى الأَكـارِمُ والأيـادي وردّ الـخيـلِ داميـةَ الـهـوادي
سـوى قومي الـذين سَمَتْ نفـوس بهمْ شـرفـاً إلى السبـعِ الشـدادِ

***

107 ـ عمر بن يوسف بن محمد بن الحذاء الصقلي[1]

أخبرنا أبو حفص عمر بن يوسف بن محمد بن الحذاء القيسي الصقلي بالثغر انا أبو بكر عتيق بن علي بن داود السمنطاري بصقلية أنا أحمد بن إسحاق المهراني ثنا أبو بكر النصيبي ثنا القعنبي عن مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتِر أهله وماله»[2].

أبو حفص هذا كان من مشاهير الزهادِ وأعيان العباد، وله محل كبير عند أهل صقلية وغرب الوسط باستحقاق، فقد كان من أهل العلم ملازماً للثغر مذ سكنه، غير متصرف في أمور الدنيا طول زمنه، ولم أسمع عليه شيئاً مع نزول روايته إلا على وجه التبركة. وقد كان يمتنع من الرواية، ولم يقرأ أحد عليه قطّ شيئاً من الحديث غيري بعد امتناع زائد وخطب طويل جرى بيني وبينه حين وقفت على سماعه من السمنطاري وإجازته له جميع رواياته. وسألته عن مولده فقال: سنة ثلاثين وأربعمائة في شهر رمضان. وكان اجتماعي معه سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، وأجاز لي جميع ما يرويه سماعاً وإجازة، وقرأت عليه بالإجازة عن السمنطاري فوائد من مشيخته، والذي وجدت فيه سماعه «الموطأ» لمالك بالإسناد الذي أوردته أولاً.

وقد ولد بصقلية سنة ثلاثين وأربعمائة وقرأ بها القرآن على أبي عبد الله

---

(1) الترجمة من معجم السفر 222 ـ 223.

(2) قارن بما تقدم ص 63.

محمد بن عبد الله القناد وأبي محمد عبد الله بن فرج المقرئين، والفقه على عبد الحق بن محمد بن هارون وأبي بكر محمد بن عبد الله بن يونس وأبي بكر عتيق بن علي السمنطاري ثم توجه إلى الحجاز سنة إحدى وخمسين فحج وجاور بمكة ثلاث سنين، ثم رجع إلى بلده فقرأ بها على ابن أبي محمد عبد الحميد بن محمد الصائغ القيرواني وعلى أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الخرقي وعلى أبي الحسن علي بن محمد بن أبي القاسم بن المعلوف، ثم رحل إلى سفاقس وقرأ بها على أبي الحسن علي بن أبي بكر الربعي المعروف باللخمي، ثم انتقل إلى الإسكندرية سنة اثنتين وسبعين وأقام بها إلى أن مات.

ولما اجتمعت به وسألته عن مولده وقرأت عليه فوائد عن السمنطاري لا غير منها إجازة ومنها سماع وسألته الإجازة لي ولابنه ومن حضر معنا ففعل وذكر أنه سمع الحديث على عبد الحق الخرقي وابن المعلوف وجرى بيني وبينه خطب طويل في فضل الرواية وأن روايته أولى من امتناعه منها، فاعتلّ بعلل تكلمت عليها معه فوجدت عمدته في تحرّيه التحرزَ من الوقوع في الكذب على النبي ﷺ إذ لم تتقدم له قراءة للعربية فقلت: قد كان في الرواة على هذا الوضع قوم واحتج برواياتهم في الصحاح ولا يجوز تخطئتهم وتخطئة من أخذ عنهم، فلانَ بعد ذلك حتى قرأتُ عليه ما قرأت على منع شديد كما ذكرت فيما تقدم، والله ينفع به فقد كان من الصالحين.

توفي أبو حفص هذا في المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة وصلي عليه بمقبرة وعلة عند الباب الأخضر، ودفن بقرب قبر أبي بكر الحنيفي وأبي العباس بن الخطاب الشافعي وأبي علي الحضرمي المالكي ولم يقرأ عليه أحد قط شيئاً من الحديث غيري عن أبي بكر السمنطاري، وكان قد سمع ابن المعلوف والخرقي وغيرهما من شيوخ القيروان، وكان فقيهاً صالحاً ورعاً.

* * *

108 ـ الفقيه أبو موسى عيسى بن عبد المنعم الصقلي[1]

ذكر أنه كان كبير الشأن، ذا الحجة والبرهان، فقيه الأمة له المعاني والأفكار البعيدة مرامي مرامها، والألفاظ التي هي كالرياض جادها هامي رهامها. وقد أورد من كلامه ما يأسو سماعه الكلوم، [و] يجلو سنا إحسانه الملوم، ويحكي درر الأصداف ودراري النجوم.

فمن بديع قوله في الغزل، وهو أحيلى من نجح الأمل:

يا بني الأصفرِ أنتمْ بدمي ... منكم القاتلُ لي والمستبيحْ
أمليحٌ هجرُ من يهواكمُ ... وحلالٌ ذاك في دينِ المسيح
يا عليلَ الطرف من غيرِ ضنىً ... وإذا لاحظ قلباً فصحيح
كلّ شيءٍ بعدما أبصرتكم ... من صُنوفِ الحسن في عيني قبيح

ولـه:

سلب الفؤادَ من الجوانحِ غادةٌ ... أدْلَتْ إليه بدلِّها المستحكمِ
عذراءُ يُنْسَبُ دِرْعُهَا من خدها ... وخمارها من ذي ذوائبَ أسحمِ
وعقودها من نهدها في شكلها ... وملاءُهَا من لونيَ المتسهم
فكأنها ووشاحَها وخمارَهَا ... وحليّها للناظرِ المتوسم
شمسٌ توشحتِ السنا وتتوجت ... جُنْحَ الدّجى وتقلدْت بالأنجم

وقال:

يا أملحَ الناسِ وجهاً ... جاوزتَ في الحسن حَدَّكْ
للغصنِ منكَ انعطافٌ ... يكادُ يشبه قدك
قد كان قلبيَ عندي ... والآن أصبحَ عندك
وكنتُ من قبلُ حراً ... فها أنا صرتُ عبدك

---

(1) من الخريدة.

وقال في جارية مصفرة اللون بديعة الحسن:

فضح الهوى دمعي وعيلَ تصبُّري ... بخريدةٍ ترنو بعينيْ جُؤْذَرِ
صفراءُ تُولَعُ بالبياض لباسَهَا ... وخمارَها بمعصفراتِ الأحمر
فكأنها في درعها وخمارها الـ ... ـمبيض والمحمَّر عند المنظر
ياقوتةٌ كُسِيَتْ صفيحةَ فضة ... وتتوَّجَتْ صَفْحَ العقيقِ الأحمر

ولـه من قصيدة طويلة في الرثاء أولها:

جلَّ المصاب وحلَّ الخطبُ أوله ... فالحزن آخرُ ما يأتي وأولُهُ

ومنها:

وكلّ وجدٍ وإن جَلَّتْ مواقِفُهُ ... فَقْدُ الأخلاء إن فكرتَ أثكله
أبا علي بن عبد الله إن بنا ... عليكَ وجداً غدا أدناه أقتله
هل في السرورِ وقد أوديت من طمعٍ ... لصاحبٍ أو عديمٍ كنتَ تكفُلُهُ
كم صاحبٍ نال ما يبغي بجاهكمُ ... عفواً وكم من سرورٍ كنت تشمله
قد كان سعيك في محياك أحمدَهُ ... وذكرُكَ اليومَ بعد الموتِ أجمله

ولـه من قصيدة في المجون يصف قول معشوقته وقد أرسلت إليه:

أشتهي أن أرى لـه وتدَ الأر ... ض لنا في بيتِ الرجا والسعادهْ

ولـه:

قفْ باللوى المنعرجِ ... ونادِ بالركب عُجِ
وسلْ سُلَيْمَى أينَ با ... نَ ركبها بالدَّلَجِ
كأنها شمسُ الضحى ... مكنونةٌ في الهودج
غراءُ يهدى ركبها ... في غَسَقِ المدَّلج
فلا يكادُ دائباً ... يُخْطِي سَوَاءَ المنهج

كـأنـهـا فـي درعـهـا كـافـورةٌ لـمـدرج
لاعـبـتـهـا فـتـيَّـةً بـمـثـلـهـا في مَـنْـعِـج
وأسـمـحَ الـدهـرُ لـنـا أعـطافَ غـيـر مُـحْـرَج
يَـنْـعَـمُ كـلُّ بـالـذي يـهـواهُ غـيـرَ مـزعـج
من لـثـم خـدٍّ أصـبـحٍ ورشـفِ ثـغـرٍ أفـلـج
وعضّ نـهـدٍ مُـعْـصِـرٍ وَعَـضُـدٍ مُـدَمْـلَج
مـن عُـكَـنٍ كـأنـهـا طـيُّ ربـاطِ الـمـدرج
وفـوقـهـا وتـحـتـهـا مـن مَـرْكَـب وَمَـوْلَـج
كـلٌّ عـلى كـلٍّ كـمـا ركّـب زوجـاً سَـمْـحَـج
فـي راحـتـي ريـحٌ بـلـيـلٌ وظـلالٌ سـجـسـج
كـأسُ الـسـرورِ بـيـنـنـا صـافـيـةً لـم تـمـزج
حـتـى أتـت من دونـهـا زعـازعٌ فـي رهـج
هـل راجـعٌ عهـدي بهـا بـالـكَـرْخ أو بـالـكَـرَج
هـيـهـات مـا فـي أوبـةٍ مـن طـمـعٍ لـمـرتـج
فـدع ـ هُـدِيتَ ـ مـا مضى وخـذْ ـ فُـديتَ ـ مـا يجي
واسـمـعْ حـديثـاً حسنـاً تـقصُـرُ عنـه حـجـجي
أبـصـرتُ بـدراً سـاعـيـاً بـالأرضِ غـيـرَ مُنْتَـجِ
وحـولـه كـواكـبٌ تـضـيءُ مـثـلَ الـسُّـرُج
بـيـضـاء كـالـثلج تُـرِي وجـهـاً كـصـبـحٍ أبـلـج
مـنـعّـمـاً مـكـلَّلاً بـغـيـهـبٍ مـن سـبـج
وحـولـهـا لـداتـهـا عـوابـثٌ بـالـمـهـج
يـفتـكنَ بـالألـحـاظِ فَتْـكَ الـبـطلِ الـمـدجـج
تجـذبُ خصـراً مُخْـطَفـاً بـكَـفَـلٍ مـرجـرج
كـمـثـلِ زقٍّ نـاقـصٍ عـلى حـمـارٍ أعـرج

يـشـفـعُـهُ صدرٌ لـهـا كـأنـه فـي نـهـج
مـواخـرُ الـفُـلْكِ غَـدَتْ زخَّـارةً فـي لـجـج
تـبـسـمُ إذ تـبـسـمُ عـن ذي أُشُـرٍ مُـفَـلَّج
يـا لـيتـنـي قَـبَّـلْتُـهُ فـفـي لـمـاه فـرجـي
تـصبي الحـليمَ ذا الـنهى بـذي احـورارٍ أدعـج
وبـقـذالٍ فـاحـمٍ مُـعَـقْـرَبٍ مُـصَـوْلَـج

ومن رسالته في وصف الخط:

ورد عليَّ كتابُ فلان أطال الله بقاء فلان لفلك السيادة والكرم، عماداً تعلو به الهمم، ليشيد من عَرَصاتِ الفضلِ دارسَها، ويبين من أعلام المجدِ طامسها، وينير من آفاق المعالي حنادسها، ويبسط من أوجه الليالي عوابسها، فنظرتُ منه إلى خطّ موصوف، معتدل الحروف، أملس المتون، مفتح العيون، لطيف الإشارات، دقيق الحركات، لين المعاطف والأرداف، متناسب الأوائل والأطراف، يروق العيونَ حسنه وشكله، ويعجز بيد التناول صنعه وفعله، متضمناً معاني كأنها رقية الزمان وحمية الأمان، لو كانت مشاربَ كانت الحياة، أو مسارب قادت النجاة، فأوجب تأملي لها تألبي، واستثار تفكري فيها تعجبي، قلت سبحان ربي القيوم ﴿أفسحرٌ هذا أم أنتم لا تبصرون﴾، أكل هذا الإحسان في طاقة الإنسان، ما أرى ذلك في الممكن والإمكان، ولئن كان ذلك فنحن الأنعام يشملنا اسم الحيوان. ثم رجعت إلى نفسي، وثاب إليَّ حسي فقلت عند سكون جأشي، وثبوت طيشي، وإفراخ روعي وذهاب دهشي، أن من دبَّ في الفصاحة ودرج في وكرها، ورضع بلبانها وجرع من درها، وصاحب السادات مقتبلاً، والأمجاد مكتهلاً، لخليقٌ أن يحل من الفضل وسائطه ويجمع قطريه، بل يستولي على غواربه ويملكَ شَطْرَيه.

وله من رسالة أسقط فيها حرف الألف واللام:

رقعتي بحول سيدي وسندي، وذخري وعضدي، ومن بذ وبزّ، جَمْعَ من

سبق وعز، فذّ دهره، ووحيد عصره، وغريب زمنه، ونسيج وحده، مدَّ ربى مدتك في مربوب نعمته، ومدَدِ نصرته، وكبتَ من نكب عن ودك بعظم زجره، وصيره موطىء قدميك، وصريع نكبته بين يديك، وسوغك من ضروب نعمه بهنيه ومريه، ومتعك من موفور قسمه بحميده ومزيده.

كتبت وكبدي تسعر بجحيم ودك، ومهجتي تصهر بسموم توقك، ونفسي بحر من فظيع بعدك، ونَفَسي بخطر لوجيع فقدك:

وكنت من بعد غير مين ... قريرَ عيشٍ قريرَ عينِ
حتى رمتني صروفُ دهري ... من قوسِ غدر بسهم بين
فشتتت زُمْرَتِي وهدَّتْ ... ركني ومرَّتْ تجري بعيني
عجبتُ من عيشتي وعمري ... وكيف بي عشتُ بين ذين

فصل له من رقعة:

لولا أن ذنوبَ الحبيب، تصغر عن التأنيب، وقدر الرئيس يكبرُ عن اللوم والتعنيف، لكان لنا وللرئيس مجال واسع ومتسع بالغ فيما أتاه، إن لم نقل جناه، وفيما وعد فأخلف، إن لم نقل الذنبَ اقترف، ومهما أجللنا قدره عن أن ينسب إليه خُلْفُ الوعد وإن كان جليلاً، ما عذره إن لم يكتب بوجه العذر أنه ما وجد سبيلاً. وقد كنا نتوقع العناق، فصرنا نقنع بأماني التلاق.

فجميلُ الصبر والصفـ ... ـحِ بهذا الشأن أوْلَى
قُلْ ومن شاء المصافا ... ةَ على ذا الشرط أدلى

وذكر المهم آثرُ وأهمّ، فشوق البعيد شديد، وسؤال القاصي أكيد، وكلاهما على الأيام يزيد، فكلهما إلى يوم جديد.

* * *

109 ـ أبو محمد قاسم بن عبد الله التميمي[1]

أنشد له صاحب «الدرة»:

يـا معتبـاً لـو شـاء مـا أعتبـا ... يعـذبُ عنـدي كـلَّمـا عـذبـا
لا تنكـرنَّ الـموتَ من لـحـظه ... مـا بين أجفـانِ الـظبـاءِ الـظُّبَـا
كـأنـه مـن طِيـبِ أنـفـاسِـهِ ... نشـرُ الصَّبا يُهْـدي إليَّ الصَّبـا

وله من قصيدة يذكر فيها فتنة أهل صقلية وشدة حربهم ودخول الفرنج إليهم[2]:

أبيتُ وجفني من جفـائـك نـائمُ ... وقلتُ بمـا قـالتْـهُ فيـك اللوائم
[. . .] إلا لـهـا مـنـك نـظرة ... كـأن لهـا حسنـاً من اللحظ قـادم
وعهـدي بـذاك الـدرّ غير مُثَقَّبٍ ... فكيف أجـادتـه بفيـكَ النـواظم
وعنـدي حـديثٌ لـو أمنت أذعتـه ... ألا حبـذا غيبٌ تعيـه المبـاسم
وإن كـان لا يـرويـك إلا مـدامعي ... فـلا قرَّ لي نهـرٌ من الدمـع سـاجم
رعى اللّهُ أيـامـاً لـنـا وليـاليـاً ... بخيفِ مِنىً والنـائبـاتُ نـوائم
زمـانَ تصيـدُ اللهـوَ أشـراكُ لمتي ... وتـرقبني منهـا الـظبـاءُ النـواعم
أيـا ظبيـةً هـذي محلُّكِ مهجتي ... ومرعاكِ في قلبي الـذي بك هـائم
لو أنك في حالِ الشباب حَللتِ لي ... ولـكنَّ أيـام الـمشيـب محـارم
بمكـةَ إلفي والخصيبُ بـه أخـي ... وفي مصـرَ لي نجلٌ سَقَتْـهُ الغمائم
ومـاذا عسى قلبي وعنـدك قـدره ... فتـأخـذني للبينِ هـذي المقـاسم
سقى الله هيمَ الغرب لا بعضَ هامِهِ ... كما يُمْنَعُ الغمضَ السليمُ المنـادم
وماكنتُ أسقي الغرب لوكان لم تكن ... صـقـليـةٌ مـنـه وإن لام لائـم

---

(1) من المختصر والمغرب وابن الصيرفي.
(2) هذه القصيدة من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1: 135 ـ 137).

وإنّيَ منهم واحدٌ غير أنه ... وشى بيننا واش من البين غاشم
رُزِينا بذاتِ البينِ حتى كأننا ... نرى أن من يبغي سوى البغي آثم
يغير الفتى منا على مالِ نفسه ... ويقتله عدواً أخوه الملائم
يجوزُ دليلُ القومِ عن غير رشدةٍ ... ويمضي على المكروه من هو نادم
كما أنت مسرور بما هو جازع ... كما يبسمُ المحزونُ والقلب واجم
نجرُّ فضولَ السابغاتِ كأننا ... أراقمُ باضتْ فوقهنَّ نعائم
كأنّا فويقَ البرِّ أهوالُ لُجّةٍ ... وكالريح فيهنَّ العتاق الصلادم
معارفُ إلا أن تكون حواسراً ... إذا روحت يوماً ظباها الملاحم
نروح ونغدو في أمورٍ لو آنه ... رأى بعضها ما عاود النومَ حالم
كأنا بحارٌ بالوغى وكأنما ... معاركنا حولَ الزمان مواسم
وطوراً نذودُ الموتَ عنّا وتارةً ... نموتُ كما مات الحماة الأكارم
فلو كان سلماً ذلك الحرب بيننا ... ثلاثين عاماً ضامناً منه ضائم
ونقصرُ طوعَ المجدِ كلَّ مدجج ... يراوغه بالطعنِ كعبٌ وحاتم
وكانت بلادُ الروم طوعَ سيوفنا ... إذا رامها منّا على البعد رائم
فإن نال منا الناسُ أو فلَّ كُثْرُنَا ... فقد تقتلُ الحسنى وَتُردي السمائم
سليني عن الإفرنج إن شيتِ واسمعي ... حديثاً كنشر الروض والروض ناعم
أتونا ولكنْ في الدروع أساوداً ... ولكن أتتنا والسيوف عزائم
على كلِّ مشكولِ الطريد كأنما ... قوائمه عند الطرادِ قوادم
إذا ما علا منّا على الظهرِ فارسٌ ... فليس بعيداً أن تطير القوائم
سماءٌ وأرضٌ من جناح وحافر ... وليل وصبح جحفلٌ وصوارم
فلا دَجْنَ إلا أن تثورَ عجاجةٌ ... ولا مُزْنَ إلا أن تخر جماجم
كأنهمُ قد أحجموا حين أقدموا ... وغير عجيب غابةٌ وضراغم
كأنّ من الآبار كانت رجومهم ... فعادت عليهم والأنوفُ رواغم
كأن من الأفعال كانت جيوشهم ... ولكن عوالينا الحروفُ الجوازم

هـو النصرُ حتى كـلَّ أعـزلَ رامـحٌ وحتى قــرونُ الغـانيــات عمـائم
وقـد تُسْعِدُ الأقـوامَ شقـوة غيـرهم ألا ربَّ أعــراس دَعَـتْهَــا مــآتـم
إذا كـان لا ينجيـك أنــك هــاربٌ فلم يبق حــزمٌ غيـر أنــك هـاجم
فقـد يَقْتُـلُ المـرءُ ابتغـاءَ حيـاتـه وأكثــرُ من يبغي المنيــةَ ســالـم
وطيبُ حيـاةِ المـرءِ في عـزٍّ مـوتـه ومـا الموتُ إلا أن تهـونَ الكـرائم
وقد يجهلُ الإنسانُ في بعضِ حلمِهِ ويحمـلُ عنك الـظلم أنَّـكَ ظـالم
ومـــا السيف إلا مـا غـــرارةُ حَلْيِهِ وإن رثَّ منــه غمـدُهُ المتـقــادم
كـأنك في دنيـاك ما زلتَ جـاهـلاً إذا كنتَ لم ينفعـكَ أنــك عــالم
فـــلا تتـزود غيــر مـا أنت واجــد إذا رُحْتَ يقــظانـاً كـأنـك نــائم

وقوله من أخرى يرثي فيها أخاه أولها[1]:

الشمسُ لا تـخفـى على الـنـظّار فَحَــذَارِ من دارِ الـغــرورِ حَــذَارِ
قــد شَفَّتِ الـدنيــا ولكنْ شـرُّهــا لـذوي البصـائرِ لا ذوي الأبصـار
إن الشبــابَ عليــكَ ظــلّ زائــلٌ عـمــا قــريـب أنـت منــه عــار
يـا مَنْ يـريـد بـأن تـطولَ حيـاتــه تـلك الإطــالــة آفـةُ الإقـصــار
لا تبــغِ من دنيــاك أن تبقَى بهــا كـيف الـقــرارُ بـغيــرِ دار قــرار
في كــل يــومٍ أنتِ تقـطعُ رحلةً كم ذا تــراه يكـونُ بُـعْـدُ الــدار
فـإذا طلبتَ البـرء من دار الضنى أعـطتك خَطَّ الـوعـد في الأعشـار
الـمـوتُ لا يــأتيـك إلا بـغـتــةً فــاحـذر فهــذا غــايــة الإنــذار
واصبـر لضرك في مصــالـح نفعـه فـلربَّ نـفـعٍ جــاء مـن إضــرار
بـأبي غـريبٌ بـالخصيب تـركتُـهُ رَهْنَ البـلى وغـوائـلِ الأسفــار
يـا واحـداً قــد كنتُ أحـذَرُ فقــده لــو كـان ينفعني عليــه حــذاري

---

(1) من مختارات ابن الصيرفي.

منهـا :

لم يكفهم أن غيَّبُـوهُ في الـثـرى　　حتى بَنَـوا بـالشيـدِ والأحجـار
يـا غـافـلاً نـزل المشيبُ إلى متى　　مـا بعـد نعي الشيبِ من اعـذار
إن لم يكن لـك في مشيبـك واعظٌ　　فـلربَّ أبـيضَ فـي ســواد الـقـار
كم قد صحبتُ فما فررتُ بمهجتي　　مـن غـادرٍ إلا إلـى غـدار
مـا قلتُ أين النـاس إلا قيـل لي　　تحت الثرى وصفائحِ الأحجار
وَغِنَى النفوسِ هو الغنى لا مالها　　يـا رُبَّ مـالٍ جالـبٍ لـلعـار
وإذا أردت الـفـقـرَ أيـن مـحـلّه　　فـاطلبـه عنـد البـاخـل المكثار
شيئـان لا يَشْغَلْكَ شيءٌ عنهمـا　　تقـوى الإلّـه وصحبـةُ الأخيـار

وقوله من أخرى يرثي فيها ولده أولها :

دعِ الأيـامَ تُـخْـطي أو تـصيـبُ　　فمـا من بعـد فقـدكَ ما يَـريبُ
نعـافُ المـوتَ أن يـأتي قـريبـاً　　وفـي تـأخيـره ذاك الـقـريب
وتـعجـبنـا مـسـالمـةُ الـليـالي　　وفي تلك المسـالمـةِ الحـروب
وكـيـف يَـلَذُّ بـالـدنيـا لـبيبٌ　　تخـاطبـه بفـرقتهـا الخـطوب
قضى مني الشبـابُ اليوم نحبـاً　　وأخـشى أنـه يـقضـي المشيب
وهـل يـرجـو العليلُ شفـاءَ داءٍ　　إذا كـان الـذي يُضْني الـطبيب
كـأن الـدهـر مـطبـوعٌ بجهـل　　فـأعـدى مَنْ يكـونُ لـه أديب
رمـاني الـدهـرُ لم يخطىء فؤادي　　وكـال بـه فمـا ربـح الحبيب
وقـد يُنْبي عن الأمـلِ الـتـداني　　وقـد يُـدْني من الأجـل الهـروب
أحـيـن تـراءت الآمـالُ فـيـه　　كمثـل الأَثْـرِ يسـديـه القضيب
وأعـطتـني بـه الـسلمَ الأعـادي　　وأضحكني بـه الـدهـر القـطوب
وجـاء بـه على بُخْـلٍ زمـانـي　　وقـد ينـدى لـك الصخـر الصليب
فـأيّ ذخـيـرةٍ أعـددتُ فـيـه　　عـلى عـلم بـحـادثـة تـنـوب

وسماه العلاء أبا علي		وقد يقضي بلائحها الغيوب
طواني البينُ فيه على إياسٍ		وفجعني به الأملُ الكذوب
قضيتُ وما قضيتُ حقوق بذلٍ		يصان بها الغريب أو القريب
ولم ترقبْ لأعشارِ المعالي		فيألفك المعلّى والرقيب
ولم تصبحْ عداتك في مساءٍ		كأن الشمسَ طالعة تغيب
فلو غيرُ الحِمامِ دهاك يوماً		رماه عنه شبانٌ وشيب
إذا شرعوا العوالي في غوارٍ		فأحداثٌ تصول بها خطوب

منهـا:

كأنهمُ الشموسُ إذا أضاءت		ولكنَّ الشموسَ لها غروب
فإن أجزعْ فلي قلبٌ جليدٌ		وإن أصبر فلي قلبٌ كئيب
وإن شُقَّتْ على وَلَدٍ جيوبٌ		فقد شُقَّتْ عليك أسىً قلوب
يحنّ لخندقِ الصحراءِ قلبي		كما حَنَّتْ إلى الأوطانِ نيب

***

110 ـ فتوح بن الغزال الباغاني[1]

من أهلها، وكان فاضلاً فقيهاً موسراً خيراً، حسن الطريقة، منظوراً إليه ببلده، رأس على من فيها من العلماء بعلمه وبخيره ومكانته من السلطان؛ وكان صاحب القيروان يخاطبه في أمر بلده، وكذلك كل من كانت له بها رئاسة، من عربها وعجمها. فاتفقت كلمتهم على إغراء العامل به، والسلطانُ مشغولٌ بفتنة القيروان ـ إذ ذاك ـ المذهلة، فأجابهم ووجه فيه، فأمر بقتله بالرماح بحضرتهم، فقتل وبقي مطروحاً يومين، وكان له ابن على صغر سنه ذا علم بالفقه. وانتهبت

(1) من ترتيب المدارك 8/75 ـ 76.

أمواله، وكشف عياله؛ وكان فيما انتهب له كتب بنحو ألفي مثقال؛ وكان ذلك كله منتصف شعبان من سنة ست وأربعين؛ وعجل الله بالانتقام من المغرين به، فخرج جماعة منهم بصحبة الفقيه المعروف بابن عفيف ـ من فقهاء باغانة أيضاً ـ للقاء العرب من أهل الشحناء التي وقعت بين العرب والعجم ـ [فوثب] العرب عليهم فقتلوهم لآخرهم، إلا ابن عفيف ستره النساء بعد أن أصابه مكروه، ثم سلط الله العجم عليهم، فقتلوا العرب، وانتقم الله للفقيه من الجميع.

* * *

111 ـ الأمير أبو محمد القاسم بن سوار الكلبي[1]

ذكر أنه كان مقيماً بمصر وتولى شرطتها؛ وله:

عضَّ تفاحةً وناولنيها ... آهِ منها وآه من مهديها
فإن اشتقتُ منه طيبَ ثنايا ... ه أقبلْ مواضعَ العضِّ فيها

وله:

إني متى يجفو الحبيـ ... ـبُ وصلتُ جفوتَهُ ببينِ
ومنعتُ عيني أن ترا ... هُ ولو رأته قلعتُ عيني
وجعلتُهُ بفعاله ... في العينِ مثلَ قذاةِ عين
ووضعتُهُ دون الحضيـ ... ـضِ لو آنه في الفرقدين
وقطعته لو كان يشـ ... ـبه أحمدَ بنَ أبي الحسين

* * *

(1) أمير صقلية حكم من 343 ـ 359.

112 ـ مجبر بن محمد بن عبد العزيز الصقلي[1]

أخبرنا أبو القاسم مجبر بن محمد بن عبد العزيز الصقلي المديني بمصر أنا أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسين الخلعي أنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج الإشبيلي أنا أبو عمرو عثمان بن أحمد السمرقندي قراءة عليه وأنا أسمع عن محمد بن حماد الطهراني أنا عبد الرزاق أنا معمر عن بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ في قوله عز وجل: ﴿أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ ثم قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: عبدي عند ظنه بي وأنا معه إذا دعاني».

مجبر هذا من أهل الأدب البارع والشعر الرائع، سمع على القاضي أبي الحسن الخلعي بقراءة أبي بكر بن العربي الأندلسي؛ وهو مجبر بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن مجبر بن أبي الحباب الأموي، سألته عن مولده فقال: سنة أربع وستين وأربعمائة في ذي القعدة بمدينة صقلية وانتقلت إلى مصر سنة إحدى وثمانين. وكان يحضر عندي كثيراً واستأنسُ به لأدب نفسه وأدب درسه، وعلَّقت عنه من شعره وشعر غيره من الصقليين جملة صالحة سنة خمس عشرة وخمسمائة وبعدها، ثم شهد بمصر وتقدم رحمه الله. ومن شعره ما أنشدني بمصر:

كم باتَ للّهِ عندي ... من نعمةٍ ليس تُحْصَى
ولستُ دونَ البرايا ... بفضلِهِ مستخَصَّا
لكن شكرتُ نصيبي ... أرجو الزيادةَ حِرْصَا
فليشكروهُ يزدهُمْ ... فقد أتى ذاك نصَّا

---

(1) هذه الترجمة من معجم السفر 366 ـ 368؛ ترجم له العماد في الخريدة (قسم مصر) 2: 82 ـ 89 اعتماداً على قول ابن الزبير في جنان الحنان أنه ينقل إلى المصريين بحكم أن نشوءه واشتهاره بمصر، وتوفي قبل 540؛ وسأورد ما اختاره له العماد من شعر ملحقاً بما ذكره السلفي.

وأنشدني لنفسه:

يـا مَنْ عَصَى اللَّهَ مغروراً بـرحمته ... اعملْ لربك ما يـرضى بإخـلاصِ
إن الـذي جعـل الفـردوسَ منـزلـةً ... لمن أطـاع أعـدَّ النـارَ للعـاصي

أنشدني أبو القـاسم مجبر بن محمـد بن عبد العـزيز بن أبي الحبـاب الصقلي لنفسه بمصر:

لا تـجلسـنَّ ببـابِ مـن ... يـأبَى عليـكَ دخـولَ دارِهْ
وتـقـولُ: حـاجـاتي اليـ ... ـه يعـوقـهـا إن لـم أداره
واتـركـه واقـصـدْ ربَّـهـا ... يـقـضـي وربُّ الـدارِ كـاره

مجبر هذا من فحول الشعراء وقد علقت عنه شعراً كثيراً، وكثيراً ما كان يحضر عندي بمصر، وقرأت عليه شيئاً من الحديث سمعه على أبي الحسن الخلعي، ولد بصقلية وأقام بمصرَ وشهد بها، وكان صائناً لنفسه غيـر متبذل رحمه الله(1).

ومن شعر مجبر(2):

غـاروا فغـار لَحِيْني فيهمُ قـمـرٌ ... هَـوِيتُـهُ أفـلا أبكي وقـد أفَـلا

ومن شعر مجبر في ملك غانة لما وصل مصر يريد الحج(3):

كـذا يجيب دعـاءَ اللَّهِ من عَـرَفَـهْ ... من غـانةٍ غـايةِ الـدنيـا إلى عَـرَفَـهْ

ومـن شعـره:

أتـرى يُفيقُ من الصبابـةِ عـاشقٌ ... قـذفتْ بـه الأهـواءُ في الأهـوالِ

---

(1) هنا ينتهي ما أورده السلفي.
(2) الأفضليات: 210.
(3) الأفضليات: 259 ـ 260.

مُغْرىً بحبِّ الغانيات هَفَتْ به ... هِيفُ الخصورِ وَرُجَّحُ الأكفال
غُرِسَ القضيبُ على الكثيبِ بقدِّها ... فأتت بمياد على منهال
تتردد الأبصارُ فيها حيرةً ... في الحسن بين الخال والخلخال
غراءُ غَرَّتْهَا الشبيبةُ فاكتستْ ... تيهَ الدلالِ وغرةَ الإدلال
ممكورةٌ مكرت بقلبي والهوى ... يستضعفُ المحتالَ للمختال
حلَّتْ مواثيقَ الوفاءِ وحلَّلَتْ ... في الحب قتلي وهو غيرُ حلال
قالوا تسلَّ وبئس ما أمروا به ... بؤسُ المحبِّ ولا نعيمُ السالي
قلبي من الأجوادِ إلا أنه ... في الحبِّ معدودٌ من البخال
سقيت ليالينا برامةَ، والهوى ... حلو، وأيامُ الشباب حوالي
ولجدةِ العشرين عندي ثروةٌ ... تُغْني هنيدةَ عن هُنَيْدةِ مال

ومنها:

غيثٌ من الإحسان ما ينفكُّ من ... معروفِهِ في وابلٍ هطَّال
وسحابُ جودٍ كلما ضنَّ الحيا ... بالماء جادت كفُّهُ بالمال
نادى بحيَّ على الندى فأجابه ... بالحمدِ كلُّ مخالفٍ وموال
وأقرَّ معترفاً بثابتِ فضله ... من لا يقرُّ بمبدعِ الأشكال

وله في أبي عبد الله ابن مسلم الكاتب، وكان يُجْرَى له خمسةُ دنانير في كل شهر على نظم السيرة المصرية فسأل أن يُجْرَى له شيء على الشعر، فزيد نصف دينار:

جرى الحديثُ فقالوا: كلُّ ذي أدبٍ ... أضحتْ له خمسةٌ تجري بمقدار
بأيِّ فضلٍ حواه ابن المسلَّم من ... دون الجماعةِ حتى زيد في الجاري
أجروا له خمسةً عن حقِّ سيرته ... فقال لا تنقصوني حقَّ أشعاري
نادوا عليه، وسعرُ الشعر نافقةٌ ... فلم يَزِدْ قدرها عن نصفِ دينار

ولـه من قصيدة أولها :

بـأيٍّ لسـانٍ عن معـاليـكَ أُعْــرِبُ — وفي كـلّ إحسانٍ معـانيـكَ تُغْـرِبُ

ومنهـــا :

هَصُـورٌ له السـردُ المضاعف لبـدةً — لدى الحربِ ، والعضبُ اليمانيُّ مخلب

ومنهـا يصف خيمة الفرج :

وبيضٍ خيامٍ يهتدي الرُّكبُ في الدجى — بها حين تَخْفَى النيراتُ وَتُحْجَبُ
تبـوأتْ منهـا خيمــةَ الفَـرَجِ التي — بـراجيك فـألٌ في اسمها لا يُكَـذَّب
فتـاهَ على إيـوانِ كسـرى وتـاجِـهِ — رواقٌ لهـا في ظـلِّ ملكـك يُضْـرَبُ
عـلا وَعَلَتْ فاستوفتِ الجـوَّ هـالـةً — بهـا منـكَ بـدرٌ بـالبهـاءِ محجب
يكـاد من الإحكـام صـافنُ خيلهـا — يجـولُ وسـاجِي وحشِهَـا يتـوثب
ويـوم ٍ كيـوم ِ الجسْـرِ هـولاً وشـدةً — يُـرَى الطفـلُ فيه خيفـةً وهـو أشيب
سفرتَ به عن وَجْهٍ جذلانَ ضـاحكٍ — وللشمس وجـهٌ بـالعجـاج منقب
وأسمرَ عسـالِ الأنـابيبِ قـد سـطا — على الأُسْـدِ منـه في يمينـكَ ثعلب
أخو الصلِّ شِبهاً ما له الدهرَ مذ نـأى — عن التـرب إلا في التـرائبِ مَشْـرَب

ولـــه :

املأ كؤوسـك بـالمـدام وهـاتِهَـا — إن الهــوى للنفسِ من لــذاتـهــا
اصرفْ عن المشتاق صِرْفَ مُدامـةٍ — رَشْفُ الـرضابِ ألـذّ من رشفاتهـا
وأحــلُّ أشـربتي وأحــلاهـــا التي — أمستْ ثغـورُ البيض من كاسـاتهـا
ومريضةِ الأجفانِ سامَتْ في الهوى — قتلي ، فهـانَ عليَّ في مـرضـــاتهـا
ما زلتُ أصفحُ في القِلَى عن جُرْمها — وأغضّ في الإعراضِ عن هفواتها
حتى تـوهمتُ الـصــدودَ زيـــادة — في حُسْنِهـا عندي وفي حَسَنـاتهـا

ومنهـا:

مـا خِلْتُ أن النفسَ ينكـدُ عيشهــا حتى يكـونَ المـوتُ من شهـواتهـا
أستــودعُ الله القبــابَ وأوجهــاً فيهنَّ كــالأقمـار فـي هــالاتهــا
والـوردُ يحسـدُ نـرجسـاً وبنفجسـاً في شُهْـلِ أعينهـا وَلُعْسِ لثـاتهـا
تلك الرياضُ اللاءِ ما بَرِحَتْ يدي تجني ثمـارَ الوصـلِ من وجنـاتهـا
ولــربَّ قــافيــة شــرودٍ شَــرَّدَتْ نــومي فبتُّ أجـول في أبيـاتهـا
حتى وردتُ من التأسّفِ بعـدهــا نـاراً دموعي الحمـرُ من جمـراتهـا
مـا زلتُ أنـظم طيبَ ذكـركَ عنبـراً أرجـاً خـلال الـدرِّ من كلمـاتهـا
حـتى إذا نـشــر الـصبــاحُ رداءه عن مِثْلِ نَفْحِ المسك من نفحاتها
وتمثلتْ عقـداً تـودُّ كـواكبُ الجـو زاء عـقــدتَــهُ عـلى لــبــاتـهــا
أعـددتهـا للقـاءِ مجـدِكَ سُبْحَـةً أدعــو بهـا لأنــالَ من بـركـاتهـا
ومــدائـحُ الكــرمـاءِ خيــرُ وسيلةٍ شُفِعَتْ بهـا الآمالُ في حـاجـاتهـا
وأحقّهـا بـالنجـح مـدحُـكَ إنـه للنفس عنـد اللّهِ من قُـرُبـاتهـا
فـاليـومَ أنثرهـا جـواهـرَ حكمـةٍ عقمتْ بحـارُ الشعرِ عن أخـواتهـا
فــالبسْ بهـا حُلَلَ الثنـاءِ فـإنهـا حُلَلٌ تـروقُ عُـلاَكَ في بـدنـاتهـا
وافسحْ لنا في لثمِ بُسْطِكَ إن أبَتْ يُمْنَـاكَ إلا شُـغْلَهـا بـهبـاتـهـا
قسماً بمن قَسَمَ الحظوظَ فنلتَ أفضلهـ ـا ونـال النـاسُ من فَضَـلاتهـا
وبنى العــلا رتبــاً فكنتَ بفضلِهِ أوْلَى من استـولى على غـايـاتهـا
لـولا وجودُكَ في الـزمـان وجـودكَ المحيـي المكارمَ بعدَ بُعْـدِ وفاتهـا
لم يُعْرَفِ المعروفُ في الدنيا ولـو طُفْنَـا عليـه في جميعِ جهـاتهـا

ولـه أول قصيـدة:

أترى السحابَ الجونَ بات مَشُوقا يبكي النــوى ويعـاتبُ التفـريقـا
فـالبـرقُ يلمـعُ في حشـاهُ كـأنـه قلبُ المحبِّ تـلهبــاً وخـفــوقــا

ولــه:

أرأيت بــرقــاً بــالأبــارقِ قــد بــدا ... فـي أُفْقِــهِ متبسمــاً متــوقــدا
كيف اكتسى ثوبَ السّحابِ ممسَّكاً ... وأحــالــه شَـفَفُ الــرداءِ مُــوَرَّدا
وكــأنمــا في الجـــوِّ كـأسٌ كلمــا ... فـاتت نميرَ البـرقِ صـاحَ وعـربـدا
أو مرهفٌ كشفتْ مَدَاوِسُ صَيْقَـلٍ ... عن مَتْنه صدءاً لكيْ يروي الصدى
كــالحبّ أو دِقّ اللجين يسيـلُ من ... أفقٍ أحــالتـه البـــوارق عسجــدا
وكلؤلؤٍ لــلغيـث يــأخـــذُهُ الثــرى ... فيعيــده نبتــاً يُخَــالُ زبــرجــدا

وله من قصيدة في مدح الأفضل[1]:

لـولا الهـوى مــا عَبَّـرَتْ عَبَــراتُـهُ ... عن وجـده وتصـاعــدتْ زفـراتُــهُ
فَــرَقُ الفـراقِ أطــار حَبَّــةَ قلبــه ... فتقـطعت بِمُـدَى النـوى عَـزَمـاتـه
من كـان وحيُ الحبِّ بين ضلوعـه ... نــزلتْ بفيض دمـــوعِـــهِ آيــاتـــه

ومنهــا:

فَسَقى محلَّ الجزعِ من مَحْـلٍ به ... غيثُ تـدورُ على الـربى كـاسـاتُـهُ
سَفْحٌ سفحت عليه دمعي في ثـرىً ... كـالمسكِ ضـاعَ من الفتـاةِ فتـاتـه

ومنهــا:

شعـــر أرقّ من النسيم حـــواشيـــاً ... لم تــروِ حـوشيَّ الكــلامِ رواتُـهُ
نُـظِمَتْ لشـاهنشـاهَ منـه قصــائـدٌ ... قُصِـدَتْ مـدائحُـهُ بهـا وصفــاتُـهُ
فـأتى بـديعـاً في بـديـعٍ أطمعت ... ألفــاظُــهُ وتمـنعـتْ طـرقــاتـــه
كــالـروح يُــدْرَكُ بـالحقيقــةِ فعله ... وتغيبُ عن أهــلِ البصــائــر ذاتـه
لا تنكـروا حُمْـرَ الـدمـوعِ فــإنـه ... جَمْــرُ الأسى وتنفّسي نـفحــاتـــه

(1) القصيدة من الخريدة والأفضليات: 113 ، 180 .

وله من أخرى:

ذو صَلاةٍ موصولةٍ بصِلاتٍ ... ليلُهُ عامرٌ بها ونهارُهْ
سابقٌ في السماحِ كلَّ جوادٍ ... للعلا لا بِحَلْبَةٍ مضماره

ولـه:

طرقتنا غيرَ مختفيَهْ ... غادةٌ بالحُسْنِ مُرْتَدِيَهْ
ووشى طيبُ النسيم بها ... قبل أن تبدو فقلتُ هيه
ثم لما أقبلتْ طلعتْ ... مثل قرنِ الشمسِ معتليه
يا لقومي من لواحظها ... إنها بُرْئِي وعلتيه
واصلتْ ليلَى ونفَّرها ... أن رأتْ صبحاً بوفرتيه
إن صبحَ الشيبِ أيقظني ... من كَرَى عيني وغفلتيه
وحكى عنّي دُجَى سَفَهٍ ... زُرْتُ فيه طَوْفَ حَوْبَتيه
ونهتني نهيةٌ شغلت ... بالعلا همِّي وهمتيه

ولـه:

وأهيفٍ للغصنِ أعطافُهُ ... وللظباءِ العِينِ عيناهُ
شمسُ الضحى غُرَّتُهُ والدجى ... طُرَّتُهُ والمسكُ رياه
قد مزج الخمرةَ من ريقه ... ببردِ كافورٍ ثناياه
ورقَّ ماءُ الحسنِ في خدِّه ... ففتَّحَ الوردَ ونداه

ولـه:

رعى الله ريعانَ الصِّبا ولياليا ... مضين بعهدٍ للشبابِ حميدِ
لياليَ أغشى في ليالي ذوائبٍ ... بدورَ وجوهٍ في غصونِ قدود
وأشربُ خمراً من كؤوس مراشفٍ ... وأقطفُ ورداً من رياض خدود
ولولا هوى غزلانِ رامةَ لم يكنْ ... يُرَى غزلي ذا رقةٍ ونشيدي

ولكن صحبتُ الجهلَ كهلاً ويافعاً   وطفلاً إلى أن رثَّ فيه جديدي
فعلمني حُلْوَ العتابِ الذي به   أذبتُ دموعَ الخودِ بعدَ جمود

ولـه يمدح القائد أبا عبد الله الملقب بالمأمون(1):

ليس الفراقُ بمستطاع   فدعيه من ذِكْرِ الوداعِ
وعديه ما يَحْيَا به   من طيبِ وصلٍ واجتماع
يا وجهَ مكتمِل البدو   رِ وقدُّ معتدِل اليراع
بجمال ما تحتَ الردا   ءِ وحسنِ ما تحتَ القناع
يا أختَ يوسف إن قلبي في هواكِ أخو الصُّوَاع
فلئن ظفرتُ به لديكِ وكنتِ سارقةَ المتاع
فلآخذنك من قبيلك أخْذَ مُلْكٍ واقتطاع
يا نفسُ حَسْبُكِ لاتُهَا   لي بالخطوبِ ولا تُرَاعي
يكفيك أنك في حِمَى   من ليس يَرْضَى أن تضاعي

ولـه يصف فوارة(1):

وفوارةٍ يستمد السحا   بُ من فضل أخلافها المحتلبْ
رأت حمرةَ القيظِ محمرَّةً   لها شررٌ كرجومِ الشهب
فظلَّتْ بها الأرضُ تسقي السما   ء خوفاً على الجو أن يلتهب

أحسنُ ما قيل في الفوارة قول البحتري:

وفوارة ماؤها في السماءِ   فليستْ تُقَصِّرُ عن ثارها
تردُّ على المزنِ ما أسبلت   على الأرضِ من فَيْضِ مدرارها

***

(1) وردت هذه الأبيات في الخريدة والأفضليات: 117.

113 ــ محمد بن أبي الفرج الكناني المالكي الصقلي(1)
أبو عبد الله المعروف بالزكي المغربي

من أهل صقلية. كان فاضلاً عارفاً باللغة والأدب، وكان آية في النحو وعلومه، ورد العراق ثم خرج منها إلى خراسان، وجال في أقطارها، وأقام بها مدة، وخرج إلى غزنة وبلاد الهند، وانصرف عنها. وخرج إلى أصبهان ومات بها. وجرى بينه وبين جماعة من علماء خراسان محاورات ومناظرات. وكان يذكر الغزالي بشر. وقرىء عليه كتاب «الشهاب» للقضاعي. وسئل عن النردشير الوارد في الخبر فقال: هو النرد وأول من لعب به أردشير، فنسب إليه، وفي هذا القول نظر؛ فإن النرد أقدم من أردشير المشهور.

وكان ينفرد بأشياء من تفسير الأخبار وغيرها، لا يتابعه أحد فيها. وسببه إعجابه بنفسه. توفي بأصبهان في حدود سنة عشر وخمسمائة.

* * *

114 ــ أبو عبد الله محمد بن الفرج المازري(2)

المعروف بالذكي، صقلي الأصل، سكن قلعة بني حماد ثم خرج إلى المشرق، فدخل العراق، وسكن أصبهان ـ إلى أن مات بها؛ وكان فقيهاً حافظاً، مدركاً نبيلاً، فهما متقدما في علم المذهب واللسان ومتفنناً في علوم القرآن وسائر المعارف؛ أخذ عن شيوخ بلده، وأخذ بالقيروان عن السيوري، والخرقي، وغيرهما؛ وحكي أن السيوري كان يقول: ابن الفرج أحفظ من رأيت، فقيل له: تقول هذا وقد رأيت أبا بكر ابن عبد الرحمن، وأبا عمران الفاسي؟ فقال: هو أحفظ من رأيت.

---

(1) ترجمته في إنباه الرواة 3: 73 (رقم: 604) ولعل لفظة المغربي أن يكون صوابها «المقرىء»، وله ترجمة أخرى في ترتيب المدارك، ستأتي بعد هذه الترجمة.

(2) من ترتيب المدارك؛ وربما كانت هذه الترجمة هي الترجمة السابقة نفسها.

وكان القاضي أبو عبد الله بن داود يقول: شيخنا الذكي أفقه من أبي عمران، ومن كل مالكي، وحتى فَضَّله على إسماعيل بن إسحاق القاضي! تفقه به في المغرب أبو الفضل بن النحوي، والقاضي أبو عبد الله بن داود؛ وحمل عنه أدب كثير وعلم جم؛ وألف في علوم القرآن كتاباً كبيراً سماه «الاستيلاء»، وله تعليق كبير في المذهب مستحسن، وخرج على أنه ألف سؤال.

ولما صعد إلى المشرق، ودخل بغداد، وجد مذهب مالك بها قد درس وقلَّ طالبه، فلم يحصل له بالفقه رئاسة هناك، ولتقدم أهل المشرق في جماعة النظر وحذق الجدل الذي به تقدم أئمتهم؛ رأس بالنحو، وعلم اللسان، واستصحبه القيم بالخلافة بها إذ ذاك الملك العادل أبو الفتح، وأشخصه إلى أصبهان لتدريس بنيه الأدب؛ فذهب علمه بالسنة هناك ضياعاً، ولم يبلغني أن أحداً أخذ هناك عنه؛ ويقال: إن سبب هذا دعاء الشيخ أبي القاسم السيوري عليه، فإنه يحكي أنه [كان] كثيراً ما يسيء الأدب معه، ويتتبع سقطاته، حتى جمع من فتاويه نحو ثلاثين مسألة ادعى عليه الخطأ فيها، فأنكرها الشيخ، وكتب إلى أصحابه: لا تسمعوا منه، فإنه كذاب، فأسقطه بهذا.

وتوفي بأصبهان بعد الخمسمائة بعد أن جرت له بها حروب في مطالبة الغزالي، وكان أحد القائمين عليه هناك، لكنه حُمي عنهم، فلم يصلوا إليه؛ والله العالم بالسرائر، لا إلّه غيره.

* * *

115 ـ أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل التغلبي[1]

صاحب ديوانِ الخُمْسِ المعروف بابن الرقباني. ينبوعُ الكرم والإحسان، ومعدنُ الفضل والامتنان، وكان ملجأ للقصاد، وعَصَراً للوراد، وله مع ذلك

(1) من المختصر.

ترسيل جامع، ونظم بارع، فمنه قوله:

موقفُ البينِ آيةُ العاشقينا ... ما ترى العينُ فيه إلا حزينا
ليَ في البين فرحتان فأما ... فرحتي في الفراق بالراحلينا
فاعتناقٌ لمن أحبّ وتقبيـ ... ـلُ حبيبٍ بحضرةِ الكاشحينا
ثم لي فرحةٌ إذا قدم النا ... سُ وتسليمُهُمْ على القادمينا

***

116 ـ محمد بن أحمد أبو عبد الله الصقلي (1)

صاحب ديوان الإنشاء بجزيرة صقلية، له نظم ونثر، فمن شعره يرثي الأمير ثقة الدولة يوسف من قصيدة أولها:

حنانيك ما حيٌّ على الدهرِ يسلمُ

يقول فيها:

تأملْ بعينِ الفكرِ تدركْ حقائقاً ... من العلم ليست عن ظنونٍ تُرَجَّمُ
إذا حان منك الحَيْنُ لم تُغْنِ رُقْيَةٌ ... ولم يدفعِ المحتومَ عنك منجم
فخذ حذراً من فجأةِ الموت إنما ... تسيرُ على إثْرِ الذين تقدموا
فلو كان مخلوقٌ من الموت ناجياً ... نجا في رؤوس الشّمخِ الصُّمِّ أعصم
يعزُّ علينا أن تُؤَبَّن هالكاً ... وعادتنا فيكَ المديح المتمم
سقى الله أرضاً حلها قبرُ يوسفٍ ... من المزن وكافٌ يجودُ ويسجم
وصلّى عليه الله من متوسِّدٍ ... يميناً لها في كلِّ فضلٍ تقدم

***

(1) له ترجمة في المحمدون: 69.

117 ـ محمد بن الفقيه أحمد الكلاعي
ابن عبد الرحمن الصقلي (1)

له ترسل ونظم فمن شعره من قصيدة يمدحُ بها الأمير عبد الله بن المعز بن باديس بن عيذون:

الله أكبــر أودى الجــودُ وانقشعت ... سُحْبُ النفاقِ وزال الحادثُ النُّكُـرُ
بـالأريحيِّ الـذي جـادَتْ أنـاملُهُ ... فقصَّرتْ عن مداهـا البُجْسُ الغدر
جدوى السحابِ إذا جادت هواملها ... مــاءٌ وجــدواهُ فيمــا بيننــا بِــدَرُ
لم يلقَ جيشاً ولم ينهضْ لمعضلةٍ ... إلا وآزره الــتــوفـيــقُ والــظفــر
يـا أيهـا الملك الميمـونُ طـائِـرُهُ ... وكاشفَ الضرِّ عن قومٍ به انتصروا
غـادرتَ كـلَّ عـزيـز كـان ممتنعـاً ... ووجهـه بين أيـدي الخيـل منعفـر
والبيضُ تَضْحَكُ والأعناقُ قد سَفَحَتْ ... دمعـاً من الدم في الأجسـاد ينحدر
رميتهم بخميسٍ لــو رميتَ بــه ... دعـائمَ الـدهـرِ كـادتْ منـه تنفـطر
مـا طـال بَغْيُ أُنـاسٍ قطُّ من بَـطَرٍ ... إلا وأصبــح في أعمـارهم قِصَــرُ
إن غرَّهُمْ منكَ حلمٌ قـد عُرِفْتَ بـه ... فـالمرخُ يُضْـرِمُ نـاراً عـودُهُ النضـر
كـأنهم حين مـالـوا عن سـروجهمُ ... بالطعن شَرْبٌ من الصهباءِ قد سكروا

***

118 ـ محمد بن أحمد بن عبد الله الهاشمي الصقلي
المعروف بابن الخالة الفرضي (2)

كان عالماً بالفرائض وعلم الوثائق وكان يصنع الشعر رياضةً لطبعه للتأدب

(1) له ترجمة في المحمدون: 70.
(2) ترجمته في المحمدون: 77.

لا للتسبب، فمن شعره قوله:

صددتُ بوجهي عن حبيبي تستراً ... وأبديتُ نكراً في الهوى وتغيرا
وصرتُ كمن عن حبه بعد حبه ... تجافاه من فرطِ الجفاءِ وأقصرا
وفي كبدي من لاعجِ الشوق جَمْرَةٌ ... غدا لفحها بين الجوانح مضمرا
ثوتْ بين أضلاعي فخامرتِ الحشا ... وأذكى جواها حَرُّهَا فتسعرا
أحبك حبَّ الماء في أرضِ قفرةٍ ... بهاجرةٍ ظمآنُ ظلَّ مهجرا
وإن كنتُ قد أقصرتُ عنه لعلَّةٍ ... فما زلتَ في عينِ الضميرِ مُصَوَّرا
وإني كم قد غالب الشوقَ صبرُهُ ... وأورثَهُ الأشجانَ أن يتصبرا
وكم عذلَ العذّالُ فيه ولو رأوا ... محياه كانوا لا محالةَ أعذرا
وكم من صحيح أسقمتْ لحظاتُهُ ... وعينِ امرئٍ نوامة العينِ أسهرا
كأن عليه من صفاءِ أديمه ... إذا اللحظُ أدماه عقيقاً وجوهرا

***

119 ــ محمد بن أحمد بن عبد الله الصباغ الصقلي التميمي(1)

ذكره ابن القطاع في «الدرة الخطيرة في شعر أهل الجزيرة» فقال: واسع الكلام كثير النظام فمن شعره يمدح علي بن إسماعيل الخزاعي:

حَنَّتْ إلى الصدِّ تبغي طاعةَ المللِ ... لما دَرَتْ أن قلبَ الصبِّ في شُغُلِ
إذا بدتْ قلتُ غصنٌ فوقه قمر ... من تحت ليلٍ على أعلاه منسدلِ
لما رأته أسيرَ الحبِّ ذا كَلَفٍ ... سَقَتْهُ من لحظها كأساً من الخبل
ترحَّلَتْ بفؤادي يومَ رحلتها ... وخلفتني أسيراً في يَدَيْ أجلي

(1) له ترجمة في المحمدون: 68.

ويقول في مدحه:

واقصد فتى الشعرِ إسماعيلَ ممتدحاً ... بخير شعر لنظم الدرِّ منتحلِ
تنلْ فلاحاً وتظفرْ عند رؤيته ... بكلِّ ما تبتغي من صالحِ الأملِ
أغرّ أبلجُ إن حال الجوادُ على ... ضَنْكِ الزمانِ عن المعروفِ لم يَحُلِ
حاز التكرمَ قدماً والسماحَ معاً ... والمجدَ والفخرَ عن آبائه الأول

***

120 ــ محمد بن أحمد بن يحيى الكاتب الصقلي (1)

له شعر وكتابة فمن شعره:

إن يفضْ دمعي ففي القلبِ كلومٌ ... وإذا حلَّ الأَسى ليس يَريمُ
أيها المغترّ بالدهر اتئِدْ ... هل نعيمٌ فيه أو بؤسٌ يدومُ

***

121 ــ الأمير أبو عبد الله محمد ابن الأمير جعفر بن محمد بن الحسن الكلبي (2)

أحد الأجواد الموصوفين بالكرم والسخاء والصدق والوفاء، وله شعر جيد يدل على علم وفضل، فمن قوله:

أما واللّه والبيتِ الحرامِ ... وتربةِ جعفرِ القَرْمِ الهمامِ
لقد أورثتني داءً دخيلاً ... أشدَّ عليَّ من وقع الحسامِ

***

(1) له ترجمة في المحمدون: 69.
(2) من المختصر والمحمدون: 177.

122 ـ محمد بن الحسن، أبو عبد الله[1]

الكاتب الصقلي المعروف بالرجيني، فاضل مفيد في العلوم الرياضية، بارع في الأسرار الروحانية، وله نثر وشعر منه:

يـا لـيلةَ البـسـتـانِ والـزَّهْـرِ ... مـا كـنـتِ إلا بـيـضـةَ الـعُـقْـرِ
أدركـتُ مـا قـد كـنـتُ آمـله ... في سـاعـةٍ تغـني عـن الـدهـر
نفسي الفـداءُ لـظبـيـةٍ قـذفتْ ... في القلب نـارَ الشـوقِ والفكـر
لا صـبـرَ لي عـنهـا وإن ظـلمت ... في حكمهـا والمـوتُ في الصبـر

وأنفذ إليه أمير من أمراء صقلية ثلجاً في يوم شديد الحر فكتب إليه:

أتـاني أطـال الله عُمْـرَكَ لـلعلى ... فأنت لها لا زلتَ كالسمعِ والبَصَـرْ
من الثلجِ مـا داويتَ حَـرَّ بـلابلي ... به، وشفيتَ النفس من وَحَرِ الفكر
مزجتُ به راحي العتيقـةَ فاغتـدت ... لمبصرها كالشمسِ مازجتِ القمر
وزعتُ بـه قيـظاً وحقـك ضـائـراً ... فـلاقاه منـه الـزمهـريـر فمـا صبـر
فـلا زلتَ يـا بـدرَ الملوك وعـزَّهـا ... غيـاثاً لمـا يَحْيَا بـه البدوُ والحضـر

***

123 ـ محمد بن الحسن الطوبي أبو عبد الله الصقلي[2]

مقيم بصقلية، يتولى الإنشاء، نحوي أربى في النحو على نفطويه، وفي الطب على ابن ماسويه؛ جامع للفضائل، عالم بالرسائل، وكلامه في نهاية الفصاحة، وشعره في غاية الملاحة. وله «مقامات» [كمقامات] البديع وإخوانيات كأنها زهر الربيع؛ مع خط كالطرز المعلمة، والبرود المشمنة. وكان

---

(1) ترجمته في المحمدون: 256.

(2) ترجم له في الخريدة ومختارات ابن الصيرفي والمنتخل والمحمدون: 256 ـ 257، ومعجم السفر وإنباه الرواة 3/107 (رقم: 623).

الشعر طوع عنانه، وخديم جنانه.

وكان هذا الفاضل موجوداً في سنة خمسين وأربعمائة بصقلية، وأظنه عاش بعد ذلك مدة.

ومدحه ابن القطاع الصقلي بقوله:

أيها الأستاذ في الطبِّ وإعرابِ الكلامِ
لك في النحو قياسٌ لا يساميه مسام
ثم في الطبِّ علاجٌ دافعُ الداءِ العقام
أنت في النثرِ البديهيّ وفي العظم السلامي
فاضلُ الآباء والنفـ ـسِ عظاميّ عصامي

ومن شعر محمد بن الحسن قوله:

أخشى عليك الحسنَ يا من به أصبح كلُّ الناسِ في كَرْبِ
ألا ترى يوسفَ لما انتهى في حسنه أُلْقِيَ في الجب

وقال في صبي نصراني من نصارى الفرنج واسمه نسطاس:

أقولُ وقد مرَّ نسطاسُ بي وقلبي به في عذاب أليمْ
وقد ماس كالبانِ فوق الكثيبِ وأقبل يرنو بالحاظِ ريم
لئن كان في النارِ هذا غداً فإني أحبُّ دخول الجحيم

وقوله:

انظر إلى حَسَنٍ وَحُسْنِ عذاره لترى محاسنَ تسحر الأبصارا
فإذا رأيتَ عِذارَهُ في خدِّه أبصرتَ ذا ليلاً وذاكَ نهارا

وله:

يا قاسيَ القلبِ ألا رَحْمَةٌ تنالني من قلبكَ القاسي

جسمُكَ من ماءٍ فما لي أرى ... قلبك جلموداً على الناس
أخافُ من لينٍ ومن نعمةٍ ... عليكَ من ترديد أنفاسي
سبحانَ من صاغك دونَ الورى ... بدراً على غُصْنٍ من الآس

وقولـه:

أيَّ وردٍ يلوحُ من وجنتيه ... طار منّي الفؤادُ شوقاً إليه
فإذا رمتُ وجنتيه ثناني ... عنه وَقْعُ السيوفِ من مقلتيه

وقوله في العذار:

قام عذري بعذاريـ ... ـه فما أَعْظَمَ كربي
قلتُ لما أن تبدّى ... نبتُهُ سبحانَ ربي
أحرقتْ فضةُ خدَّيْـ ... ـكَ لكي يُحْرَقَ قلبي

وقوله في غلام عرضت بفيه حرارة:

قالوا بفيكَ حرارةٌ ... فعجبتُ كيف يكونُ ذاكا
ورضابُ ريقِكَ مطفئٌ ... نيرانَ أقوامٍ سواكا

يقع لي أن المعنى حسن ولكن اللفظ مضطرب.

وقوله في المعنى وهو أجود سبكاً:

شكا لحرارةٍ في فيه أَعْيَتْ ... معالجةً فبات لها كئيبا
وكيف يصحّ ذا تفديه نفسي ... وبردُ رضابه يُطْفِي اللهيبا

وقولـه:

ما لامني قطُّ فيه ... إلا الذي لا يراه
حتى يراه فيضحي ... مشارِكي في هواه

وقولـه:

بخدِّكَ آسٌ وتفاحة وعينك نرجسةٌ ذابله
وريقُكَ من طيبه قهوة فوجْهُكَ لي دعوة كامله

وقولـه:

ومسقمي من طرفه بما بهِ من سَقَمِ
أوْمَى لتقبيلِ يدي فقلتُ ما ذنبُ فمي

وقولـه في غلام ناوله حصرماً:

أتعبتَ قلبي بالصدو دِ ولستُ أيأسُ من وصالِكْ
فخذِ الدليل فقد زجر تُ لما أؤمل من نوالك
ناولتني من حِصْرِمٍ فرجوتُ نَقْلَكَ عن فعالك
إذ كان يحمضُ أولاً وتراه يحلو بعد ذلك

وقولـه:

يا سَمِيِّي وحبيبي نحنُ في أمرٍ عجيبِ
اتفاقٌ في الأسامي واختلافٌ في القلوب

وقولـه:

فمه فيه لؤلؤٌ في شقيقٍ فوقه خاتمٌ له من عقيقِ
وله في جفونهِ حدُّ سيفٍ مُرْهَفِ الشفرتين عضبٍ رقيقِ
فإذا رمتُ أن أقبل فاه صدَّ عما أريد خوفُ الطريق

وقولـه في النحول:

يا من لجسمٍ تقضى حراكُهُ والسكونُ

فعاد شكلاً بسيطاً تزلُّ عنه العيون
يخفى على الموت لفظاً فما يكادُ يُبين
فلو تجسَّم يوماً تناولته المنون

وقوله في المعنى :

دقَّ حتى لا تراهُ فهو كالمعنى الخفيِّ
أو كما يهجِسُ في الخا طِرِ منّي غيرُ شي

وقوله في المعنى :

سهامُ اللحظِ ترشقُهُ فتدميه وتؤلمُهُ
ودقَّ فما تكاد ترى له شخصاً تكلمه
كمثلِ الروحِ ينبي عن حقيقته توهمه

وقوله في غلام قبله فقيل له سرقت الورد من خده والقطع لازم في حده :

قالوا سرقتَ الوردَ في قبلةٍ من خدِّ يحيى بن أبي العزِّ
فقلتُ لا قَطْعَ على سارقٍ إلا إذا استخلصَ من حرز

وقوله :

لي سيدٌ جارَ على عَبْدِهِ وعبده باقٍ على وُدِّهِ
يمنعني من خدِّه قبلةً حذارَ أن تَرْقَى إلى خده

وقوله في سوداء :

تحبك يا سوداءُ نفسي بجهدها فما لك لا تجزينَها بودادها
وأنتِ سوادُ العينِ منّي أرى به وليس بياضُ العينِ مثلَ سوادها

وقوله في وصف مغن :

إذا غنّى يزيلُ الهمَّ عنّا ويأتينا بما نهواهُ مِنْهُ

لــه وَتَــرُ يــطالــبُ كــلَّ هــمٍّ   بِــوِتْــرٍ فــالـهمــومُ تـفــرُّ عنــه

وقولـه مما يكتبه الشيعة على فص أسود غروي :

أنــا غــرويٌّ شــديــدُ الـســوادِ   وقــد كنتُ أبيضَ مثـلَ الـلجيـنِ
ومــا كــنــتُ أســودَ لــكــنــنــي   صُبِغْتُ ســواداً لقتــلِ الحـسيـن

وقولـه في فص أحمر :

حــمــرتــي مــن دمِ قــلبــي   أيــنَ مــن يــنــدبُ أيــنــا
أنــا مــن أحــجــارِ أرضٍ   قــتــلوا فــيـهــا الــحــســيــنــا

هو من قول الشاعر في فص أخضر :

لا تـعجـبـوا من خُـضْـرَتي   فــإنــهــا   مَــرَارتــي
تَــفَــطَّرَتْ   لــمــا   رأتْ   مــا صَــنَــعُــوا بــســادتــي

وقولـه في وصف اللوز الأخضر :

فــرائــكُ الــلوز لــه لــذة   تــجــلُّ عــن وصــفٍ ومـقــدار
انــظر إلــيــهِ فــلـه خــلقــةٌ   قــد أحكمتهــا صَنْعَــةُ البــاري
لـؤلـؤةٌ فـي صُــرَّةٍ ضمــنــت   حُـقّــاً وقــد قُـيِّــرَ بــالــقــار

وقوله في وصف لحية كبيرة :

مــا إن رأيتُ ولا سمعتُ بلحيــةٍ   عَـرُضَتْ كلحيةِ جعفـر بن محمـد
سَــدَّتْ علينــا وَجْهَــهُ فكــأنمــا   عينــاهُ فـي ثَقْبَيْ كســاءٍ أســود

وقولـه في اعتزاله عن الناس :

يــا لائـمي فـي انتــزاعـي   عــن الــورى وانقــطاعــي
لا أســتــطيــعُ عــلى أن   أكــونَ بــيــن الأفــاعــي

وقوله في الخضاب:

يا خاضبَ الشيبِ دَعْهُ   فليس يخفَى المشيبُ
حصلتَ منه على أن   يقالَ شيخٌ خضيب

وقوله في عذر الخضاب:

ما خضبتُ الشيبَ للغانيات   لا ولكنْ سترتُهُ عن عداتي
حذراً أن يروا مشيبي فيبدو   ليّ منهم سرورُهُمْ بوفاتي

وقوله في ذاك الخضاب:

رضيتَ يا خاضبَ الشيـ   ـب خُطَّةَ ليس تُرْضَى
سوَّدتَ منكَ ثلاثاً   وجهاً وعقلاً وعرضا

وفي مدح الشيب:

يا باكياً للشباب إذ ذهبا   بكيتَ في إثْرِ غادرٍ هربا
الشيبُ أوفى منه بذمته   هل فارق الشيبُ قطُّ من صحبا

وقوله في المعنى:

بكى الشبابَ رجالٌ بئس ما صنعوا   والشيبُ أفضلُ في التحصيل والنظر
إن الشبابَ كليلٍ ضلَّ مَسْلَكُهُ   والشيبُ كالصبح يَهْدِي العينَ للأثر

وقوله في صفة الخشخاش:

حقّ من العاج وفي وسطه   دِقٌّ من اللؤلؤ منثورُ

وقوله في لبس بني العباس السواد:

بنو العباس قد فطنوا لسرٍّ   بنزعهمُ لمبيضّ الثياب
لئن لبسوا السوادَ لقد أصابوا   لأنهمُ حَكَوْا لونَ الشباب

وقوله في استدعاء صديق له إلى مجلس أنس :

قد شربنا المدامَ من كفِّ خُودٍ أقبلتْ كالهلال والليلُ داجِ
ونعمنا لولا مغيبُك عنا بسماعِ الأرمالَ والأهزاج
وعجبنا للماءِ يحملُ ناراً في قنانٍ كأنها خرط عاج
وفتاة تكشَّفَتْ للندامى وعجوزٍ تستَّرتْ بالزجاج
فاغتنمْ لذةَ الزمانِ وبادرْ كلُّ ضيقٍ تخافُهُ لانفراج

وقوله في كبير اللحية :

لحيةُ حمدونَ دثارٌ له تُكِنُّهُ من شدةِ البرد
كأنها إذ غاب في وسطها قطيفةٌ لُفَّتْ على قرد

وقوله في العناق :

لم أنسَ إذ عانقتُ بدرَ التمام في غَسَقِ الليل وَجُنْحِ الظلامْ
كأننا لامانِ قد قوربا فألصِقَ الخطُّ فصارا كلام

وقوله في الخضاب :

خضبتَ شعرَكَ زوراً والشيبُ قد فاضَ فيضا
كذبتَ في كلِّ شيءٍ حتى على الشَّعرِ أيضا

وقوله في المعنى :

صيغ المشيب بليَّهْ على الفتى ورزيَّهْ
حصلتُ منه على أنْ أضحكتُ مني البريه

وقوله في مدح البخل :

يا لائمي لاشتغالي بحفظِ مالٍ قليلِ
البخلُ أجملُ بالحرِّ من سؤالِ البخيل

وقوله في نار الفحم:

ونارِ فحمٍ ذي منظرٍ عَجَبِ ... يطردُ عنه الشرارَ باللهبِ
كأنما النارُ مِبْرَدٌ جعلت ... تبردُ منه بُرادَةَ الذهب

وقوله في فتى بارد:

أتيتُ إليه في قيظٍ شديد ... فحيَّاني محيَّاهُ بثلج
فقلتُ عدمت عندي باذهنجاً ... ولكن وَجْهُ هذا باذهنجي

وقوله في بخيل:

أتيتُهُ زائراً أحدثه ... ولستُ في ماله بذي طمع
فظنَّ أني أتيتُ أسأله ... فكاد يَقْضِي من شدة الجزع

وقوله في النرجس وقد أتى فيه بأربع تشبيهات:

أريد لأشفي سُقْمَ قلبي بنرجسٍ ... فيذبل إن صافحتُهُ بتنفسي
له مقلةٌ كالتبرِ والجفنُ فضّةٌ ... وقدٌّ كغصنِ البانِ في ثوبِ سندس

وقوله في ذم مغن:

غنّي وإن كان مقيتاً فلا ... ينسبه الله إلى المقتِ
من حُمَّ فلينظرْ إلى وجهه ... فإنه يبرد في الوقتِ

وقوله:

لا تصلْ من صَدَّ تيهاً ... أبداً واستغن عنه
كُنْ كمثلِ الكرم يَعْلَق ... بالذي يقربُ منه

وقوله:

يحب بنو آدم ربَّهُمْ ... ولكنهم بعد يَعْصُونَهُ

وإبليسُ قــد أُشربــوا بُغْضَــهُ　　وهـم بعــد ذاكَ يــطيعــونــه
فهــذا التنــافي فمــا بــالهـم　　يــرون الضــلالَ ويــأتــونــه

وقولـه في المشيب:

تــرى عيني إذا مَقَلَتْ مشيبــاً　　يكـونُ لها انقبـاضٌ وانخفاض
كــأن الـعينَ تشـفق أن تــراه　　مخـافـةَ أن يحـل بهـا البيـاض

وقولــه:

سَـلَوْنَـا حُبَّـه لـمــا جفسانـا　　وكـان بمـوضـعٍ منـا شــريفِ
كمثـل الـزهـرِ تكـرمُـهُ طـربـاً　　ويُــطْرَحُ إن تغيــر في الكنيف

وقولــه:

إن أنتَ لم يحتج إليكَ الـورى　　كـنتَ بـهم فـي تَعَـبٍ متـعـبِ
ألا تــرى الـمــاءَ إذا لم يـكن　　شـاربُـهُ عـطشـانَ لم يشــرب

وقولــه:

احــذرْ صــديــقَـكَ إنــه　　يـخفَـى عليــك ولا يـبيـن
إن الــعــدوَّ مــبــارِزٌ　　لـكَ والصـديق هـو الكمين

وقولـه في راقصة:

راقصــةٌ كـالغصن من فــوقــه　　بــدرٌ منيـر تـحـتَ ظـلـمـاءِ
تلهبُ مثــل النـار في رقصهــا　　وهـي من الـنـعـمــةِ كــالـمـاء
كــأنمـا في رجلهــا عــودهــا　　وزامــرٌ يــتــبــع بــالــنــاء
ســاحـرةُ الــرقصِ غـلاميّــةٌ　　مـنـهــا دوائـي وبـهــا دائــي
إذا بــدتْ تــرقُصُ مــا بيننــا　　يــرقُصُ قلبي بـين أحـشــائي

وقوله في العذار:

عذاره في خده آيةٌ ... سبحان ربي الخالقِ الباري
معجزةٌ يا قومُ ما مثلها ... هل ينبتُ الآسُ على النار

وقوله فيه:

قلت لما كثَّر الشَّعـ ... ـرُ عليه عاشقِيهِ
أحرقتْ فضةُ خدَّيْـ ... ـهِ فغالَى الناسُ فيه

وقوله في المعنى:

كأنما عذارُهُ ... والخدُّ منه الأحمرُ
غلالةٌ درية ... فيها طرازٌ أخضر

وقوله في مجدور:

جدِّرَ فازدادتْ مداجاته ... ونحن في الحبِّ له زدنا
وكان كالفضةِ ما نُقِّشَتْ ... فزادها أن نُقِّشَتْ حسنا

وقوله في العذار أيضاً:

يقول لي الآسُ قلْ لي ... علامَ تُكْثِرُ لثمي
فقلت أشبهتَ عندي ... عذارَ من لا اسمي

وقوله:

يخصُّ البعيدَ بإحسانِهِ ... وذو القرب من سَيْبِهِ مُخْفِقُ
كمثلِ العيون ترى ما نأى ... وليستْ ترى ما بها يلصق

وقوله:

لا تنكري أخلاقيَ الخارجَةْ ... واختبري أخلاقيَ الوالجه

فالمسكُ ما في الطيب شِبْهٌ له ... وإنما كُسْوَتُهُ نافجه

وقوله في ذم مغن:

ومغنٍّ لو تَغَنَّى ... لكَ صوتين لمتّا
سمجُ الخلقةِ غثٌّ ... ينحتُ الآذان نحتا
ويغنّي ما اشتهاه ... لا يغنّي ما أردنا
كلما قال اقترحْ قلـ ... ـتُ اقتراحي لو سكتا

وقوله في مثله:

غنَّى كمن قد صاح في خابِيَهْ ... لا وهب اللّهُ له العافِيَهْ
ما أحدٌ يسمعه مرةً ... فيشتهي يسمعُهُ ثانيه

وقوله في مثله:

ومغنٍّ نحن منه ... بين أسقامٍ وكُرْبَهْ
يضربُ العودَ ولكن ... ضربه يوجِبُ ضَرْبَهْ

وقوله في مثله:

ومغنٍّ قد لقينا ... منه كرباً وبلاءً
هو من بردِ غناهُ ... يجعلُ الصيفَ شتاءً

وقوله في مثله:

يغنّي فنهوي استدادَ الصماخ ... ونبصره فنحبُّ العمى
دعاه رجالٌ إلى عرسهم ... فصيَّرَ عرسَهُمُ مأتما

وقوله في مثله:

لنا مغنّ غناهُ ... يعودُ شراً عليه

لسم يـأتِ مـنـزلَ قـومٍ فـعـادَ قطُّ إلـيـه

وقوله في العذار:

لـمـا رأيـتُ عـذاراً لـه خـلعـتُ عـذاري
وبـان لـلنـاس عـذري فـمـا أخـافُ اشتـهـاري
كـأنـه لامُ مـسـك خُـطَّتْ عـلى جُـلّنـار
أو البـنـفـسـجُ في الـور دِ خـضـرةٌ في احـمـرار

وقوله فيه:

وعـذارٍ كـأنـه لامُ مـسـكٍ خـطَّهُ كـاتـبٌ عـلى جلنـار
عجبَ العـاذلـون منـه وقـالـوا طاب في ذا العذار خَلْعُ العذار
مـا رأينـا بنفسجـاً قبـل هـذا نـابتـاً في صحيفـة من نضـار

وقوله في أبخر:

مـا لي أرى صـاحبنـا مَعْمَـراً قـد عَـدِمَ المنـظرَ والمخبرا
تفسـدُ ريحَ المسكِ أنفـاسـه وتبـطلُ الكـافـورَ والعنـبـرا
وكـلّ مـن حـدثـه سـاعـةً يـقيـم أيـامـاً يـشـمُّ الـخـرا

وقوله في أبخر دميم الخلقة:

وأبـخـرٍ فـي فـمـه دُبْـرُهُ تـراه أن حَـدَّثَ يفسُـو فمـه
يـخفـى عـن الأعـين لـكـنـه يـظهـره الـنتـنُ ولا يكـتمـه

وقوله في بارد:

لـو كان في النـارِ لمـا أحْـرَقَتْ وخـاف أهلوهـا من الفـالـجِ
وعُـذِّبـوا فـوق الـذي عـذبـوا إن هـو لم يُـطْرَحْ إلى خـارج

وقولـه في مثله :

قـالـوا بـه حمى لهـا صـولـةٌ فـقـلـتُ هـذا كَـذِبٌ بَـيِّـنُ
قـد أجمـعَ النـاسُ على أنـه مـا يَسْخُـنُ الثـلجُ ولا يُسْخِنُ

وقولـه في تفضيل السود على البيض :

شبيهـاتُ المشيبِ تعافُ نفسي وأشبـاهُ الشـبيبـة هنَّ حُـورُ
سـوادُ العينِ نـورُ العينِ فيـه ومـا لبيـاضهـا في العينِ نـور

وقولـه في بخيل :

تـبـرَّمَ إذ دخلتُ عـليـه لكـن فطنتُ فقلتُ في عُرْضِ المقال
عليَّ اليـومَ نـذرٌ في صيـام فـأشـرقَ لـونُـهُ مثـلَ الهـلال

وقولـه :

مـنجِّمُ بكَّـرَ في حـاجـةٍ ونـجمُـهُ فـي الفَـلَكِ العـلوي
حتى إذا حـاول تـحصينهـا فـارقَـهُ المـريخُ بـالـدلـو

وقولـه في بعض إخوانه وقد استبطأ جواب كتابه :

أمثلي يـا فَـدَتْـكَ النفسُ يُجْفَى ويُصْـرَفُ عنه وَجْـهُ الودِّ صـرفا
كتبتُ فلم تجبني عن كتـابي ولـم يُعِـدِ الرسـولُ عليَّ حـرفـا
فـآهـاً ثـم آهـاً ثـم آهـاً وأفّـاً ثـم أفّـاً ثـم أفّـا

ولـه من قطعة يستدعي بعض إخوانه :

عـنـدي الـذي تـتـمـنّـى عـنـدي الـذي تـشـتـهـيـهِ
ومـا يـتـمُّ سـرورٌ إلا إذا كـنـتَ فـيـه

وقولـــه:

تـأمَّلْ إن في اسْمِـكَ شرٌّ معنى وقـد يـدري الغـرائب مبتغيهـا
لئـن سمـــوك يَـعْلَى مــا أرادوا بفتـح اليـاءِ إلا الضمَّ فيـهـا

وقولـــه:

صبـرتُ على سـوءِ أخـلاقِـهِ زمـانـاً أقـدِّرُ أن يَـصْـلُحَـا
فـلمـا تـزوَّجَ قـاطـعـتُـهُ لأنـي تَخَـوَّفْتُ أن ينـطحـا

وقولـــه:

إذا سـبـك إنـسـانٌ فـذره يـكـفِـكَ الـربّ
ولا تـنـبـحْ عـلى كـلبٍ إذا مـا نَبَـح الـكـلب

وقولـــه:

يُقَـرِّبُ قـولُـهُ لـكَ كـلَّ شيءٍ وتـطلبُـهُ فتبـصـرُهُ بعيـدا
فما يرجـو الصديقُ الـوعدَ منه ولا يخشى العـدوُّ لـه وعيـدا

طابق ثلاثة بثلاثة في هذا البيت.

وقولـــه:

قـاطعتُ عمـرانَ ولـم أستـطعْ صبـراً على أشيـاءَ ليستْ تَلِيقْ
فــالكفّ إن حـلَّت بهـا آفـةٌ يقـطعها المرءُ فكيف الصديق

وقولـه في التصوف:

ليس التصوفُ لبسَ الصوفِ تـرقَعُهُ ولا بكـاؤُكَ إن غنَّـى المغنـونـا
ولا صـيـاحٌ ولا رقصٌ ولا طَـرَبٌ ولا تغاشٍ كأن قـد صرت مجنونا
بـل التصـوفُ أن تصفـو بـلا كَـدَرٍ وتتبـعَ الحقَّ والقـرآنَ والـدينـا

وأن تُــرَى خــائـفــاً للّه ذا نَـدَمٍ   على ذنوبك طـولَ الدهـرِ محزونـا

وقولـه في الزهد:

لــو قـلتَ لي أيَّ شـيءٍ   تهــوَى لقلتُ خـلاصي
الـنــاسُ طــرّاً أفــاعٍ   فــلاتَ حـينَ مـنــاص
نَسُــوا الشـريعــةَ حتى   تغـامَـزُوا بــالمعـاصي
فشــرُّهُـمْ فـي ازديــادٍ   وخيــرهـم في انتقــاص
حتى يُــوافُـوا المنــايـا   فَيُؤْخَــذوا بـالنــواصي
يــا ويحهم لــو أعَــدُّوا   لهـولِ يـومِ القصـاص

ولــه:

بـهــاء فـي سـنــاءٍ فـي ذكــاءٍ   جمعتَ وَعـظْمَ قـدرٍ في عَـلاَءِ
إذا قـاضٍ قضى بالجـور يومـاً   فـأنت المرء تعـدل في القضاء

وسأله الأمير ثقة الدولة وقد جلس وسط أرض ناضرة أن يصنع فيها فقال بديهاً:

روضٌ يحار الطرفُ في زَهَـراته   ويهيّـجُ المشتـاقَ من زهــراتـه
يبـدي بأصفـره بـواديَ عـاشق   وَيُـري بـأحمره لَـظَى زفـراتـه
يا أيها الملك الذي أحيا الندى   [. . . . .]
إني إذا ذقتُ المـدامـه خلتهــا   ريقَ الحبيب ومجتَنَى رشفـاتـه
وأرى العروضيَّ البديع إذا شدا   يُهْدِي إلى الإنسان روحَ حيـاته

ومـن شعره في الغزل(1):

شمسُ الضحى من فوقِ أزرارِهِ   والـغصـنُ فـي عُـقْــدَةِ زُنّــارِهِ

(1) من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1 : 137).

سراجُ أهلِ الديرِ من حسنه		يجلو دُجَى الليلِ بأنواره
كأنما هاروتُ في طَرْفِهِ		يبثّ سحراً بين أشفاره
أحرقني ظلماً بنارِ الهوى		نجّاهُ ربُّ العرش من ناره

وقال:

ألا يا لائمي مهلاً		فما لومُكَ لي عَذْلا
كما لا تقبلُ العذر		كذا لا أقبلُ العذلا

وقال:

أيها الناس لي حديثٌ عجيبٌ		وهو مستطرف لعمري غريبُ
زار في ليلة المحاق فعادت		ليلةَ النصفِ حين زار الحبيب

وقال في العذار:

كتب الحسن فوق خديك لامين		ونونين خُطَّ في الحاجبينِ
ولهذا الكتاب معنىً لطيف		فأعِرْهُ تأملَ المقلتين
إنه قال «لن» لصبٍّ عميد		ثم لن في كتابِهِ مرتين
قال ولدتَ كلُّ معنىً غريب		أنت لا شك أشعرُ الثقلين

وقال يمدح السقام:

سأشكرُ ما حييتُ سقامَ جسمي		فلولاهُ لأعوزَ ما طلبتُ
أزارنيَ الحبيبَ على بعادٍ		فأهلاً بالسقامِ ولو هلكت

وقال:

صَبرْتُ يا هندُ عنكِ		إذ خنتِ من لم يَخُنْكِ
يا هندُ إن كنت قُرْبي		فالهندُ أقربُ منك

وقـال:

يـا ذا الـذي أقـلقـه هـمـه ... ودفـعُ ذاك الـهمِّ فـي راحَتِـهْ
انـظر إلى المـرآةِ حتى تـرى ... كيف يـزولُ الهمُّ من سـاعتـه

وقـال:

وبـاردٍ زاد فـي الـبـر ... د فـهـو حُـلْوٌ ظـريـفُ
فـفـيـه سـرٌّ كـبـيـر ... وفـيـه معنىً لـطـيـف
يفيـدُ عـن بـاذهنجٍ ... إذا أتـاك الـمـصـيـف

ولـه:

إن قلتُ إنـك غصنٌ كنتُ ذا مَلَقٍ ... وقلتُ فيـك مقـالَ الـزورِ والحَنَقِ
إن كنتَ تَحْسُنُ عُـريـانـاً ومكتسيـاً ... فـالغصن يقبحُ في عيني بـلا ورق

أنشدني أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي اليابس الوراق بالإسكندرية قـال: أنشدني الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الله بن يعلى بن أبي الطيب بن عبد السلام الشيباني المعروف بـابن الرمـاح الصقلي قال: أنشدني أبو عبد الله محمد بن الحسن الطوبي الصقلي بصقلية لنفسه:

يـا ولـداً حـلَّ داخـلَ الكبـدِ ... خالفتَ أمري فزدتَ في كَمَدي
واللّهِ يـا قـومُ مـا عققتُ أبي ... فليت شعـري لِمْ عقَّني ولـدي

وقولـه:

أي ورد يـلوح فـي وجـنـتـيـه ... طـار منّي الفؤاد شـوقـاً إليـه
فـإذا رمـت أجتـنيـه ثـنـاني ... عنـه وقـع السيـوف من مقلتيـه

***

124 ـــ محمد بن الحسين الفرني
أبو عبد الله الصقلي الكاتب[1]

كاتب زمانه، وعالم عصره وأوانه، وإليه انتهت الرئاسة في علم النجوم بالجزيرة والهيئة والحساب والخراج وجميع آلات الكتابة. وله شعر جيد، فمن ذلك ما قاله يرثي به أخاه:

أبـا حفصٍ فقـدتُ الصبـرَ لمـا ... رأيتُـكَ تحت أطبـاقِ الصَّفـاحِ
وكنتَ يـدي وسيفي عنـد بـطشي ... ورمحي عنـد مُشْتَجـرِ الـرمـاح
ولستُ وإن لحـاني فـي بكـائـي ... عليـكَ بسـامعٍ مـا قـال لاحي
ولا أرجــو صــفــاءً مــن زمــان ... يُغِصُّ المـرءَ بـالمـاء القـراح
وكيف وقـد فقـدتُ لـذيـذ عيشي ... لفقـد أخي وَهِيضَ لـه جنـاحي؟!

وقولـه يصف العرق وهو من جيده:

ينضـحُ جسمي على الفراشِ لمـا ... بـالقلبِ من لـوعـةٍ ومن حُـرَقِ
بـعـارضٍ يـستـهـلُّ واكـفُـهُ ... على فراشي بـالـوابـلِ الغـدق
كـأنـنـي فـوقـه عـلى رَمَـثٍ ... أسبـحُ في لـجـةٍ مـن الـعـرق
أو كـغـريـقٍ نـجـا بـمـهـجـتـه ... يكـابـدُ المـوجَ خشيـةَ الغـرق

* * *

125 ـــ محمد بن الحسين أبو الفتح
ابن القرقودي الكاتب الصقلي[2]

شاعر صانع، وأديب بارع، من فضلاء العصر، وحسنات الدهر، وشعره

---

(1) ترجمته في المحمدون: 258 ـ 259 ونسبته قد تقرأ «العوفي».

(2) ترجمته في المحمدون: 257 ـ 258 ونسبته فيه «القرقوبي» ولكن القرقودي نسبة إلى قرقودة وهي بلد في قلة من أمنع قلل الجبال (المكتبة الصقلية: 54) وسمي المكان باسم قبيلة بربرية.

كثير غير أنه خرج عن صقلية إلى الأندلس فاستوطنها، وصحب ملوكها ووزر لهم، وسار ذكره، وعظم قدره هناك فلم يوجد له بصقلية إلا ما قاله في صباه وهو:

حَسْبُ العواذلِ ما قدَّمْنَ من عذلي ... شُغِلْنَ بي، وأنا عنهنَّ في شُغُلِ
أَهْدَيْنَ لي ضَلَّةً منهن غيرَ هُدىً ... ورمن تقويمَ معوجٍّ أخي ميل
يسمنني النسكَ لا يسأمن معتبتي ... ولا وحقِّ الصبا ما النسكُ من عملي
إن التغزُّلَ بالغزلان من نُسُكي ... والعيشُ أجمعُ كلُّ العيشِ في الغزل
هيهاتَ خامرني خَمْرُ العيونِ كما ... تخامر الخمرُ عَقْلَ الشارب الثمل
هل الظباءُ التي يُخْبَسْنَ في سَمَرٍ ... مثلُ الظباءِ التي يكنسنَ في الكلل؟
إن العيونَ نفثن السحرِ في عُقَدِي ... سحراً يُوهِّنُ كيدَ الفاتكِ البطل
في البيضِ والسودِ لي يا عاذلي شُغُلٌ ... بيضُ الوجوهِ وسودُ الأعينِ النجل
ولائمٍ لامني فيها فقلتُ له ... أقصرْ من اللوم يا هذا ولا تطل!
هبكَ الرشيدَ وهبني قد غَوَيْتُ إذاً ... فاسلك سبيلك إني سالكُ سبلي

وقوله أيضاً:

بلا مِرْيَةٍ إن العذولَ لمسرف ... غداةَ اغتدى في مَجْهَلِ اللوم يَعْسِفُ
أطال صحيحاً من ملامةِ مدنف ... وشتانَ في أمرٍ صحيحٌ ومدنف
أينكرُ كوني عاشقاً ذا صبابةٍ ... وعيشيَ فينانٌ وإلفيَ مُسْعِف؟
ولي في قلوب الغانياتِ مودة ... تحلُّ محلَّ السر أو هي ألطف
أأصبرُ عن غزلانٍ صبرة إنني ... لأَوْهَى قوىً مما يسوم وأضعف
مَدَى الدهرِ لا أشكو، وفي الأرض منزلٌ ... به قوة بِكْرٌ وساقٍ مهفهف
فيا طيبها من كفِّه إذ يديرها ... ويدني ثناياه إليَّ فأرشف!!
رضابٌ ـ أبِنْ لي ـ ما بردتُ ببرده ... غليليَ، أم ماءٌ زلالٌ وقرقف؟
ووجهك أم صُبْحٌ؟ وفرعك أم دُجىً؟ ... ولحظك أم عَضْبُ الغِرارَيْنِ مرهف؟

فيا زهرةَ الدنيا التي ليس تُجْتَنى من الصَّـوْنِ إلا بالعيـون وتقطف
تقـاسمك الضـدَّانِ شَـطْرٌ مثقّـل يُحَمَّـلُ أعبـاءً، وشـطرٌ مخفف
سقى ورعى الله الليالي التي خَلَتْ فكم ضمني فيها وضمَّكَ مُطْرَفُ
ولهفي عليهـا أو أمـوتَ بحسـرةٍ وإن كان لا يُجْدِي عليَّ التلهف
أقلبي الذي راع العذولَ اضطرابُهُ فـأقْصَرَ عني أم جَنَـاحٌ يرفـرف؟
ومـاذا عليهم أن أجـودَ بتـالـدي وأُفني طريفي قبلَ يومي وأتلف؟
لهم ما اقتنوا فليحرصوا في ادخارهم ولي كنزُ شعر لا يبيدُ ويوسف
هو الجبلُ الراسي الذي ليس ينتهي وبحرُ الندى الطامي الذي ليس يُنْزَفُ

* * *

126 ـ محمد بن زيد الطرطائي الصقلي(1)

المقيم بها. أخذ من كل العلوم بالحظِّ الوافي، متقدم في علم الأوزان والقوافي. ولم يكن في وقته من يدانيه في ذلك إلا الشيخ العروضي الصقلي؛ فإنهما كانا في وقتهما فرسي رهان وشريكي عنان. وله مع ذلك شعر صالح؛ منه قوله:

يَكْـلأُ اللَّهُ مَنْ جفـاني وَجَـدَّا وسبـاني بِـغُنْـجِـهِ ثـم صَـدَّا
إن يكن غاب لم يغبْ عن ضميري عينُ قلبي تـراهُ قـربـاً وبعـدا
حـلَّ مني محـلَّ روحيَ مـنـه لـيتـه أعـقـبَ الـتـجـنـبَ ودا

وقـال:

عبـرتي فيـكَ مـا لهـا من نفـادِ وزفيـري ولـوعتـي في ازديـادِ
يـا وصول الغـداة يغري سقيمـاً بـاتصـالِ الأسى وهجـر الـرقـاد

(1) ترجمته في إنباه الرواة 3: 128 (رقم: 644) والمحمدون: 331.

عبـدُكَ المحضُ ودُّه لـكَ تقصيـ ـه لتشفي بــه قلوبَ الأعـادي!
كيفَ تَرْضَى خلافَ حسنك يا من حسنــه فـاق حُسْنَ كــلِّ العبـاد

* * *

127 ـ محمد بن سدوس أبو عبد الله النحوي الكاتب الصقلي (1)

برع في النحو على أهل زمانه، وكان النظم والنثر طوع عنانه، فمن شعره قوله يعاتب أبا الحسن الكاتب الصقلي من أبيات يقول فيها (2):

وكنت تراني الرئيسَ الجليـلَ وكنت أراكَ الـرئيسَ الجليـلا
إلى أن قصدتَ هضابَ الإخاءِ فصيــرتَـهُنَّ كـثيبــاً مَهيــلا
تشيــعُ عليَّ الــذي لم أَقُـلْهُ وتُسْمِعُـهُ الخلقَ جيلاً فجيـلا
وهبْنيَ قــد قلتُــهُ مخـطئـاً أمـا في المـروءةِ ألاَّ تقــولا

ولـه يهجو بعض كتاب القاضي أبي الفضل بصقلية (3):

قــل لمن يقضِي ويمضي ويــرى الـرأيَ الجــزيـلا
أنت كــالمســكِ ولكـن جئتَ بــالحسن عـديـلا
لــو كمـا يجهــلُ يـدري كــان لــلَّه رســولا

ولـــه (4):

تـطاول هذا الليـلُ حتى كـأنمـا هو الدهر لا صبحٌ ينيرُ ولا فَجْرُ
وضنَّ عليَّ الطيفُ بالوصلِ في الكرى فيا عجباً حتى الخيالُ له هجر

---

(1) ترجمته في إنباه الرواة 3 : 150 (رقم: 654)، والمحمدون: 339 والمغرب وابن الصيرفي.
(2) الأبيات 1 ـ 4 في الإنباه والمحمدون والثالث والرابع في المغرب.
(3) الأبيات في الإنباه والمحمدون والثالث في المغرب.
(4) البيتان في الإنباه والمحمدون وابن الصيرفي.

ولـــه[1]:

يقولون طال الليلُ جهلاً ولم يطلْ ولكنَّ أشـــواقـي إليــكَ تــطول
ولي أدمـعٌ كالقـطر تبكيكَ كثـرةً ونـــومٌ إذا نــام الـخليُّ قـليــل

* * *

128 ــ أبو بكر محمد بن سهل الكاتب المعروف بالرزيق [2]

أحد كتاب الحساب بجزيرة صقلية وله نثر ونظم، منه قوله:

(أنت المصفَّى جـوهراً حين لا يصفـو لنـا من أحـــدٍ جـوهــرُ)
(عهـد الهوى عنـدك لا ينقضي وذمــةُ الإخـــوان لا تُـخْـفَــرُ)
(لا تـمـــذقُ الـــودَّ لـــذي خُلَّةٍ ولا يُــرى الـدهــرَ بـه تَغْـــدِرُ)
ضـــرائبُ النـــاس وأخـــلاقهم شتى ضـــروب عنـدمـــا تخبـر
منهـا الـزلالُ العـــذبُ إن ذقتَـهُ يـــومـاً ومنهـــا الآجنُ الأكـــدر
فـــالخيـــرُ فـيهــم ثَمِـــدٌ آجـن والشـــرُّ فيهم خِضْـرِمٌ يـــزخـــر

وقولـــه:

لهـا عندي وإن منـع الـوصـالُ ونـادى الكاشحـون بنا وقـالـوا
ســرائرُ لـو نـطقتْ بهـا لقـامت بحجتهـــا وإن كثــرَ الجــدال
سأصبر ما استطعتُ على نــواها فيـوشـكُ أن يكـونَ لهـا نـــوال
لعـــل خيـالَهَـــا وهنـاً طَـــرُوقٌ وهــل مُجْـدٍ إذا طــرق الخيـال
وكيف يــزورني طيـفٌ بِلَيْـــلٍ ومـا للنـومِ في عيني مجـــال؟

* * *

(1) البيتان في الإنباه وابن الصيرفي.
(2) ترجم له القفطي في المحمدون: 340 وأورد له المقطوعتين، وثلاثة أبيـات من الأولى في الخريدة.

129 ـ محمد بن عبد الله المقرىء النحوي اللغوي الصقلي أبو بكر[1]

من أهلها المقيمين بها. وكان من أهل القرآن والتفسير والورع والتعفف. له في النحو فهم صاف، وفي اللغة قسمٌ واف، ابتلي بحبِّ فتى من أبناء قواد صقلية، فهام به، وسلب لبه، وفقد أربه، ولم يزل جسمه ينحل ويضنى، ويذبل ويفنى، وعيل في حبه صبره؛ إلى أن نفث الدم صدره. وكان يصنع فيه الشعر طول أيامه، ومدة غرامه؛ إلى أن فارق دنياه، وصار إلى أخراه؛ من دون ذنب في حبه ارتكبه، ولا عيب في نفسه اكتسبه، أعاضه الله الجنة من شبابه، وغفر له يوم حسابه. فمن شعره فيه قوله من قصيدة أولها:

هـذا خيالُـكَ في الجفونِ يلوحُ | لوكان في الجسم المعذَّبِ روحُ
يا سالماً مما أقاسـي في الهوى | هـل يشتفي من قلبيَ التبـريح
غادرتني غرضَ الردى وتركتني | لا عُضْـوَ لي إلا وفيـه جـروح
للّه مـا صنعتْ لـواحظُ جفنـه | لـو بَلَّغَتْ نفسي الردى فتـريح

ويقـول فيها:

لو عاينتْ عيناكَ قذفي من فمي | كبدي ودمعي مع دمي مسفـوح
لـرأيتَ مقتـولاً ولم تَـرَ مقتـلاً | ولخلتَ أني من فمي مـذبـوح
يا ويحَ إني قد جُرِحْتُ وما دروا | أني بـأسيافِ الجفـونِ جـريـح
قـل للذي منـه علقتُ منيتي | أأبـاح قتلي يـا ظلومُ مبيـح
كبدي على صدري جَرَتْ فإلى متى | أغدو أعذَّبُ في الهـوى وأروح

ومن ذلك قوله:

حسبوا دموعي إذ رأوها من دمي | عن علةٍ حـدثت لفـرط بكـاء
تـاللّه مـا هي غيـر أنَّ بليـتي | من مقلتي أَفْضَتْ إلى أحشائي

---

(1) ترجمته وما فيها من شعر من إنباه الرواة 3: 163 (رقم: 666) وله ذكر في الخريدة 1: 327.

فتقطعتْ كبدي وَغِيضَتْ أدمعي   فجرى إلى عينيَّ فَيْضُ دمائي

***

130 ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين بن القطاع[1]

فمن شعره قوله من قصيدة يفخر فيها:

نحن بنو الأغلبِ سُدْنَا الورى   طراً ببذلِ النائلِ الغَمْرِ
والضربِ بالبيضِ رؤوسَ العدى   والطعنِ في اللبَّاتِ بالسمر
إن فَخَرَ الناسُ علوناهم   بالبذلِ والإقدامِ والصبرِ
والعِزَّةِ القعساءِ والسَّوْرَةِ   العلياء والسؤْدَدِ والفخر
والحسبِ السامي الذي تاجه   في هامَةِ الإكليلِ والغَفْرِ
والبيتِ من سعدٍ ومن خِنْدِفٍ   أكرمْ بذاك البيتِ والنجر

وقوله يصف الخمر:

ساعفتِ القهوةُ بالأنْسِ   فدع ركوبَ البازلِ العَنْسِ
ودعْ بكاءَ العينِ في مربعٍ   قد بَلِيَتْ أطلالُهُ درس
وباكرِ الراحَ التي قد مضى   خَرْسٌ لها من بعدما خَرْسِ
لا أدعُ اللذةَ في حينها   قد يصبحُ المرء فلا يمسي
إن لم أنلْ منها حياتي فهل   أنالها في ظلمةِ الرمس
تعلّني بالراح وحشيةٌ   لكنها من فتنةِ الإنسِ
فبتُّ أجني ضرباً من جنى   شفاهها الباردةِ اللعس
ثم أدارت بيننا قهوةً   أعذبَ في النفس من النفس
كأنما الأقداحُ في كفها   كواكبُ في دارةِ الشمس

---

(1) من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1 : 126 ـ 127).

كـم عَقَـلَتْ من ألـسـنٍ نُطَّـقٍ   وأطـلقتْ مـن ألـسـنٍ خـرس

***

131 ـ أبو عبد الله محمد بن العطار الكاتب[1]

لـه:

لـولا عـيـونُ جـآذرٍ وظبـاءٍ   ما راضتِ الأشواقَ صَعْبَ إبائي
واقتـاد قلبي بعـد طُـولِ تمنّـع   نحـو الصبابـةِ قـائـدُ البـرحـاء
وصبوتُ صبوةَ عاشـقٍ ذي غِرَّةٍ   لعبتْ بمهجتـه يـدُ الأهـواء

132 ـ أبو بكر محمد بن علي بن الحسن بن البر اللغوي الصقلي التميمي الغوثي[2]

فاضل كامل. ولد بصقلية، ورحل عنها في طلب العلم إلى جهة المشرق، وروى كثيراً من اللغة، ثم استوطن صقلية، وصحب ابن متكود صاحب مازر من مدن صقلية، فقربه وأدناه، وأكرم محله وأجلّ مثواه، وكان ابن متكود هذا على غاية الصيانة والدين والزهد، وبلغه عن ابن البر أنه يشرب الخمر سراً، فعز عليه ذلك وسير إليه: إننا إنما أردناك لعلمك ودينك، وأردنا منك الصيانة، وإذا كان ولا بد من شرب الخمر فهذا النوع ببلرم كثير، وربما

(1) من الخريدة.

(2) هذه الترجمة من إنباه الرواة 3: 190 (رقم) 689) وترجم له ابن الأبار في التكملة 2: 671 ـ 672 ولم يورد الاثنان له شعراً وقال فيه ابن الإبار من أهل القيروان وسكن صقلية، وعلي جد أبيه هو الذي يقال له «البر» وعد أساتذته ومنهم: أبو يعقوب النجيرمي وأبو سعد الماليني، وسمع شعر المتنبي من صالح بن رشدين؛ وكان إماماً في علم العربية والآداب مع جودة ضبط وحسن خط وكل ما وجد له من تقييد ففي غاية الإبداع، وممن أخذ عنه أبو العرب الصقلي وهو آخر من حدث عنه ودخل الأندلس وكان ذلك عام 460، وأشعاره الواردة هنا وردت في المختار من شعر بشار: 308 وكان هو والتجيبي صاحب المختار صديقين.

يعزُّ وجوده ها هنا. فخجل من قوله وارتحل إلى بلرم، وهي مدينة من مدن صقلية، وأقام بها للإفادة، وكان موجوداً هناك إلى سنة خمسين وأربعمائة.

وممن أخذ عنه وأكثر تلميذه علي بن جعفر بن علي السعدي المعروف بابن القطاع اللغوي الصقلي نزيل مصر؛ وكتاب «الصحاح» بمصر لا يروى إلا من طريق ابن البر هذا، والله أعلم بصحة هذا الطريق.

أنبأنا أبو طاهر السلفي قال: سمعت علي بن عبد الجبار بن سلامة الهذلي اللغوي التونسي بالإسكندرية يقول: رأيت أبا بكر محمد بن علي بن البر الغوثي اللغوي بمدينة مازر من جزيرة صقلية، وكنت على أن أقرأ عليه لما اشتهر من فضله وتبحره في اللغة، فاتصل بابن متكود صاحب البلد أنه يشرب الخمر ـ وكان يكرمه ـ فشق عليه وصار يكرهه، وأنفذ إليه وقال: المدينة أكبر، والشراب بها أكثر، فأحوجته الضرورة إلى الخروج منها، ولم أقرأ عليه شيئاً.

وله يخاطب التجيبي:

يا فائقاً ببديه رويَّةَ البلغاءِ
اعذرْ فهذا جوابي يمشي على استحياءِ

وكتب إليه أيضاً:

يا معدنَ التسجيع والتصنيع ومظنةَ الترصيع والتصريعِ
ومحلَّ كلِّ غريبةٍ وعجيبة وملاذَ كلِّ مقلّد وبديع
يا من إذا جعل الأفاضلُ حلبةً كان المقدَّمَ قبل كلِّ سريع
جاءتْ نوادر بل جواهر منك قد أرْبَتْ على المطبوعِ والمصنوع
داوتْ فؤاداً بالفراق مروعاً وشفتْ غليلَ المدنف المفجوع
ما زلتُ مذ وافتْ أردّدُ خاطري فيما حوت من مذهب التوشيع
أُنسي بها وكأنَّ بين سطورها مَنْ بعده عنّي أطارَ هجوعي
ومن اشتياقه اشتياقُ متيَّمٍ صبٍّ رمته يدُ النوى بفظيع

مـتـبـلـدٍ مـتـلـدّدٍ مـتـحـيّـرٍ   مـتلهّـفٍ مُتَـوَجِّـعٍ مـمنـوع
فالوجـدُ مني لو ذهبتُ لـوصفه   ومعي بيـان البحتري وصـريـع
لـرجعتُ لم أبلغ مَدَى معشـارِهِ   بلســانِ عِيٍّ مفحَـمٍ مقــطوع
هـذا سبيـلُ أخيـكَ بعـدك إنـه   مذ غبت خدنُ أسىً حليف دموع
وزعمتَ أني اخترتُ غيرك مؤنساً   وأتيتُ في أهـل الصفـا بشنيـع
واللّهِ ما أرضى الورى بك كُلَّهم   بــدلاً وفيهم أسـرتي وجميعي
لـكـنــه أمــرٌ قـضــاهُ مـقــدِّر   ما يقضِ يومـاً ليس بالمـدفوع
فاعذر أخاكَ وثقْ بما لـك عنده   من محضِ ودٍّ ليس بـالمصنوع

***

133 ـــ أبو عبد الله محمد بن علي بن الصباغ الكاتب(1)

كان في عهد ابن رشيق وبينهما مراسلات، ذكر أنه ناظم ناثر، وله:

وليـلٍ قـطعنـاه بـأختِ نهــاره   إلى أن أماطَ الصبحُ عنـا لثامَـهُ
إذا مـا أردنـا أن نشبَّ لقـاصـد   ضراماً سكبناها فقـامت مقامـه
ليـاليَ نـوفي اللهـوَ منـا نصيبَـهُ   ونعطي الصِّبا فيما أراد احتكامه

ولــه:

قَوْمي الذين إذا السنابك أنشأتْ   دونَ السحاب سحائبـاً من عِثْيَرِ
برقت صوارمهم وأمطرتِ الطُّلَى   عَلَقـاً كثرثـارِ الحيـا المتفجـر
الـواتـرين فــلا يُقَـادُ وتيــرهُمْ   والفــاتكين بحميــرٍ وبقيصــر
والمـانعينَ حمـاهم أن تُـرْتَعَى   والحـاسمين لكـلِّ داءٍ يعتـري

---

(1) من الخريدة والمغرب والشريشي 1: 122 والذخيرة.

ولــه:

لا يــخــدعــنَّــكَ خَــبٌّ ... يــطولُ منــه الـسكــوتُ
فــالــزنــدُ يـضمــرُ نــاراً ... وهــو الأصـمُّ الصـمــوت

وكتب إليه أبو علي ابن رشيق عند وصوله من القيروان إلى مازر في أول رسالة:

كـتــابٌ مـن أخٍ كَـشَـفَـتْ ... قـنـاعَ ضـمـيـرِهِ يـدُهُ
تــذكــر مــنــزلاً رحــبــاً ... وعــذبــاً طــاب مــورده
وكــاد يــطيــرُ من شــوقٍ ... إلــى عــهــد يــجــدده

فكتب إليه في جوابه:

أخٌ بــل أنــت سـيّـدُهُ ... عـلى مـا كـنـتَ تـعـهـده
بــودٍّ غــيــر مــحــتــاج ... إلــى شــيء يــؤكــده
لــعــل الله بــالــلقــيــا ... كـمـا يـخـتـارُ يُـسْـعِـدُهُ

ولـه في وصف ذكي:

أذكى الــورى كلهم وأعلمـهم ... فـمـا يُـرَى مثـلَ لـيـه لـبُّ
يُـوضِـحُ بــالفهمِ كـلَّ مشكلةٍ ... كــأنـمـا كـلُّ جسـمـه قلب

ولــه[1]:

تـطفىء صَدْرَ الـدجى بعـاليـةٍ ... صنــوبــريٌّ لســان كــوكبهـا
كـحيــةٍ بــالـلســانِ لاحســةٍ ... مــا أدركتْ من سـوادِ غيهبهـا

فصل له[2] من رقعة خاطب بها الأديب أبا حفص القعيني الأندلسي يعزّيه

(1) ينسبان لابن حمديس، الديوان رقم: 341.

(2) من هنا حتى آخر الترجمة ورد في الذخيرة لابن بسام 4: 308 ـ 320.

في هرة نفقت له، وجلس للعزاء عنها تماجناً، قال فيه:

[الحياة] لبني الدنيا مراحل، والمنايا لجميعهم مناهل، والأعمارُ كالأسفار، منها القريبُ الوصول، العاجلُ الحلول، ومنها البعيد الشقّة، الشديد المشقّة، أنفاسٌ معدودة، وآجالٌ محدودة، وليس بناجٍ من محتومها أحد، ولا لمخلوقٍ منها مُلْتَحَد، وانتهى إليَّ ـ سهل الله الصبر الجميل سبيلك، وأطفأ ببردِ السّلوانِ غليلك ـ نبأٌ جَلَل، وخطبٌ مُعضِل، وهو مصابُك بشقيقة نفسك، وموضع راحتك وأنسك، وربيبة حِجرك وحجرتك، وآلة حَيطَتِك على حنطتك، وكالئة ذخائرك وقُنيتك، واستحواذ فجيعتها على لبّك، وما عالجتها به من ذَرورٍ وحنوط، وإشفاقك من تعجيل إسلامها إلى التراب، وإبقائك إياها طويلاً في المحراب. وأليّتك عليها لتدعونَّ إلى جنازتها مأتماً يَشقُقنَ عليها جيوبَ المدارع، ويُفضنَ من الوجدِ بها غروبَ المدامع، ويُعولِنَ عليها بالصراخ والنياح، ويُذرين لمصرعها شعورهنَّ مع الرياح.

وفي فصل: ولستُ بناسٍ ذكر تلكَ الملحَ التي كتبتَ تصف من أخلاقها وآدابها، والمدَحِ التي تورد في أعراقها وأنسابها، والغرائب التي تذكرُ عن قوّتها وأيدِها، وحيلها وكيدها، ومكرِها بالفارِ وصيدها، ولعمري ما أفرطتَ في نعتها بل فرَّطتَ، وما صرَّحت بجميع محاسنها بل لوَّحت، فلقد كانت لبؤةً إلاَّ أنها تدعى هِرَّة، ونمرةً إلاَّ أنها أكثرُ منها شِرَّة، ذات نابٍ مطلول، وساعدٍ مفتول، وخصرٍ مجدول، ريانة الكاهل، ظمآنة الأسافل، تطير من قوائمها بأسرع من الجناح، وتستضيء من عينيها بأنور من المصباح، وتعتدُّ من مخالبها بأمضى من السلاح، وتسطو من جرأتها بمثلِ القدرِ المتاح، لينةُ الوبرِ كالسّمور، سوداءُ الشعر كالديجور، مأمونة الجيب، بظهرِ الغيب، عظيمةُ النفس، لطيفة الحس، أمينةٌ على اللحم الموضوع، ولو شفّها فرطُ الجوع، وما خانت قطُّ أمانة، ولا رضيت يوماً خيانة، فهي عُوذة الدار، من الفار، وعهدُ الأمان، من الجرذان.

قال ابن بسام: وكانت للأديب القعيني هذا جاريةٌ سوداء كلفَ بها ثم

باعها، وندم فحاول استرجاعها، فزعم المبتاع أنها حامل ـ وللقعيني في ذلك أشعارٌ كثيرة ـ فكتب أبو عبد الله هذا رقعةً قال فيها: كشف الله عن قلبك أيها الأديب الحسيب رَينَ الشهوة، ومحا من لبّك شَيْنَ الهفوة، فعلى رأيك يَعتمد من اختلفت آراؤه، وبهديك يهتدي من أضلَّ القصد، وبه يقتدي من عُدم الرشد. ونقل إليَّ بعض من يعرفُ أحوالك، ويشارفُ فعالك، خبراً يُصمُّ السمع، ويضيّقُ الذَّرع، وذلك أنَّك نبذت من يدك كُرتَك المتكفشّة، فتلقاها من أحْمَدت صولجانَه، وأخرَجْتَ عن ملكك ضفدعتك المريعة، فتناولها من استحسنت غدرانه، وبلغك من إقبالها عليه، وانصرافها بكليّتها إليه، ما أضرمَ قلبك شوقاً لا تخبو ناره، وسلَّ الوجدُ بها عضباً لا ينبو غراره، فأنشَرتَ للناسِ من نفسك قيسَ الأخيلية، وأحييتَ لهم منك مجنونَ العامريّة، وعضضت على بيعتها أناملَكَ، وأنضيتَ في طلبها زواملك، وأطَلتَ في وصفِ شوقك لها وأوجزت، وقصَّدتَ في ذكر الأسف عليها ورجزت، وجمعت لها من المحاسن ماافترق، وفتحت من البدائع فيها ما انغلق، وجعلتها نبض حياتك، وموضع شكَاتك، وسُعنَة أوطارك، وجونة عطارك:

فـفيـهـا عنبــرُ الـهـنــدِ وفـيـهـا مـسـكُ داريـنِ
وفـيـهـا قـضبُ نَـعْـمـانٍ وفـيـهـا كـثـبُ يـبـريـنِ
وفيهـا قـامـتِ الحـربُ كـمـا كـانـتْ بـصـفّيـنِ

فأصبحتَ والظنونُ بك مُرَجّمة، والألسنةُ عنك مُتَرْجِمة، والأقوالُ فيك كثيرة، والأيدي إليك مشيرة؛ ويا عجباً منك كيف لم تُبْصِرْ بصيرتُك هذا العوار وشهابُها ثاقب، ولم تعفْ نفسُكَ الساميةُ هـذه الأقذار وإباؤها واجب. شدَّ ما ملكتك سورةُ الغَرارةِ وأنت كهلٌ أمين، وهَفَت بلبّكَ هَفَواتُ الهوى وعندك عقلٌ رصين؛ أفي الحقّ أن أستفرغَ قلبك فلا يخلو، وأنشدك فلا تسلو:

نـدمتَ نـدامَـة الكُسَعيِّ لمّـا تَبـطّنهـا يـاضعهـا سـواكـا
رأتْ مـا سـدَّ كعثبهـا وأودى بِغُلمتهـا فَلَجّتْ في جفـاكـا
فـلا تذهبْ بلبّـكَ طـائشـاتٌ من الصَّبَواتِ واسترجعْ نهاكا

ما لك وللتمادي في غُلَوائك، والزيادةِ في بُرحائك، نهنِهْ قلبكَ، وراجعْ لبّك، واذكر خَلْقَها وخُلُقَها، وتأملْ وجهها وعُنُقَها، وانظر خَدَّها وقدَّها، وهل شيء مما يُسْتَمْلَحُ عندها؛ والله ما رأيتُ شخصها قطّ إلا تخيلتُ الشيطان، ولا مَقَلْتُ مُقْلَتها إلا ذكرتُ السّرطان. وأيةُ ضفدعةِ ماء تعشّقْتَ، وقرنْبي بها تعلّقْتَ، ولقد وَريَ زَنْدُ مَنْ خرجت من يديه، وتَعِسَ جَدُّ من صارت إليه.

وفي فصل منها: فهنيئاً أبا حفص راحةُ بصرك من شخصها المقيت، وفراغُ قلبك من الكَبَدِ بِخَلْقِها المميت، لو غَسَلْتَها بكلّ ماءٍ في البحر، وطيبتها بكلّ عنبرٍ في الشحر، وضمَّختها بملابِ كلّ عطّار، وفتتَّ عليها من المسك ألفَ قنطار، ما ازدادت مع الطيب إلا دَفَراً، ومع الغسل إلا وَضَراً؛ وكأني بك قد أنشدت بيتَ ابنِ الروميِّ في من لا يشبهها إلا في سوادِ الجلد، ولا يَشْرَكُها إلا في النسبةِ إلى الجدّ، يقول:

أكسبها الحبَّ أنها صُبِغَتْ   صِبْغةَ حبِّ القلوبِ والحدقِ

وقال الآخر:

مشبهاتُ الشبابِ والمسكِ تفديهنَّ نفسي من الردى والكروبِ
كيف يهوى الفتى الأديبُ وصالَ البيضِ والبيضُ مشبهاتُ المشيبِ

هيهات! هنا يقال: ظُنَّ تَخِبْ، واقلبْ تُصِبْ، ما كلُّ بيضاءَ شحمة، ولا كلُّ سوداء تمرة. فأمسك عنها فقد سَلَتْ عنك، وابرأ منها فقد بَرِئَتْ منك، واستصغرت آلتك، واعتاضت منكَ بزعمها أكبر أيراً وأكثر خيراً، ووصفَتْ عنه من نِشاطِ العُدَّة، وإفراطِ العِدة، ما شُرِحَتْ به صدراً، وأوسعَتْ عليه شكْراً.

وفي فصل منها: وأمّا قولك: ما الذي أعجبها من دمامته، وقِصَرِ قامته، وَعِظَمِ هامته، ووَسخ عمامته، حتى شغفها حُبّاً، وأصبحَ فؤادها به صبّاً. فنعم:

أعجبها من خَلْقِهِ قُمُدّ   عُجارمُ ضخمُ القذال نَهْدُ
ململمُ الأقطارِ عَبْلٌ جلد   مثلُ ذراعِ البَكْرِ أو أشدُّ

ولو كنت ممن يُربِعُ بالنهار، وَيُشْبِعُ بالليل، كما حكت عنه، لما واجهتك بما لا تريد، وباعت صُحْبَتَكَ في من يزيد، فانقضْ غَزْلَ حبّك لها أنكاثاً، وطلّقْ علاقةَ قلبك بها ثلاثاً.

فراجعه القعيني برقعةٍ طويلة انتصر فيها لنفسه هنالك، وأقام حججاً على صواب ذلك.

فأجابه الصقلي برقعة أخرى يقول في فصل منها: زعمتَ أنّك شديدُ الغرام، بشقيقةِ الظلام، وأني أخطأتُ في عَتْبِكَ على حبّها، وظلمتُ في نهيك عن قربها، وجعلتَ أشعارَكَ في النسيبِ بها حجّةً لتمييزك، وإنكارَ التأنيبِ عليها عذراً من تعجيزك، وطفقتَ تنشد رافعاً عقيرتك، مستصغراً كبيرتك:

أستودعُ اللّهَ مولىً مُلّكْتُـهُ يـدي ... ودَّعتُ إلا شجـوني إذ أودّعُـهُ
جسمٌ من المسكِ أقصته النوى فمضى ... وفي ذؤابته عندي تضوّعه
وبدر تمّ تقاضاهُ الأفولُ فيا ... ويلي طويلاً وعندي كان مطلعه
عَدِمتُهُ ذهباً لوناً وفائدةً ... واذلَّ من ليستِ الآدابُ ترفعه
يا قطعةً من فؤادي جذّها قَدَرٌ ... حتّامَ تجفوه عدواناً وتقطعه
أهوى الأصيلَ إليها من ملابسةٍ ... ثوباً بهياً ولكن ليس تخلعه

فجعلتها مسكاً فتيقاً، وذهباً عتيقاً، وقطعةً من فؤادك، ومَضِنّةً لودادك، وسبباً لانقيادك، وألبستها من الأصيلِ ثوباً لا يُخلع، ودِرْعاً لا يُنزع، وزعمتَ أنك اخترعتَ في هذا النسيب معنىً لم يُسْمَعْ، فانتصرتَ لمذهبك، وحلّيْتَ عاطلَ مركبك. وما أدري ما أقبلُ من شِعرَيْكَ، ولا ما آخذ من قوليك، أهذا الأولُ الذي زعمتَ أنّك قلتَهُ في عُنفوانِ الصَّبابة، وإفراطِ الكآبة، أم حين جلّى الله [عن] بصيرتك غَيابَتها، وكشفَ عنها عمايتها ـ حين قلت:

يا سوءَ ما اخترتُها في الحبّ ضفدعةً ... جحوظَ عينٍ وقداً مفرطَ القصرِ
إذا أردتُ نكاحاً وهي مجمرةٌ ... عطراً أرت خَلْقَ إبراهيمَ من قذر
الحمدُ للّه جلّى في الغرام بها ... بصيرتي فرأى أقذارها بصري

فمتى عادتِ الضفدعةُ غزالاً، وصار هذا النقصُ كمالاً؟! وشدَّ ما عَمِيَتْ بصيرتُكَ بعد جلائها، وتسامحتْ سيادتك بعد إبائها، وظمئتَ إلى سؤرِ هذا الجازر، وهو من لبنِ حازر. أتراها بعد أن اختبرت عَرْده، وبَلَتْ زَوْجَهُ وفرده، وذاقتْ صابَهُ وشهده، ورأتْ كلَّ ما يسرهـا عنده، تصبـرُ على دِقّةِ مِسْبَـارِكَ، وترضى مَلّةَ خُشْكارك، وهيهات ما سوَّلتْ لك الأحـلام، والله لو عـادتِ إلى ملكك، ما ملّتْ من فَرْكك، ولا رجعت عن تركك، ولو جعلتَ السندسَ لها بُسْطاً، والثريّا في أذنيها قرطاً، وصيّرت بني حام كلّهم لهـا خَوَلاً، وحشـرتَ عليها كلَّ شيء قُبُلاً، ما كانت لتُقْبِل عليك، ولا لتصرف وجه محبتها إليك.

وفي فصل: وأما ما ذكرت من خُلَيدة التي ادعيتَ عشقَها عليّ، ونسبتَ حبّها إليّ، فقد أذكَرْتني الطعنَ وكنت ناسياً، قد كنتُ رأيتها في المعـرض، وعندي من الارتياحِ إلى الملاح، ما عند الغصونِ لهيف الرياح، ومن الشّغفِ في أمثالها إلى اللقيا، ما بالرياض إلى السقيا، فرأيتُ لثامها قد حُطَّ عن بدر كمال، وإزارها قد غصّ بردفٍ ريّان، وسرَّحت طرفي منها في روضـةِ حُسْنٍ أريضة، وحديقةِ جمالٍ أنيقة، وأعطيتُ مولاها فيها السّولَ، وبلّغْتُهُ في ثمنها المأمول، وسألها بعض التجار، عن الدار وعن النّجار، فترجمتْ عن منصبها، وأعربتْ عن نسبها، بغرائبِ ألفاظ، عزيز سماعُ مثلِها بسوقِ عكاظ، مسخت القاف كافاً، وردَّت الأوصافَ «أوسافاً»، فقبُحتْ بذلك الكلام حُسْنَها، ورجمت الأسماعَ بلغةٍ كأنّها:

* بَرَدٌ تحدَّر من متون غمام *

فعاد مُبْرَم حبي لها سحيلاً، ولم تَسْوَ عندي لذلك فتيـلاً، وما عجبتُ كعجبي من وصفكها بقِصَرِ الخطا، وتشبيهكها بإبهام القطا، فإن كان نَقْدُكَ في الشعر ومراميه، واقتضابُكَ لغريبِ معانيه، بهذه القريحـة الصافيـة، والبصيرةِ النـافذة المتنـاهية، فقـد فُتَّ الأولين والآخرين سَبْقـاً، وبرزتَ على القـدماء والمحدثين صدقاً. كيف جاز عليك هذا الغلطُ وأنت صيرفيُّ الكلام، معنويُّ النظام، وغيرُكَ بذلك التشبيـهِ كان أليق، وهـو به أعلق، تلك بيضـاءُ قصيرةٌ

بزعمك، وهذه سوداءُ دحداحةٌ بزعمك:

قـريبـةُ الأقـطارِ ملمـومـةٌ مغمـوسةٌ في خُضْـرَةٍ جَـوْنِ
لا تخـطىءُ البقّةُ أوصـافها فـي النّتْنِ والـقـامـةِ واللونِ

وأمّا ما عِبتَه من زُرْقَتها ـ وإن لم تكن كذلك ـ وكانت الشهلاء في نعتك ـ فأين أنت من قول القائل:

وأزرقِ العينِ فـاتـرِ الغَنَـج زرقـةُ عينيـه آفـةُ المـهـج
قـالـوا بـه زرقـةٌ فقلتُ لهم تمَّ بهـا حُسْنُ وجهـه البهـج
مـا زرقـةُ العينِ مثـلُ كحلتها كم بينَ يـاقـوتـةٍ إلى سَبَـج

وفي فصل منها: وها هنا وقفتُ وأمسكتُ، لأنَّ بعضَ الإخوانِ أحرقني بنار العتاب، وأخرجني بها عن طبقةِ الكتّاب، وركب في ملامتي راسه، ومدَّ بها إليَّ أنفاسه، وأطنبَ في اللوم وأسْهَبَ، وصعّد فيَّ العَتْبِ وصوَّب، يقول في فصل منها: «وقفتُ على ما أدَّاك إليه كثرةُ الفضول، من إيرادِكَ تلك الفصول، التي مَسَخْتَ جواهرها خَزَفاً، ولآلئها صَدَفاً، ورأيتُ تلك النصيحة، التي صارتْ فضيحة، والمحاسنَ التي عادت قبيحة، والألفاظَ العِذاب، التي آضتْ سياطَ عذاب، وتأدبَ من عاطيتَ، وجوابَ من كاتبت، فتأوهتُ وتفجّعْت، وحَوْقَلْتُ واسترجعت، وقلت: أما انتبه من سِنَةِ غفلته، وذكرَ بيتي حكمتِهِ، إذ يقول:

إذا مـا هَـدَيْتَ امـرءاً مخـطئـاً أضـلَّ الـسبيـلَ إلى قَـصْـدِهِ
ولـم تَـلْقَـهُ سـامـعـاً قـابـلاً فـحَسِّـنْ لـه المشيَ فـي ضـدِّه

ولقد سررتُ بما أصابك، وابتهجتُ بما نابك، فعساك يوماً تعرفُ أخلاقَ الناس، وتزنُ أحلامَهُمْ بالقِسْطاس، وتنتقدُ أحوالهم وأفعالهم، وتختبرُ ضرائبَهُمْ وأشكالهم، فتميزُ الخبيثَ من الطيِّب، وتتجانف مِنْ بعدُ عن الدعابةِ في

خطاب، أو إجابةٍ بكتاب».

هذه شكيمةٌ كَبَحَني بها هذا الصديقُ بعد أن جمحتُ ورمحتُ، وخطامٌ خطمني به بعد أن أرقلتُ وأوْجَفْتُ، ولولاه لعرضتُ أكثرَ من هذا المتاع، وَكِلْتُ بأكبرَ من هذا الصاع.

وله من رقعة إلى ابن الشامي صاحب الخمس، راغباً في أن يكلّم له الأمير صمصام الدولة[1] في أن يحرّر له أرضاً كان اشتراها:

إذا الحاجاتُ عيَّ بها رجالٌ وكان قضاؤها صعبَ المرامِ
وقلّتْ حيلة الشّفعاء فيها فحاولْ نُجْحها ببني الشآمي
دراريُّ العلا حفّتْ ببدرٍ منيرٍ في سماءِ المجدِ سام

ويعلم ـ أدام الله تمكينه ـ مذهبي في التخفيف، وحَمْلِ مؤنة التكليف، إلّا في ما تلجىء الضرورة إليه، ويحملُ الاضطهاد عليه، وكنتُ من ترفيهِ النفس عن الامتهان، والقناعةِ بما تسمحُ به نفسُ الزمان، عن حالةٍ يعلم ـ حرس الله مجده ـ تقلّبي في أثنائها، ومقيلي في أفيائها، حتى عَرَض لي من سوء القضاء، ما أجار بالنارِ منَ الرمضاء، فسوَّل لي الحرصُ الذي ما شمتُ له قطُّ بارقاً، والطمعُ الذي ما ركبتُ له قطُّ عاتقاً، النظرَ في إحداثِ بستانٍ في خرائبَ أخْرَبَتْ مالي، وشغلتني عن كثيرٍ من أشغالي، وصرتُ منفقاً ما جمعتُ في الغربة والوطن، وكسبتُ في الإقامة والظعن، بين جدارٍ فيها أهدمه، وغارٍ أردمه، وأرضٍ أرفعُ مرّةً وهادها، وأخفضُ تارةً نجادها، حتى استوت ساحاتها وتوطّتْ، وغابت مغاراتُها وتغطّت، وانكشطتْ أسْنِمَتُها وانحطّتْ، وفي بناء حائطٍ أحدق بأقطاره، وآمنُ به على ثماره، وفي حفر بئر يقنعُ ماؤها صداه، ويبلُّ إذا حَمِيَ الهجيرُ ثراه، ما لو أقررتُ به بين يدي القاضي أو شُهِدَ به عليَّ

(1) هو الصمصام بن يوسف ثقة الدولة، تولى بعد أخيه الأكحل تأييد الدولة سنة 427 ولم تطل أيامه، بل ثار عليه أهل بلرم وأخرجوه، واستقل كل قائد في جزيرة صقلية بمنطقته.

لتوجّهَ عليه فيما يلزمُهُ من الفرض، ويحقُّ عليه في الإبرام والنقض، أن يُثبتني على رأي الفقهـاء، في ديوانِ السفهـاء، إذ لا يُقْدَرُ على سَقْي دوحـاته، ولا يُتوصَّلُ إلى إحياء مواته، إلاّ بدولابٍ وجابية، يأخذانِ الماءَ أخذةً رابية، وعند الوصولِ إلى هذه الفصولِ، والانتهاءِ إلى هذا المحصول، قرعتُ سنَّ النادم، وانتبهتُ انتبـاهَ الحالم، وكنت كتـاجـرِ البلّوْر، في ابتيـاع السّنـوْر، ومسرّحِ الدجاج، في مخزنِ الزجاج: أحدثَ هذا في ماله من البوار، ما لا يحدثه عابث الفار، وجلبَ ذلك إلى بضاعته من الفساد، ما لا يحدثه وافدُ الكساد.

وفي فصل منها: ولا بدَّ لغريق البحر أن يدرج فيخرج، وللتائه في القفر أن يضلَّ فيهلك، أو يُدَلَّ فيسلك، وقد علم قلّة حاجـاتِ وليّه إليـه، وإيثارَه التخفيفَ عليه؛ ومتى أعلمَ الأميرَ أنَّ هذه الخرائبَ التي عانى وليَّهُ غِراسها، لا يُرتَجى لها عمارةٌ تعودُ بفائد، ولا ينتفعُ الديوانُ منها بدرهمٍ واحد، وساكنوها منذ أعوام ما أدَّى واحدٌ منهم خراجاً، ولا صنع لبيته باباً ولاَ رتاجاً، فهم بين قـومٍ يأكلون الشجـر قبلَ الثمـر، ويَرْعَـوْنَ الأبَّ قبـل الحبّ، ومـا آمن مـع ما أحدقت به من الأسوار، وخرجت في [النفقة] عن المقدار، أن يوجفوا إليه بالجوالق، وينقضُوا فيها كالشذانق، كما يفعلون في بستانِ فلان، الذي أنفق فيه عمره وماله، وصرفَ إليه همّه واهتباله، فهو في الشتاء من علوجِ الزُّبر والحفر، وأصحاب الغَرْسِ والبَذْر، فإذا بلغتْ ثمرته، ووجبتْ غلّته، حامَ عليه بنو حام، ولم يمتنعْ منهم بحارسٍ ولا حام، ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ (الكهف: 42)، وناهيك [بِدُرَّة] ظَفِرَتْ يدي بأختها، ومَخْشَلَبَةٍ غَنِيَتْ عن ثقبها ونحتها، ومتى لم يلحظني مولاي بعينِ رعايته، ويمدَّ إليَّ [يدَ] عنايته، في ما رغبتُ وسألت، انقلبتُ بأملٍ عاطلٍ، وعملٍ باطل.

* * *

134 ـ أبو بكر محمد بن علي بن عبد الجبار الكموني[1]

لـه:

مـا إن رأيـتُ كـراقصٍ ... مستـطرَفٍ في كـلّ فـنِّ
يَحْكِي الغنـاءَ بـرقصـه ... كمـراقصٍ يحكي المغني
رجـلاه مـزمـارٌ وعـو ... دٌ في نهـايـةِ كـلِّ حسن
فهـو السـرورُ لـكـلِّ عيـ ... ـنٍ والنعيـمُ لكـلِّ إذن

ولـه:

يـا بـأبي ريّانَ طـاوي الحشـا ... يقـطعُـهُ الـدلُّ إذا مـا مَشَى
يحسبُـهُ النـاسُ إذا مـا خـطا ... مـنتشيـاً لـكنـه مـا انـتشى

* * *

135 ـ أبو عبد الله محمد بن قاسم ابن زيد اللخمي الكاتب القاضي[2]

منزلته في الشعر رفيعة، وطريقته فيه بديعة، وله نثر كالتوشيع أو زهر الربيع، فمن شعره قوله يمدح القائد علي بن نعمة:

يا عذبةَ الريقِ عُودي بعضَ مرضاكِ ... وعـلِّليـه بـرشفٍ من ثـنـايـاكِ
وسـائليـه متى عهـدُ السَّقَـامِ بـه ... فقـد نفى النـومَ عن عينيـه عينـاك
قـد حاربَتْـهُ الليالي فيـكِ جـاهـدةً ... فصار من حيثُ ما يرجوك يخشـاك
مـا كـان أغنـاهُ عن حُبّيـهِ قـاتلةً ... نعم وعـن قتـلِهِ مـا كـانَ أغنـاك
أستودعُ اللّه قلباً في الهـوى عبثْ ... بـه على غِـرَّةٍ أيـدي منـايـاك

---

(1) من الخريدة.

(2) من الخريدة والمختصر.

يا نفسُ لا تُسْرِفي في الغيِّ جاهدةً ... واصغي لناطقِ رُشْدِي حين نـاداك
بشـراكِ يـا نفس بـالسلوانِ بشـراكِ ... وإن تبـدَّلتِ معنىً غيـرَ مـعنـاك
الآن أصـبحـتِ بـالسـلوانِ آمنــةً ... من بعـد خوفِ غـرامٍ كاد يغشـاك
وكنتِ من قبـلِ ذا في الحبِّ دائبـةً ... تَرْعَيْنَ عهدَ امرىءٍ قد كـان يرعـاك
إذا جَنَى أو تجنَّـى ظلتِ طـالبـةً ... عــذراً كـأن جنـايـاه جنـايـاك
فـلا أقـولُ مـدى الـدنيـا لغـانيـةٍ ... فُكِّي أسيـرَكِ إني بـعضُ أسـراك
إيــاك من مثلهـا يـا نفسُ ثـانيــةً ... تـجنـي عـليَّ بـهـا إيـاكِ إيـاك
لئن وجـدتُـكِ بعـد اليـوم عـاشقـةً ... لأنـزعنَّـكِ من صـدرِي وحـاشـاك
لا تنــزلي غيـرَ دارِ العـزِّ منزلــةً ... فـمـا أقــلَّ مـعَ الأيــام بقيــاك
وإن نَبَتْ بـكِ أرضٌ فـاطلبي بـدلاً ... منهـا ومغنىً جـديـداً غيـر مغنـاك
ها قد وجدتِ طريقَ الرشدِ واضحةً ... حقـاً ومـا كنت تـرجـوهـا بـإدراك
فـاستغنمي غفلةَ الأيـام قـاصـدةً ... مدحاً وإن لم يكن ذا من سجـاياك
والقِيْ عليّـاً ولا تبغي بمـدحتـه ... إلا التفضـلَ في تقـريب مثـواك
يحميـك من سطوةِ الأيـام جـانبُـهُ ... وإن سخطتِ لجورِ الدهر أرضـاك
سَمَتْ بـه العزَّةُ القعسـاءُ في صُعُدٍ ... كـالشمس مـا بين أبـراجٍ وأفـلاك

ولــه:

أيهــا المُهْــدِي لعيني السَّـهَــرا ... كـان وجدي بـكَ مقدوراً جـرى
لـم أكـنْ أعــلمُ مــا عُـلِّمْـتُـهُ ... من هــواكَ الـيـوم إلا خـبــرا
ربِّ لا حــولَ ولا قــوةَ لــي ... صــرتُ بعـد العين أقفـو الأثـرا
عــاذلي مهـلاً فمــا العـذرُ على ... عـاشقٍ مثلي حـديثٌ يُـفْتَـرَى
أنت لا تـأسَ فـدعنـي والأَسَى ... أشتفي منــه وأقـضي الـوطـرا
إن أوفَـى النـاسِ حبـاً كَـلِفٌ ... ظــلَّ فيــه بــالأسى مشتـهـرا
فعصى العــاذلَ فيمـا قـد نهى ... وأطــاع الشــوقَ فيـمـا أمــرا

ولـه يصف ضيق يده من مساعدة صديقه فيما يقوم بأوده:

ولي مـالٌ من يَغْنَـى بـه فيَكُفُّـهُ ... ويعجِـزُ عن برِّ الصـديقِ الملاطفِ
فلا البخلُ أرضـاهُ ولا الجودُ انتهى ... إليــه لقـد أُوقفتُ شـرَّ المـواقف
وما حيلة الحرِّ المسـاعفِ إن سعى ... ولم يلقَ حـظاً من زمـانٍ مسـاعف

ولـه في الشيب من قصيدة:

أسـاء صنيعـاً شيبُـهُ بشبـابِـهِ ... وأوقف خُـطَّابَ الخـطوبِ ببـابِـهِ
تجنبـه الأحبـابُ من غيـر زَلَّـةٍ ... سوى ما تبـدى من نصول خضـابه
ومـا إن وَشَى واشٍ بـه فـأجبتُـهُ ... ولكنَّ شَيْبَ العـارضين وَشَى بـه
ومن كـانت الخمسون منه قـريبـةً ... تبـاعـدَ عن نيـل المنى بـاقتـرابِـهِ
بنفسي شبـابٌ بـان غيـرَ مُذَمَّـمٍ ... ووكَّـلَ قلبي بـالأسى وعـذابـه
فيـا ليت إذ ولَّى تـولى بجـرمـه ... وأبـرأني من مـوبقـاتِ احتقـابـه
ولكنـه أبقـانيَ الـدهـرَ بعـده ... لـعفـوِ إلٰهي أو لـمسِّ عـقـابـه
عـدمتُ الأماني فـاجتزيت بـدونها ... ومن عَـدِمَ الماء اجتـزا بتـرابـه

ولـه في الزهد:

يـا رَبِّ صفحـاً وغفـرانـاً ومعـذرةً ... لمـذنب كثرتْ منـه المعاذيـر
يُبكيـه إجـرامـه طـوراً وَيُضْحِكُـهُ ... رجـاؤه فهـو محـزون ومسـرور

***

136 ـ أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد المنعم الفقيه[1]

ذكر أنه كاتب شاعر بارع ماهر مهندس منجم، لغارب الفصاحة متسنم،

(1) الخريدة وتاريخ الحكماء للزوزني وأثنى على معرفته بعلمي الهندسة والنجوم، والقفطي أخبار الحكماء: 289 ومرآة الزمان.

وفي ملتقى أولي العلم كميٌّ معلم، وقد أورد من شعره ما يهز أعطاف القلوب مراحاً، ويدير على الأسماع من الرحيق المختوم راحاً.

ولـه من قصيدة:

أفشى هـواهُ بـأدمـعِ الأجفـانِ ... وأبتْ عليـه مـطالـبُ الكـتمـانِ
رام التجمـلَ للوشـاةِ فلم يُـطِقْ ... فعصى النصيحَ ولجَّ في العصيـان
عَنَّتْ لـه فـأَرَتْـهُ بـدراً طـالعـاً ... من فـوق غصن بـان في كثبـان
هيفـاء يحسـدُ جيـدَهـا ريمُ الفـلا ... ظلمـاً ويغبط وَجْهَهَـا القـمـران

ومنهـا:

سَـلَبَتْ نُـهَـاهُ وأورطَتْـهُ تـعمّـداً ... في فتنـة من لـحـظهـا الفـتـان
إنـي ابتـليت بـحبهـا وأجبتـه ... لمـا بـدا لي شَخْصُـهُ ودعـاني
فَلَهِيتُ من وَلَهي العظيم عن النهى ... وسلوتُ من شَغَفـي عن الـسلوان
قـولي لهـا مـا تـأمـرين لمـدنف ... كـلفٍ بحبـك هـائـمٍ حيـران
سَنـةً لـه لم يـدرِ مـا سِنَـةُ الكـرى ... بلقـا أسنـةِ طـرفِـكِ الـوسنـان
أبليتُ طـوعـاً في المحبـة جِـدَّتي ... ورضيتُ قسـراً في الهوى بهـواني
وصرفتُ نحو هوى الملاحِ تصرفي ... وسـرحتُ في ميـدانهن عنـانـي
حتى تـبيَّـنَ لي الـصـوابُ وأنـنـي ... أفنيتُ في طلب الضـلال زمـاني
فتـركتُ لهوي واطَّـرَحْتُ مَجَـانتي ... وجفـوتُ مَنْ نَبَـذَ الهـوى وجفـاني

ولـه من قصيدة:

كتمتُ الذي بي فانتفعتُ بكتماني ... وأعلنتُ حـالي فاتُّهِمْتُ بـإعـلاني
وما خِلْتُ أن الأمرَ يُفْضي إلى الذي ... رأيتُ ولكن كـلُّ شيءٍ يُـرَى داني

ولــه:

لا تــعــذلـوهُ فـإنــه مـفـتـونُ ... سَلَبَتْ نُهـاهُ مَهَـا القصـورِ العِينُ

بــرزتْ فتــاةٌ منهمُ فــي خــدهــا وَرْدٌ وفـي وجنـاتِهَـا نسـريـن
في طـرفهـا سَقَمٌ وفي ألحـاظهـا غُنْـجٌ وفي تلك المعـاطفِ لـين
غَنَّتْ لــه وتبختــرتْ في مشيهـا فـأرتْ غصـونَ البـان كيف تلين
وتـرجـرجت أردافُهَـا فـرأى بهـا كيف الـتقـى كُثْبـانُهـا يَبْـرِينُ
ولـو أنها سَفَـرَتْ فـأبـدت وجههـا لأرتْ ضيـاءَ الصبـح كيف يبين
أنسيتِ ليلتنـا وقـد خَلُصَ الهـوى منّـا وحبـلُ الـوصـلِ وهــو متين
بتنــا على فُـرُشِ العفــافِ وبيننـا نجـوَى تـرقّ لهـا الصفـا وتلين
والليــلُ كـالـزنجيِّ شُـدَّ وثــاقـه والـنـجـمُ مُـطَّلعٌ عـليـه أمــين

ومنهـا في المدح :

هـذا الـذي جــدواه سبعـةُ أبحـرٍ [سـعــةً] ولكـن مــاؤهنَّ مـعـين
ذو هـيـبـةٍ كــالـلـيـث إلا أنــه مـتــودِّدٌ ولــه النـفــوس عــريـن
بَــرٌّ فليس الـوعــدُ منــه بمخلف أبــداً وليس العهــدُ منــه يخـون
فــوليّــه في الأكـبـرينَ مـعـظَّمٌ وعــدوه فـي الأصغَــريـن مَهـين
ولـه إلى الفعـلِ الجميـلِ تـوثّبٌ ولـه عن القـولِ القبيـحِ سكـون
فــالــظلُّ لا مـتـنـقــلٌ والــودّ لا مـتـكــدِّرٌ والــمـنُّ لا مـمـنــون
خـلقٌ كـنــوّارِ الـحــدائقِ زاهــرٌ وحجىً كـأعـلامِ الجبـالِ رصين
وحـمـيــةٌ تــولــي الأذلَّــةَ عــزةً وتـعـلِّمُ الأيــامَ كـيـف تـكــون
ونصيحــةٌ للّهِ يـوضِــحُ نُــورُهـا ظُلَمَ الشكــوكِ إذا دجت فـتبين

ولـه في الغزل ويغنى به :

مــولاي يــا نــورَ قلبي ونــورَ كــلِّ الـقــلوب
أمــا تـرى مــا بجسمي مــن دقــةٍ وشـحــوب
ومــا تـداخــلَ قـلبـي من لــوعــةٍ ووجـيـب
فـلمْ بخلـتَ بــوصـلي ولـيس لـي من ذنــوب

فـإن يـكـنْ لـيَ ذنـب ... فـأنـت فيـه حـسيـبي
ومـحـنـتي فـيـكَ جَلَّتْ ... عـن فهـمِ كـلِّ لبـيـب
ومـا لـسـقـمي شـفـاءٌ ... ولا لـه مـن طـبـيـب
ولا لـدائـي دواءٌ ... إلا وصـالُ الـحـبـيـب
مـولاي إن ذبتُ عشقاً ... فـليس ذا بـعـجـيـب
بَـرِّدْ غـلـيـلَ فـؤادي ... بـزورةٍ عـن قـريـب
فـفي صـمـيـمِ فـؤادي ... جـهـنـمٌ فـي الـلهـيـب

ولـه:

بمهجتي ظبيُ خِـدْرٍ زار مُكْتتمـاً ... فـردَّ روحي إلى جسمي وما علمـا
أبدَى القبولَ مـع الإقبال حين بـدا ... وقـدَّم البشـر والتسليمَ إذ قـدمـا
فقلتُ مـولاي صلْ من شَفَّـهُ سقم ... فجـاد لي بوصـالٍ اذهب السقمـا
فعـاد شكِّي يقينـاً فـي زيـارتـه ... فلو تـرحَّـلَ عن عيني لمـا عـدِمَـا

ولـه في المعنى:

أتانيَ من أهوى على [غيـرِ] موعـدٍ ... فخيَّـل لي أن الـزيـارةَ في الحلمِ
تبختر في الأرداف كالغُصْنِ في النقا ... ولاح على الأزرارِ كـالقمـر التـم
خضعتُ له والذلُّ من شِيَمِ الهوى ... فـأسعدَ في التقبيـل والضمِّ واللثم
وأطلعتُـهُ عمـداً على مـا يُجِنُّـهُ ... جَناني من البلوى وجسمي من السقم
فـأشفقَ من حـالي ورقَّ لـذلتي ... وجاد بوصلٍ ردَّ روحي إلى جسمي
ولما مضى فكَّرتُ في كلِّ ما انقضى ... فصـار يقيني فيـه أثبتَ من وهمي

ولـه:

جـاد بـاليـاسمين والـوردِ خَـدٌّ ... وجَنَى الأقحـوانِ والخمـرِ ثغـر
أنـا والـلّه عـاشـقٌ لـكَ حـتـى ... ليس لي عنكَ يا مُنَى النفسِ صبـر

فحيـاتي إن تمَّ لي منـك وصـلٌ ومـمـاتي إن دام لي منـكَ هجـر

ولـه:

بـأبـي ظـبـيٌ مـليـحٌ فـائـق بـابـليُّ اللحظِ غـصنِيُّ الـقَـوَامْ
عسليُّ الـريق خمـريّ الـهـوى لـؤلـؤيّ الـثـغـر دُرِيّ الـكـلام
إن تثنى مـاس غصنـاً في نـقـا أو تـبـدَّى لاح بـدراً فـي تـمـام
حُـزْتُ إذ نـادمني مـن وجـهـه دعـوَةً تـمـتْ بـروضٍ وَمُـدام
وخـشـيـتُ الـبـيـن إذ ودعـني فـانثنى يـومَ وداعي بـالـسـلام

ولـه من المراثي ما يحل للقيام حُبَى المستمعِ الجاثي، فمنه قوله من قصيدة طويلة:

عـزَّ العـزاءُ وجـلَّ البينُ والجـزعُ وحـلَّ بـالنفس منـه فـوقَ مـا تَسَع
يا عينُ جودي بدمـعٍ خـالص ودمٍ فمـا عليـكِ لهـذا الـرزء مُمْتَنَـعُ
فـالجسمُ ينحلُ والأنفـاسُ خـافتـةٌ والقلبُ يخفقُ والأحشـاء تنصـدع
كوني على الحزن لي ياعينُ مسعدةً فـإن قـلبي لـمـا تـأتيـنـه تبـع

ومنهـا:

وكانت الأرضُ لا تحوي محـاسنه وقدحوى شَخْصَهُ اللحدُ الذي وضعوا
من لليتـامَى وأبنـاءِ السبيـل وهم قـد ارتَوَوْا من أيـاديـه وقـد شَبِعُـوا
بُعْـداً ليـومٍ أتـاه المـوت فيـه فمـا بـه لـذي بصـر من بعـدُ مُـطَّلع
بَكَتْهُ شمسُ ضحاهُ واختفتْ جـزعاً وألفيتْ تحت سِتْـرِ الغَيْمِ تَـطَّلِعُ
سَعَـوا مشاةً وهم في الـزيِّ أغربـةٌ مُـسْـوَدَّةٌ من وراءِ الـنعش تـتبـع
ولم يكن لهم بـالعهـدِ من فَـرَحٍ ولا لهم في التسلي بعـده طَمَـعُ
لـو يُفْتَـدى لافتـدتـه من عشيـرتِـهِ ذوو الحفيـظةِ والأنصـارُ والشِّيَـعُ
لكنَّ مَنْ غـالَـهُ المـوتُ المحتَّم لا يُفْدَى ولا من ينوبُ الخـطبُ يُنْتَزَعُ

جاءت ملائكةُ الرضوان مُعْلِمَةً بأنه لجنانِ الخلد مرتفع
وقد أعَدَّتْ له أعمالُهُ غُرَفاً فيها لأنفسِ أهلِ الفضل مرتبع
الموتُ وِرْدٌ وكلُّ الناسِ وَارِدُهُ وقد رأوه عياناً بعدما سمعوا
ما بالهم شعروا بالموتِ أنهمُ سَفْرٌ وهم باقتناءِ الزاد ما شرعوا
نالوا مغبةَ ما قد قَدَّمُوهُ له فِعلاً به حَصُدوا منه الذي زرعوا
يا فجعةً لم تَدَعْ في العيشِ من أَرَبٍ وغصةً في لهاةٍ ليس تبتلع
أضرمت ناراً على الأحشاءِ موصدَةً أكبادنا في لظى أنفاسِهَا قطع

ومنها:

بني لبانَةَ إن اللّه فَضَّلَكُمْ على الورى فبكمْ في الدهر ينتفع
آراؤكم ذوي الإرشادِ مُرشِدَةٌ وجودكم لذوي الإكثار مُنْتَجَعُ
وقدركم قد سما عزاً مدى زُحَلٍ وجاهكم في ذَرَاه الخلقُ قد رتعوا

وقوله من قصيدة أخرى استهلالاً:

شهابُ المنايا من سماء الرضا انقضَّا وركنُ المعالي والجلالِ بك انفضَّا

ومنها:

بَكَتْهُ المذاكي المقربات وقطعت شكائِمَهَا منه وأعدمت الركضا
مَشَتْ وهي بين الخيل انزرها دماً وأبرزُها جسماً وأهزلها نحضا
وكادت سيوفُ الهند تندقّ حسرةً وأجفانها تنشقُّ عنها لكي تنضى
وَخطّ على الخطية الرزءُ أحرفاً أرادتْ لها خفضاً فحوّلها حفضا
شهدنا على قرب بمشهدِ موته مشاهدَ لم تخطِ القيامة والعرضا

ومنها:

أعاد سرورَ العيدِ حزناً مماتُهُ وَمُبْرَمِ أمرٍ فيه حَوّله نِقْضَا

فما أحد وافى المصلى ضحى ولا دجىً أبصرت [من] هَمِّه عَيْنُهُ غُمْضَا

ومنهـا:

ألا لا يمت من كـان خلَّف بعـده أخـاه علياً إذ إليـه العـلا أفضى
أحبُّ محبٌّ للفضـائـل كلِّهـا وأفضلُ إنسان على كسبها حضا

ومنهـا:

تَعَزَّوا فإن الموتَ حتمٌ على الورى توافي به الآجالُ في الوقت إذ يُقْضَى
لكم أسوةٌ في المصطفى وصحابِهِ وقدماً قفا آثارهم فقضَى الفرضا
لقـد مـات فيـه عـدّة أيّ عـدة لنا فعدمنا كلَّ عيش به يرضى
وأبصارنا كانت تَسامَى له وقد غدا الكلُّ منا طرفُهُ اليومَ قد أغضى
وقد كان طرفي ليس يُغْضِي على القَذَى فأضحى على أقذائِهِ اليومَ قد أغضى

ومن شعره المودع رسائله قوله في وصف كتاب:

تضـوَّع منه إذ فضضتُ ختـامَهُ نسيمُ فتيتِ المسك والعودِ والندِّ
ونزهتُ طرفي في حدائقَ أزهرت بها زهرةُ السّوسان والآس والوردِ
وصفحةُ نورٍ من نهار دَجَتْ بها سطورُ ظلامٍ حالك اللونِ مسود
وطالعتُ ألفاظاً يواقيتَ نُظِّمَتْ مع الجوهرِ المكنون والدرِّ في عقد
يزيلُ الضَّنَى عن ذي السقام مرورها به بل يقيمُ الميتَ من رَقْدَةِ اللحد

ومنهـا:

مضمنةٌ من علمِ أحوالـه الذي يَسُرُّ سرورَ الوصلِ في زَمَنِ الصدِّ

ولـه صدر رسالة:

يا حالَ حالٍ بسقمِ النفسِ والجسدِ تذودُ عن وِردِ ماءِ الأمْنِ والرَّشَدِ
قد قيدته الليالي عن تَصَرُّفِهِ إلى النجاةِ بقيد الأهلِ والولد

ولــو أمنتُ عليهم بعـدَ منصــرفي ... صَرْفَ الليالي لقوّتْ عزمتي جَلَد [ي]

من بعــدِ نعمــةَ لم تنعمْ بـلذتهــا ... نفسي ولا بَـرَّدَتْ من لوعـةٍ كبـدي

قـد أسّس البينُ عندي منـزِلَيْ وَلَـهٍ ... بمهجتي للجــوى والعينِ للسهـد

وأرَّقَ البعــدُ جـفنـي ثم فــرقـني ... فــالجسمُ في بلدٍ والـروحُ في بلد

أخي ومـولاي علَّ الـدهر يجمعنـا ... بمنـزلٍ عن جميـع الـسـوء مبتعـد

شوقي إلى لقائك شوقُ الظمآنِ إلى الماء الزلال، وارتياحي إلى ما يرد من تلقائك ارتياحُ السقيمِ إلى الصحة والإبلال، وتلهفي على فراقك [تلهفُ] الحيـرانِ، وتأسفي على بعـدك تأسفُ الـولهان، لكن إذا رجعتُ إلى شـاهد العقل، وعدلتُ إلى طريقِ العدل، يمازجُ قلبي سروراً، ويخالطُ شوقي بهجةً وحبوراً، بما ألهمك الله تعالى إليه من صفاء النية والإخلاص، والظفر بأملِ النجاة والخلاص، فأتلو عند ذلـك ﴿يا ليتني كنتُ معهم فأفوز فوزاً عظيماً﴾ ثم أرجع إلى قول النبي ﷺ: «الإيمـان بالقـدر يُذْهِبُ الهمَّ والحـزن» فأعلم أن الأمور كلها مقدورة، وأنها في اللوح مسطورة، فأفزع إلى الدعاء لمقدر الأمور، الذي يعلم خائنةَ الأعين وما تخفي الصدور، أن يحسن لنا العقبى ويقضي لنا بالحسنى، ويسبل علينا من العافية ستراً سابغاً ضافياً، ويوردنا من السلامة مورداً سائغاً صافياً، وأن يقرب بك الاجتماع، حيث يوجد الاستمتاع بما تقر به وتلذ الأسماع.

فصل من رسالة أخرى في العتب:

قد عاملني في شاهد هذه الأيام، التي قمعتِ الخاصَّ والعامَّ، بأشياءَ لو جَرَتْ بيني وبينه على خلوة لعددتها من لذيذ الأنس، لكنها أتت في الملام بما آلم النفس، واحتملتُ ذلك منه رجاءَ أن يقلع عنه فازداد لجاجـة، وازددت حراجة، حتى استفحل البغاة عليَّ بسبب ذلك المزاح، واستنسر البغاثُ إليَّ وهزُّوا الجناحَ، ولو شئتُ حينئذ لعرَّفْتُ كلَّ واحدٍ بما جهله من أبوته وقيمته، وأعلمته بما لم يعلمه من خُلُقِهِ وشيمته:

فـمـن جـهـلت نـفـسُــهُ قَــدْرَهُ ... رأى غـيــرُهُ فـيــه مــا لا يــرى

لكنني أغضيتُ على مُوجِعِ القذى، وصبرتُ على مُفْجِع الأذى.

وأعرضتُ عن أشياءَ لـو شئتُ قلتها ... ولـو قُلْتُهَا لم أُبْقِ للصلحِ موضعا

وأنا أحرص على صحبته ممن يرعاها حق رعايتها، وأروم حفظ ذلك بالمحافظة على ما سلف بيننا من المصافاة، والاعتداد بما له في قلبي من الحقوق المثبتة بخالص المؤاخاة، وأطرح ما أعاين من الزلات والهفوات، فأحب أن يحسن الظن بي والذكر عني، فإنْ فَعَلَ ذلك فَعَلَ الأشكلَ به والأليقَ بأدبه، والأولى بجميل مذهبه. وقد أطفأت عن قلبي هذه المعاتبة ناراً موصدة، وبردت من صدري غلة موقدة.

فصل من أخرى:

مسترَقّ أياديها يرغب إلى شريف معاليها، أن تُحِلَّهُ من نفسها النفيسة محلَّ المصطَفَيْنَ المخْلَصين، وتنزله من حضرتها الرئيسة منزلة الأولياء المختصين، فإن غَرْسَ فضلها السابقِ إليه أثمرَ عنده شكراً وحمداً، وأتيت لديه محبةً ووداً، وهو يُقْسم بالله العظيم، إنه من موالاتها لعلى صراط مستقيم، ومن الإقرار بفضلها لعلى منهج قويم، ومن الدعاء لها لعلى حال مقيم؛ وكيف لا يكون كذلك وقد صيره سالف إحسانها في الرق، وملكه فارط امتنانها ملكَ مستحق، فهو لا يخلي من جميل شكرها لساناً، ولا يفتر من خلوصِ ودها جناناً.

* * *

137 ـ محمد بن محمد يعرف بابن الثيرى القرطبي(1)

معظم ما يذكره ابن بشرون في «المختار» من الأندلسيين يرويه عنه، ويذكر أنه لقيه في مدينة صقلية لمتملكها رجار الإفرنجي [وألف له] في مسالك الأرض

(1) هو أبو عبد الله محمد الإدريسي الجغرافي صاحب رجار؛ (الخريدة).

وممالكها كتاباً سماه «نزهة المشتاق في مخترق الآفاق»، ثم ألف بعده لولده غليالم صاحب صقلية كتاباً في المعنى أكبر منه سماه «روض الأنس ونزهة النفس»، ووصفه ابن بشرون بتوليد المعاني في الشعر وتجويدها، وتوطيد المباني في السحر وتشييدها، لا سيما في توشية التوشيح، وتوسيع نظمه المليح، فإنه حاذق زمانه وسابق ميدانه، وهو قريب في عصرنا هذا؛ وقد أورد من شعره ما يروع ويروق، ويضوع ويفوق، ويطرب ويشوق، وتحسده عقود العقيان والعيوق، وتصف مرحه ووهجه الرحيق والحريق، فمن ذلك قوله:

وزائرٍ زارَ في الظلماء إذْ هجعَتْ ... عينُ الرقيبِ ولم يشعرْ بنا بشرُ
فقلتُ أهلاً وسهلاً قال من دهش ... دعني من القول إني خائفٌ حَذِر
فقلتُ لا خوف إنّ الحيَّ قد رقدوا ... والليل محلولكُ الأرجاءِ مُعتَكر
ثم اعتنقنا كغصنَيْ بانةٍ وفمي ... بين الترائبِ أشكو وهو مُعتذِر
حتى إذا نمَّ واشي الفجرِ قام وقد ... خاف الفضيحة مغتاظاً له ضَجَر
وقال لما اعتنقنا للوداعِ وقد ... رأى التياعي ودمعي مُسبلٌ هَمِر
لا تبكِ عيناك بعدي سوف يُضحكُها ... مني اقترابٌ وزوراتٌ لنا أُخَر
ثم افترقنا ولو أُعطى الخيار به ... لما افترقنا ولكن عاقنا القَدَر

وقوله:

كم ليلةٍ جمعَتْنا دارُ بارقةٍ ... في عُصبةٍ من ذوي الأخطار والرُّتَبِ
حيَّتْهم الراحُ في ثوبٍ مُعصفَرَةً ... وقلّدَتْ جيدَها عقداً من الحبَبِ
بِتْنا بها والرحيقُ الصِّرفُ يَصرعُنا ... بين الجداولِ والأنهارِ والعُشُبِ
حتى أتى الصبحُ في جيشِ النهارِوقد ... ولَّتْ عساكرُ ليلٍ جدَّ في الهَرَبِ
قُمنا حيارَى نُديرُ الكاسَ ثانيةً ... بقهوةٍ ترتمي للمزجِ باللهَبِ
إلى عِشاءِ نهارٍ عِيبَ آخرُهُ ... بفُرقَةٍ سلبتْنا بُردَةَ الطَّرَبِ

وقوله من أخرى:

بأبي الذي أذكى الجوانحَ ناراً ... ووفى فوافى في الظلام وَزَارا

متحمِّلاً من صِرفِ راحٍ شمسُهُ ... صفراءُ يخطِفُ نورُها الأبصارا
ناولْتُهُ كأساً فظلَّ يَشجُّها ... مُتمزِّزاً بمذاقها إظهارا
ثم استمرَّ يُسيغُها وكأنّه ... ينوي العتابَ ويُؤثِرُ الاسرارا
حتى إذا لَوَتِ المدامُ بعقلِهِ ... وَسطا به والي الخمار وجارا
نَبذَ الوقارَ وقام يَثني طَرْفَهُ ... غضباً وأعلنَ بالعتاب جهارا
ما زال يسقيني مُدامةَ عتبِهِ ... حتى سكرتُ وما شربتُ عُقارا
ونوى المسيرَ فلم تُجبْهُ لِسيره ... قدمٌ وقيَّدَهُ الخُمار عِثارا
قبَّلْتُ أخمصَ نعلِهِ وصدَدْتُهُ ... عما أرادَ من المسيرِ وَخَارا

وقوله:

حتى إذا ما الليلُ شَمَّرَ ذيلَهُ ... وغدا الصباحُ يُضاحكُ الأنوارا
نبّهْتُهُ من نومه وكأنّه ... شمسٌ تجلَّتْ للعيونِ نهارا
أعلمتُه ما كان منه بسكرِهِ ... فأتى الجحودَ ولازمَ الإنكارا
وأجابَ يمزحُ عند آخرِ قولِهِ ... من حَبَّ ذَلَّ ومن تَعزَّزْ جارا

وقوله في لزوم ما لا يلزم:

أفدِي التي زارَتْ وجِنْحُ الدُّجَى ... منسدلٌ تخطو بنا سَارِيَهْ
أثقلَها المشيُ فلاحَتْ لنا ... كأنّها في ذاتِها سارِيَهْ
قلتُ لها أمزحُ من أنتِ ذي ... قالَتْ أنا جئتُكَ من سارِيَهْ
فبِتُّ مسروراً بها ليلتي ... والجوُّ صافٍ ما به ساريه

وقوله في الزهد:

أرى كلَّ يومٍ للمقيمينَ رحلةً ... ولا شكَّ أني فيهُمُ سوف أرحلُ
وليس معي زادٌ أُعِدُّ لرحلتي ... ولا لي جوابٌ عندما أنا أسألُ
وعندي ذنوبٌ لا أقومُ بِعدِّها ... يَقِلُّ لها وزنُ الجبالِ وَتثقُلُ

وليس سوى عفوِ الإلَهِ فإنه كريمٌ له عند الرجوعِ التفضُّلُ

***

138 ـ أبو بكر محمد بن يونس الصقلي[1]

ويقال أبو عبد الله؛ كان فقيهاً فرضياً حاسباً أخذ عن القاضي أبي الحسن الحصائري وعتيق بن الفرضي وأبي بكر ابن أبي العباس، وكان ملازماً للجهاد موصوفاً بالنجدة. وألف كتاباً في الفرائض وشرحاً كبيراً «للمدونة» عليه اعتماد الطالبين بالغرب للمذاكرة.

***

139 ـ الأمير مستخلص الدولة عبد الرحمن بن الحسن الكلبي[2]

له في بعض الكتاب:

نحن كلانا يضمنا أدبٌ حُرْمَتُنا فيه حرمةُ النسبِ
فعدِّ عمَّن معناكَ خالفَهُ في كلِّ فنٍّ تسلمْ من العَتَبِ
واجنحْ إلينا فإن أُلفتنا تدفعُ باليُمْنِ حُرْفَةَ الأدب

وقوله:

قلت يوماً لها وقد أحرجتني قولةً ما قَدَرْتُ أنفكُّ عنها
أشتهي لو ملكتُ أمركِ حتى آمرَ الآن فيك قهراً وأنهى
فبكت ثم أعرضتْ ثم قالت خُنْتَنِي في محبَّةٍ لم أخنها
قلتُ إن أنتِ لم تجودي بوصلٍ فالمنى ما عليكِ [ما نلتُ] منها

***

(1) ترتيب المدارك 8: 114.

(2) من الخريدة.

140 ـ أبو الفضل مشرف بن راشد[1]

ولـه:

سَـرَتْ ورداءُ الليلِ أسحمُ حـالكُ ... ولا سـائـرٌ إلا النجـومُ الشـوابـكُ
عشيَّـةَ أعشى الدمـعُ إنسانَ مقلتي ... ونمت بأسراري الدموعُ السـوافك
وطاف الكرى بالطرفِ وهومُحَجَّبٌ ... كما طاف بالبيتِ المحجبِ ناسك
سرت موهنـاً ثم استبانت فـودَّعَتْ ... يجـاذبها حقفٌ من الـرملِ عـاتك
بـه غُصْنُ بـانٍ أثمـر البـدرَ طـالعـاً ... عليـه قناعٌ من دجى الليلِ حالك
غريبةُ حُسْنٍ يَحْسُنُ الهجـرُ عندهـا ... وأَعْجِبْ بهـا محبوبـةً وهي فـاتـك
وأحورَ مكحولِ المـدامعِ عـاقني ... عن الصبر فاستـولتْ عليه مهـالك
رعى اللّه أكنـافَ الجزيـرة إذ رعى ... سوائمها [عَضْبٌ] الغرارينِ باتـك
يشيـدُ أعـاديــه الحصـونَ منيعـةً ... وهـل مَنَعَ الأفشينَ مـا شاد بـابك
وإني لآتي الـحقَّ فيمـا أقـولــه ... ومـا أنـا فيمـا يعلم اللّه نـابـك
شهـدتُ لقـد حـاز العُـلاَ بيمينـه ... غـداةَ تصداه الـردَى وهو ضـاحك
ليـوثُ وغىً أذكت خلالَ ضلوعهـا ... لهيبـاً أنـارتـه لهنَّ الحســائـك

ومنهـا يصف القتلى وطابق أربعة في بيت واحد:

فـأقصاهمُ رضـوانُ عن رَوْحِ جنـةٍ ... وأدنـاهمُ من نفحـةِ النـار مـالـك

وأنا أقول إن كان قد طابق ولكن في البيت اضطراب بيِّن من قبل المطابقة فأمعن النظر فيه.

ولـه من أخرى:

للتـلاقي يـهـونُ مـا قـد أُلاقِي ... مـن سـهـادٍ وعـبـرةٍ واشـتـيـاقِ

---

(1) من الخريدة.

لــو تـخـلـصـتُ لـلقــاء لأطــفــأ ... تُ غـليلي بـدمـعـيَ الـمـهــراق
فــدمــوعُ الفــراقِ كـالنــارِ حــرّاً ... وكــذا ضـدهــا دمــوعُ التــلاق
كـنتُ فـي غبــطةٍ وطـيبِ حيــاةٍ ... لــو وقــاني من سَـطْوَةِ البينِ واق
كم قـطعتُ الدجى بـوصلِ حبيبٍ ... وَسَّـعَ العيشَ منـه ضيقُ العنــاق
آه من صبــوتي التي لم تـدعـني ... نــازعــاً من صبــابــةِ العشــاق

ولــه من أخرى:

أيهــا الغصنُ لِنْ فعـطفُـكَ غضٌّ ... وليكـنْ منــك لـلقــطيعــةِ رَفْضُ
واجــزِ ودي بـمثله ودع الـشُّـحْـ ... ـطَ وَعُــدْ للرضى فـللختـمِ فَضّ
يــا شقيقَ الفؤادِ حكـمُــكَ جَـوْرٌ ... لــكَ مني حبٌّ ولي مـنـكَ بغض
نم هنيئــاً فمــا دنــا من جفــوني ... مــذ تناءيتَ عن جفــونيَ غمض
غــيــر أنــي إذا تــأخَّــرَ حــظي ... منــكَ والــدمــعُ واكفٌ مُــرْفَضّ
كان لي مدحُ صاحبِ الخُمْسِ إبْرا ... هيمَ حــظاً لـه على الفخــرِ حض

ولـــه:

مــا لـلحبيب ومــالـي ... تفــديهِ نفسي ومــالي
أريــدُ عــنــه ســلوا ... فــإن بــدا لي بــدا لي

ولـــه:

بـثـنــايــاكَ الـعــذابِ ... لا تُــطِلْ فيك عــذابي
كن رحيمــاً بي رفـيقــاً ... واجعـلِ الوصلَ ثوابي
لا يـغـــرَّنَّــكَ صبــري ... واحتمـالي منك مـا بي
فــالأسى بين ضلوعـي ... والـضنــا بـين ثـيــابـي

ولـــه في مغن:

غـنـى فـكـدَّ وعـنَّـى ... مــني فـؤاداً مُـعَـنَّـى

فـقـلـتُ ما ذا غـنـاء تـنـحَّ بـالله عـنـا

ولـه:

مـا روضـةٌ بـالحَـزْنِ ممـطورةٌ لـم تنتـهـبـهـا أعـيـنُ الـنـاسِ
بكى عليهـا الغيثُ فـاستضحكتْ عـن نرجـسٍ غضٍّ وعـن آس
أحـسـنُ مـن وجـهِ أبـي طـاهـر وإن رَمَـى قـلـبـي بـوسـواس

ولـه في صفة الليل الطويل:

وليـلٍ كـأنَّ الحشـرَ أولُ سـاعـةٍ بـه بتُّـهُ والصبـرُ ليس بنـافعي
غنـائي به لحنُ الثقيـلِ من الأسى وشربي وإن أظمتْ كؤوس مدامعي
فيـا لكَ من ليـلٍ أضـاق مـذاهبي وإن بتّ في ثوبٍ من الحزن واسع

***

141 ــ أبو العرب مصعب بن محمد بن أبي الفرات القرشي الصقلي[1]

ولد بصقلية في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، وخرج عنها لما تغلب الروم عليها في سنة أربع وستين وأربعمائة، قاصداً للمعتمد بن عباد. قـال

---

(1) دخل إشبيلة في شهر ربيع الأول من السنة التالية (465) وكان إلى شهرته بالشعر عالماً بالأدب، روى عنه بعض الأندلسيين كتاب «أدب الكتاب» لابن قتيبة، وبعد أن سجن المعتمد لحق بناصر الدولة صاحب ميورقة وبقي فيها إلى أن توفي. ويذكر ابن الأبار أنه توفي سنة 506 إلا أن ابن الصيرفي يقول: وبلغني في سنة سبع وخمسمائة أنه حي بالأندلس؛ وقبره وقبر ابن اللبانة بميورقة كانا متجاورين، وكان هو رجلاً طوالاً بينما كان ابن اللبانة دحداحاً (التكملة: 411). (انظر ترجمته في التكملة: 703، والخريدة 2: 219، والسلفي: 68، 138، والمسالك: 456، وابن خلكان 3: 334، وعيون التواريخ 12: 16 (نقلاً عن الذخيرة)، ورايات المبرزين: 111 والمغرب (قسم صقلية) وله ذكر في النفح وبدائع البدائه والمنازل والديار: 128/أ، وعنوان الأريب 1: 123.

أبو القاسم علي بن منجب في تعليقه: وبلغني في سنة سبع وخمسمائة أنه حي بالأندلس. وكان لساناً بهذا الأفق عن العرب أعرب، وكوكباً من المشرق غرب، ولم يقع إليَّ عند إكمال هذا الديوان، وإخراجه من الخبر إلى العيان، من شعره، إلا ما لا يكاد يُعْرِبُ عن قدره. ومن أشهر خبرٍ بلغني عنه[1] أنه حضر يوماً مجلس المعتمد، وقد أدخل إليه جملةً وافرة من دنانير الفضة، فأمر له بخريطتين منها، وبين يديه تصاوير عنبر من جملتها صورة جَمَلٍ مرصَّع بنفيس الجوهر، فقال له أبو العرب على البديهة معرّضاً: ما يحملُ هذه الدنانير - أيدك الله - إلا جمل، فتبسم المعتمد وأمر له به، فقال أبو العرب على البديهة:

أَجْدَيتني جَمَلاً جوناً شفعتَ به ... حِمْلاً من الفضة البيضاءِ لو حُمِلا
سماحُ جودِكَ في أعطانِ مكرمةٍ ... لا قد يَعْرفُ من منعٍ ولا عُقِلا
فاعجبْ لشاني فشاني كلُّهُ عَجَبٌ ... رفهتني فحملتُ الحملَ والجملا

فطارت يومئذ بهذا الخبر الركائب، وتهادته المشارق والمغارب، وذكرته شعراء الوقت، ورأيت في ذلك عدة قصائد لغير واحد، ولم أحفظ منها إلا قول بعضهم ممن وفد أيضاً على المعتمد، من جملة قصيدة استبردت بجملتها، قال فيها:

يا من بجودِ يديه يُضْرَبُ المثلُ ... ومن مواهبه الأمصارُ والدولُ
بحدِّ جودك في جَنْبِ اللها أبداً ... يا حاتمَ الجود جُرْحٌ ليس يندمل
عند ابن حمادَ في ذاك المكانِ على ... بُعْدِ المسافةِ والأخبارِ تنتقل
جرى حديثُ الصقليِّ المثابِ على ... شعرٍ فصار إليه الحملُ والجمل

ومن شعر أبي العرب في المعتمد قصيدة أولها:

لولا السُّرَى في ذِمامِ الصارمِ الذكر ... لم أطرُقِ الحيَّ في أمرٍ على خَطَرِ

(1) وردت هذه القصة والأبيات في المسالك والرايات وبدائع البدائه: 372، والنفح 3: 569، 4: 260، 261 وعيون التواريخ.

مـا الباردُ العـذب مـورداً على ظمـأٍ أشهى إلى الصبِّ من وَصْلٍ على حَذَرِ
قالت تجشمتَ في سبل الهـوى غَرَراً قلتُ المتيـم مقـدامٌ عـلى الغـرر
لا كـالهَيُـوبِ حَمَاهُ الخـوفُ بغيتَـهُ تهيَّبَ الـوردَ حتى عـاد بـالصَّـدَر
تـوقَّ رقـبـةَ أعـداءٍ عـيـونُـهُـمُ أذكى من الزُّرْقِ في الخطِّيةِ السمر
قلت اليمـاني حليفي مـا يفـارقني [إني] بغيـرِ اليمـاني غيـر منتصـر
رضيتُـهُ دونَ إخـوانِ الصفـاءِ أخـاً مـا غيَّـرتْـهُ صـروفُ جَمَّـةُ الغيـر
لاح السنا فانبـرتْ من ساعـدي فرقـاً تجـرُّ ذيـلاً يعـفِّي شـاهـدَ الأثـر
صـدّ كـوحشيـةٍ همَّ الأنيسُ بـهـا إلا التفـاتـاً بجيـدِ الخـائف الحـذر
تكفُّ بـالفـرعِ من لألاءِ غُـرَّتـهـا كي لا تمـدَّ بيـاضَ الصبـح بـالقمـر
حُـثُّـوا الـمـطي [. . .] إن لـهـا عُقْبَى الإقـالـةِ من أيْنٍ ومن ضَمَـر
حتى تنيـخَ بـرب المجـدِ من يمن في قبـةِ الملك ربِّ الشعـرِ من مضـر

ومنهـا في ذكر جواز المعتمد البحر:

مـا كان عنـدك هولُ البحـرِ تـركبُـهُ جـوداً بنفسـك إلا جـريـةَ النهـر

قـال من قصيدة مدح بها المعتمد أول مـا لقيه في سنـة خمس وستين وأربعمائة[1]:

أحـادِيَنَـا هــذا الـربيـعُ فخيِّم وأمـنيَّـةُ الـمـرتـادِ والمتَيَـمِّـم
وحطَّ بـه عن نـاجيـاتٍ كـأنهـا قسيٌّ رَمَتْ منـا البـلادَ بـأسهـم

وفـي هذه القصيدة يقول:

وقـد يبلغ التأويبُ أقصـاهُ والسُّرى فـلا تشتكي أيْنـاً ولا تـتـظلمـي
ومـا طـلبتْ إلا فِـنَـاءَ مـحـمـدٍ وهـل دونـه لـلركبِ من مـتـلوّم

(1) يقول ابن الصيرفي: إن هذه القصيدة أنشدها أبو العرب للمعتمد؛ ومنها في الخريدة. خمسة أبيات وستة في عيون التواريخ: 19.

جعلتُ إليـهِ همَّتي وعـزيـمتي ... فنـاولتـاه بـعـدَ حـولٍ مجـرم
فقـال ليَ الفـألُ الصـدوقُ مبشـراً ... قـدمتَ على التـوفيقِ أيمنَ مقـدم
وأقبلتُ بابَ الإذنِ فاستـأذن الندى ... على مَلِكٍ وافي الجـلالِ معـظم
تـرفَّـعَ عن ذاكَ البهـاءِ حجـابُـهُ ... وقيـلَ استلمْ أنـدى بنـانٍ وسلِّمِ
فـقبلتُ يمنَى راحـتيـه كـأنـني ... أقبـلُ ركن البيت سيـرةَ مُـحْـرِمِ
نـظرتُ إليـه والمهـابـةُ دونـه ... فقسَّمْتُ لحـظي بين بـدرٍ وضيغم
بلى ورأيتُ الشمسَ والبـدرَ والعلا ... مجسَّمـةً في جـوهـرٍ مُتَجَسِّم
فـأغضيتُ عنـه العينَ أولَ نـظرة ... ومن يَـرَ عينَ الشمسِ لا يتـوسم
كـأن عيـاني كـان غيـرَ حقيقـةٍ ... فـلم أَلْقَـهُ إلا بـعـينِ التـوهـم

ومنهـا:

يشـاهـد أسـرار الـزمـانَ جليَّـةً ... بفـطنـةِ مـدلـول البصيـرةِ مُلْهَم
أيـادٍ أبـانت عنـه وهي صـوامتٌ ... وَمَـلْكٌ مبينٌ ليـس بـالـمتـكـلم
فلا الغَرَضُ الأَقْصَى عليـه بعازبٍ ... بعيـدٍ ولا المعتـاصُ عنـه بِمُبْهَمِ

وقـال:

اهجر رشادَكَ في وَصْلِ ابنةِ العنب ... ولا تـعقَّـنَّ أمـرَ اللهـوِ والـلعـبِ
متِّـعْ شبـابَـكَ واستمتـعْ بجـدتـه ... فهـو الحبيبُ إذا مـا بـان لم يؤب
من ضَيَّعَ اللهوَ في بَدْءِ الشباب طَوَى ... كشحاً على أسفٍ لم يُغْنِ في العُقَبِ
والحلمُ قيدٌ فدعـه واخطُ في مَرَحٍ ... والجـدُّ داءٌ فـداوِ النفسَ بـاللعب
والهمُّ للنفسِ شيـطانٌ يوسـوسهـا ... فاقذفه من أنجم الصهباءِ بـالشهب

للّه دره لقد أجاد:

بِكْـرٌ حَصَـان إذا مـا المـاءُ واقعهـا ... أبـدتْ لنا زبـداً في سَوْرةِ الغضب
كـادت تَـطيـر نفـاراً حين نـافسهـا ... لولا الشباكُ التي صِيغَتْ من الحبب

ومنهــا:

تُخْشَى بـوادِرُهُ والحلمُ حـاجِزُهَـا   إن السيوفَ لَتُخْشَى وهي في القِرَبِ
ويضربُ الذكرُ صفحاً عن مـواهبه   كـأنـه لم يَجُـدْ يـومـاً ولم يهب

وقــال:

وما لحظتْ عينـايَ في الدهـر قبله   فـريداً أرى كـلَّ الورى منـه وحده
ومن معجزاتِ المجدِ والفضلِ أنني   أشـاهـدُ منـه الضـدَّ ينصـر ضـده
دنـا كـرمـاً لمـا تبـاعـد رفعـةً   دنـوَّ الغمـام المستهـلِّ وبُعْـدَهُ
أقـرت به هـامُ الأعـادي فخـالفتْ   قلوبـاً عرفنَ الحقَّ واعتـدن جحده

وقــال:

أبهى المنـاظرِ في عيني وأَحْسَنُهـا   كـاسٌ بكفِّ رخيمِ الـدلِّ سحـار
كـأنــه إذ يسـقّـي سـادةً زُهُــراً   نجمٌ يـوزّعُ نجمـاً بين أقمـار

وقـال[1]:

كأن فجاجَ الأرضِ يمنـاكَ أن يَسِرْ   بهـا خائفٌ تجمـعْ عليـه الأنـامـلا
فـأنّى يفـرُّ المـرءُ عنـكَ بجـرمِـهِ   إذا كان يَطْوِي في يديكَ المـراحلا

ليس يخرج هذا في الجودة عن قول النابغة الذبياني:

فـانك كـالليلِ الـذي هو مدركي   وإن خلتُ أن المنتأى عنك واسـعُ

وقــال:

لمـا رأوا جيشَكَ المنصـورَ منتظمـاً   ظلَّتْ رؤوسهم بـالبيضِ تنتثـرُ
أولغتَ شبلك في الهيجـا دمـاءَهُمُ   حتى تـورَّد منـه النـابُ والـظفـر

(1) هذان البيتان في الأفضليات أيضاً: 89.

إن الـدمـاءَ لمكـروهٌ مَـغَبَّتُهـا   لكنهـا عنـد آسـاد الشَّرَى هَـدَر

وقـال:

وإني لأستشفـي بـطيفٍ مُسَلِّمٍ   يبـلُّ غليلي بـاللقـا ويبـرِّدُ
ومـا خاف طيفٌ في الـزيـارةِ رقبةً   ولكنْ رقيبُ الـطيفِ طَرْفٌ مسهـد
وهل في ضميرِ الدهرِ للقربِ عودةٌ   فَنَغْنَى كمـا كنّـا أم الصبـرُ أَعْوَدُ
ليـاليَ تـرضينـا الليـالي كـأنهـا   إلـينـا بـإهـداءِ الـمنَى تـتـودد
يـزعـزعُ أقـطارَ البـلادِ كـأنمـا   تُحَمُّ بـه الأرضُ الفضـاءُ وتـرعـد
همـامٌ يجـرُّ الجيشَ جمـاً عـديـدُهُ   لأرضِ الأعـادي زائـرٌ متعمـد[1]
كـأن الضحى يعتـلُّ منـه فيكتسي   شحوباً وعينُ الشمس تقذَى وتَرْمَدُ
فقـل هو ليـلٌ في الـظهيـرةِ مـظلمٌ   وقـل هو بحـرٌ في البسيـطةِ مـزبـد
كـأن الـردى فيـه تضـلُّ نفـوسهم   فيهديه من صوتِ القواضبِ منشد
نجـوتُ فعمـري مستجَـدٌّ وإنمـا   نجـاةُ الفتى بعد المخـافـةِ مـولـد
وأحسنـتِ الأيـامُ حتـى كـأنهـا   تنـافَسَ في الإحسانِ يـوميَ والغـد

وقـال[2]:

عـزفتُ فـودعتُ الصِّبـا والغـوانيـا   وقلتُ لـداعي الحلمِ لبيكَ داعيـا
فمـا يـزدهيني دلُّ كـلِّ غـريـرةٍ   إذا خطرت تهدي الحليمَ التصابيا
ولكنِ قصرتُ العينَ عن كلِّ منظرٍ   فما أرسلتْ لحظاً على القلب حانيا
إلى مَلِكٍ لـو لم أحـلَّ قـلائـدي   به لم أكنْ من جوهرِ الفضلِ حـاليا
غضـوبٌ لدين الله في كـلِّ مـوطن   يعافُ الرضى حتى ترى الدهرَ راضيا

---

(1) هذا البيت والذي يليه في الأفضليات: 96.
(2) منها بيتان في الأفضليات: 97.

ألا إنــني لـمــا عَـدَدْتُــكَ أولاً   ختمتُ وما استثنيتُ بعـدكَ ثـانيـا

استثنيت ها هنا عددت ثانياً لا من الاستثناء الذي هو إخراج بعض من كل.

وقــال[1]:

إلام اتبـاعي للآمـاني الكـواذبِ   وهذاً طريقُ المجدِ بادي المذاهبِ
أهمُّ ولي عـزمـانِ عــزمٌ مشـرِّقٌ   وآخـر يغـري همَّتي بـالمغـارب

نسخة: يثني همتي للمغارب:

ولا بدَّ لي أن أسألَ العيسَ حاجةً   تشقُّ على أخفـافِهَـا والغــوارب
عليَّ لآمـالي اضـطرابُ مؤمِّـلٍ   ولكن على الأقدار نُجْحُ المطالب
فيا نفسُ لا تستصحبي الهونَ إنه   وإن خَدَعَتْ أسبابُهُ شرُّ صـاحب
ويــا وطني إن بنتَ عنّي فـإنني   سـأوطنُ أكوارَ العتـاقِ النجـائب
إذا كان أصلي من ترابٍ فكلُّهـا   بـلادي وكـلُّ العــالمين أقـاربي
وما ضاق عني في البسيطة جانبٌ   وإن جلَّ إلا اعتضتُ منه بجانب
إذا كنتَ ذا همّ فكنْ ذا عـزيمـةٍ   فمـا غـائبٌ نـال النجـاحَ بغـائب
وإن الفتى من حَمَّلَ الليلَ هَمَّـه   ودان بــدينِ النيــراتِ الشــواقب
ولـكنـني مـستـنجـدٌ بـمـهـنّـدٍ   يحدِّثُ عن يومِ النَّقا والذنـائب
تَنـزَّهَ في روضِ الـدمـاءِ ذُبـابُـهُ   وغنَّى عليه في العصورِ الذواهب
فمن ضلَّ عن طُرْقِ العلاء فإنني   دُلِلْتُ عليهـا بـالقَنَـا والقـواضب
وإني لمن قـومٍ رسا العـز فيهمُ   وقاموا بحيل الأرض ذاتِ المناكب
إذا اضطرمتْ نارُ الجِلادِ ببيضهم   غدا ساقطاً فيها فراش الحواجب
وتشرقُ في ليلِ العجاج رماحُهُمْ   كـأن العوالي نُصِّلَتْ بـالكواكب

(1) أكثرها في الحماسة المغربية 1: 775 ـ 777 وبعض أبياتها في الذخيرة.

وإنا لنسقي الأرض غيثاً من الطلى وآخر يجري من عيونِ الشوارب
ونخضعُ أعناقَ الأعادي لعزنا كما خضعتْ أموالنا للمواهب
وإن أعشبت بالبغي هامُ قبيلةٍ أسمنا بها بيضاً رقاقَ المضارب
لعمري لقد سار الزمانُ بفخرنا إلى غايةٍ تنأى على كلِّ طالب

وفي المعتمد أيضاً يقول من أخرى[1]:

وقد أزارُ وللزوارِ حكمهمُ عندي من البرِّ والإيناسِ والأدبِ
وأفضلُ البرِّ برٌّ يقتضي طرباً وأعوزتنيَ أمُّ اللهوِ والطرب
والدجنُ يبعث همي من مكامِنِه والشمسُ ما أخلفتها الريحُ لم تغب
والسحبُ للأرض بالسقيا مواصلةٌ حتى ارتوت فاستكفَّتْ أبيضَ السحب
سحٌّ وهطلٌ وَجَوْدٌ صوبُ دَرِّهِمَا فسحٌّ أنت بها واهطلْ وَجُدْ وَصُبِ
إني أعاطيك في الشكوى مفاكهةً كما تعاطت أكفُّ الشَّرب بالنُّخَب
والنفسُ ما انفردتْ بالجِدّ مُتْعَبَةٌ حتى تراوِحَ بين الجدِّ واللعب
برمتُ باثنين ضاق الصدر بينهما فَقْدُ المدامةِ واستيحاشُ مغترب
وكلُّ ربعٍ وإن حلَّ الجميعُ به قَفْرٌ إذا لم تكنْ فيه ابنة العنب
وقد حللتُ كناساً لا أروعَ به حُورَ الظباءِ وإن أعرضْنَ من كثب
كالليثِ عاد كسيراً لا افتراسَ به يَطْوي على زفراتٍ نفسَ مكتئب

وقال في الزهد[2]:

أرى الدنيا الدنيةَ لا تُواتِي فأسجحْ في التصرفِ والطلابِ
ولا يغررْكَ منها حُسْنُ بُرْدٍ له عَلَمانِ من ذَهَبِ الذهاب
فأولهُ رجاءٌ من سَرَابٍ وآخرهُ رداءٌ من تراب

* * *

(1) منها سبعة أبيات في عيون التواريخ: 18.
(2) منها بيتان في طراز المجالس: 128، والشريشي 3: 98، وهي في العيون: 19.

142 ـ الأمير أبو الحسن المقداد بن الحسن الكلبي[1]

كامل الصفات جم الأدوات، فمن شعره قوله[2]:

أمـا ونـزارٍ حلفـةً لـو حلفتُهَـا   على المـاء لم أشـربْهُ وهـو نميـرُ
لقد خبتُ من معروفِهِ وَحُرِمْتُهُ   وإنـي إلـى مـعـروفِـهِ لـفـقـيـر

ولـه[3]:

كنْ بـديعـاً كمـا خُلِقْتَ بـديعـاً   حَسَنَ الـوجـهِ يـا قبيحَ الفَعَـالِ
وامـتـثـلْ مـن عـزيـز آل عـليٍّ   شيمـةً كي تكـونَ فـردَ الكمـال

***

143 ـ أبو سعيد ميمون بن أبي بكر الوراق[4]

معروف بالسداد، موصوف بحسن القناعة والاقتصاد، وله مع ذلك شعر كثير، فمن شعره قصيدة يمدح فيها أبا الحسن علي بن محمد القطاع لما قلد ديوان الخاصة أولها:

خيالٌ سَرَى والليلُ سُودٌ ذوائبُهْ

يقـول فيهـا:

سرى زائراً من غير وعدٍ على نـوىً   فَشَرَّدَ عن عيني الكرى فهـو سالبُـهْ

---

(1) المختصر والمغرب، وكان ممن قتله الحاكم الفاطمي سنة 393 وكان كاتب جوهر ويقال إن سبب قتله بيت قاله وهو:

الحمد لله حتى الخبز أعوزني   في دولة أنها فيها شاعر الملك

وكان ذلك في مدة العزيز والد الحاكم، فحقدها عليه.

(2) البيتان في المغرب.

(3) البيتان من ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1 : 128).

(4) من المختصر.

ولمـا نـأى من متُّ وجـداً لبينـه		أتيتُ امرءاً يحيا بـه مَنْ يقـاربـه
أبا الحسن المفضالَ ذا الكرم الذي		يجـودُ على العافين سَحّاً مـواهبـه
إذا أمّـهُ العـافـونَ واصـلَ جـودَهُ		فأخْصَبَ من ضاقتْ عليـه مذاهبـه
فتىً مـا شكـا يـومـاً إليـه نـوائبـاً		حليفُ لهـا إلا اضمحلّتْ نـوائبـه
إذا جـاء أحيـا جـودُهُ كـلَّ مُعْـدَمٍ		فـلا عُدْمَ إلا وهـو بالجـودِ قاضبه
ويغضي حيـاءً للسؤالِ كـأنـمـا		يـطالبُ من جدواكَ مـا أنت طالبـه
سأنشرُ شكري ما حييتُ فـإن أمت		ستنشـرهُ بعـدي عليـكَ غـرائبـه

وقولـه يصف حمّاماً على طريق اللغز:

فمـا شيءٌ بـه الأمـواهُ تـجـري		عـلى أرضٍ بـأسفـلهـا لهـيبُ
وإن أبـصـرتَ أعـلاهُ فـفـيـه		نـجـومٌ لا يمـيـلُ لهـا غـروب

***

144 ــ أبو القاسم هاشم بن يونس الكاتب[1]

ذكر أنه صاحب ترسل ومقامات وملح وروايات، وله من قصيدة:

ألمت بنـا والليـلُ سـودٌ ذوائبُـهْ		تـطالعنـا رايـاتُـهُ ومـواكبُـهْ
وبين سـوادِ الليـلِ أبيضُ مـاجـدٌ		تخـرُّ لـديه سـاجـداتٍ كـواكبـه
على حينِ نـام الليلُ وانتبـه الهوى		وأونس مَـغْـنَـاهُ وأُوحِشَ راكبـه
ولمـا بـدا طيفُ البخيلةِ سـامحت		بوصـلٍ ولا وصلٌ لمن هـو طـالبـه
عجبتُ لـدانٍ وَصْلُهُ وهـو نـازحٌ		كـأني على بُعْـدِ الـديـارِ أقـاربـه
بـعيـدٌ قـريـبٌ في الـفؤادِ مـحلُّهُ		فَـدَارٌ تنـائيـهِ ونفسٌ تصـاقبـه
وبتنـا ونـارُ الحبِّ تُضْـرَمُ بيننـا		ودمعُ الهوى يهمي على الخدِّ ساكبه

---

(1) من الخريدة والمغرب.

أقبّله طوراً وطوراً أضمه وأعرضتُ عن دهري فلستُ أعاتبه
وفارقني عند الصباحِ برغمهِ وكلّ غطاءِ النومِ فالصبحُ سالبه

ولـه من أخرى:

وأغيدَ مجدولِ القَوامِ مهفهفِ دعاني فلم ألبثْ ولم أتخلّفِ
فلما استمرَّ الحبُّ بيني وبينه وفيتُ له بالعهد فيه ولم يفِ

ومنها:

أكلُّ خليلٍ هكذا غيرُ مُسْعِفِ وكلُّ حبيب في الهوى غير مُنْصِفِ
نعم كلُّ مسدولِ الغدائرِ غادرٌ وكل لطيفِ الكشحِ ليس بملطف

ومنها:

ويومٍ كأن الشمسَ فيه عليلةٌ لها من وراءِ السجفِ نظرةُ مُدْنَفِ
جمعتُ الهوى فيه لأبيضَ ماجدٍ عليّ بسكرٍ من ثناياه قرقف
وصحبٍ سمتْ بي همةٌ فصحبتهم فمن متلفٍ مالاً وآخرَ مُخْلِفِ

ومنها:

ويومَ تنادَوْا من يجيسرُ من الردى وما لخيولِ القوم من مُتَصَرَّفِ
وقفتَ أبا نصرٍ تكفكفُ عنهم وتطعنُ بالخطيّ أشرفَ موقف

ومنها:

لقاء أعادٍ وامتطاءُ مُطَهَّمٍ وتقليبُ هنديّ وهزُّ مثقف
أحبُّ إليه من مُدامٍ وقينةٍ وأحورَ معشوقِ الشمائلِ أهيف

ولـه:

ربّ ليلٍ سوادُهُ كسوادِ الذوائبِ

صـارمي فيه حـاجبي والـرديـنـيُّ كـاتـبـي
سـرتُ فيـه كـأنـني بعضُ زُهْـرِ الكـواكب
راكبـاً عَـزْمَـةَ الهـوى أيّ طِـرفٍ وراكـب
ونـهـارٍ بـيـاضُـهُ كـبـيـاضِ الـترائـب
وهـجـيـرٍ بـحـرٌ قـلـ ـبي كهجـرِ الحبـائب
واشتيـاقـي إليـك كـا نَ دليـلي وصـاحـبي

ولـه مما يكتب على سكين:

مـطبـوعـةٌ من شفـارِ ومـن شَبَـا الأَشـفـارِ
أعـارهـا فعـلَ عينيـ ـكَ فـاتـكٌ لا يـبـاري

* * *

145 ــ الأمير أبو محمد ميمون بن حسن الكلبي[1]

ممن جمع إلى طيب الأصل والكرم حسن الأدب والفهم، فمن شعره قوله على لسان سكين:

أنـا أخـتٌ للمـنـايـا طَـبْـعُـهَـا طبـعي وفـنِّـي
غـيـر أن اللحظَ أمـضـى فـي فـؤادِ الـصـبِّ مـنـي

* * *

146 ــ يعقوب بن علي الزبيدي الصقلي اللغوي[2]

من أهل صقلية المقيمين بها، من أئمة اللغويين والعلماء المدرسين،

(1) من المختصر.
(2) ترجمته وستة أبيات من المقطوعة الأولى في إنباه الرواة 4: 57 (رقم: 827) وقد ذكره ابن سعيد وأورد المقطوعة الأولى في المغرب (تسعة أبيات).

كان حافظاً لأشعار العرب ومعانيها؛ شارحاً لغريبها ومبانيها، فمن شعره قوله يمدح الأمير عز الدولة الحسن بن ثقة الدولة الكلبي، من قصيدة أولها:

أنـاملها سَلَّمَتْ أم عَنَمْ ... غداةَ وقفنا بوادي سَلَمْ
وهـذا الـذي لاح لي مبسمٌ ... أم البرقُ من ثغرها يبتسم
رمتنيَ سلمى بهجرانِهَا ... فهل لِيَ منها وصالٌ أَمَمْ
خليليَّ إن متُّ من أجلها ... سيحدثُ بعدي لسلمَى ندم
وما غرَّني غيرُ قولي لها: ... أتحيي قتيلاً؟ فقالت: نعم
فما أتبعت قولَهَا نائلاً ... ولا أذهبتْ لاعجاً من سقم
وألقتْ على وجهها برقعاً ... فكنتُ كمبصرِهَا في الحلم
بنفسيَ منها مكانُ اللَّمى ... وجيدٌ براني كَبَرْيِ القلم
ووجهٌ أنيقٌ يريكَ الصباحَ ... وفرعٌ أثبتُ يريكَ الظلم

ومن شعره قوله(1):

متى تنقضي عن ناظريَّ المدامعُ ... وهذي ديارٌ من سُلَيْمَى بلاقعُ
ولم يبقَ من سلمى ولا من وصالها ... سوى زائرٍ عند الهجودِ يطالع
ألا بأبي تلكَ البراقعُ بل به ... وجوهُ حسانٍ غَيَّبْتَهَا البراقع
ضعفتُ عن الشكوى غداةَ تحملوا ... فأظهرتِ البلوى الدموعُ الهوامعُ
ألا ليتَ شعري والزمانُ مفرِّقٌ ... أأيامنا بالرقمتين رواجع

***

147 ـ يوسف بن أحمد أبو يعقوب النحوي الدباغ الصقلي(2)

مقيم بجزيرة صقلية، حافظ لكتب المتقدمين، ومنبه لأسرار المؤلفين،

---

(1) هذه القطعة من مختارات ابن الصيرفي، (وعنوان الأريب 1: 131 ـ 132).
(2) الترجمة والشعر من إنباه الرواة 4: 64 (رقم: 831).

وممن تقدم في زمانه على أشكاله وأقرانه، وله مع ذلك شعر صالح وأكثره في مسائل النحو، فمن ذلك قوله:

إنَّ هنـدَ المليحـةَ الحسنـاءَ وَأْيَ من أضمرتْ لخلٍّ وفـاءَ[1]

وقـوله:

إن كنت تحسبُ أن الشعـرَ مكرمـةٌ بهـا ينـالُ المسـاعي من لـه خَـطَرُ
فـانـظر إلى العلمـاءِ ثم قـرِّبهمْ يبدي القياسَ لك المطلوبُ والنظر
هـل يستوي عنـد ذي لُبّ لـه نَـظَرٌ إحدى الفريقين أم هل يستوي الخبر
فاصبر على الدرسِ أيامَ الشبابِ ولا يذهبْ بك الوعدُ حتى يَنْفَـدَ العمر
كم أدركَ النـاشىء الصبَّـارُ بُغْيَتَـهُ ودافـعَ الشيـخَ عمـا يبتغي الكبـر

***

(1) قال القفطي قوله: «إن» هو أمر من وأى بشيء، إذا وعد، فالنون الثقيلة، كأنه قال: «عدي يا هند المليحة ونصب الحسناء بإضمار أعني، وأي نصب على المصدر أي عدي وعد من ينوي الوفاء».

الفهارس

1 ـ فهـرس الأعلام.

2 ـ فهـرس الأماكن.

3 ـ فهـرس الكتب.

4 ـ فهـرس القوافي.

1 ـ فهرس الأعلام

الآمر بأحكام الله: 89.
إبراهيم بن مالك المعافري: (15).
إبراهيم بن محمود القسري: (16).
إبراهيم بن محمد بن خفيف: (15).
ابن أبي البشر = علي بن عبد الرحمن البلنوبي: (100 ـ 120).
ابن الأضبطي = الحسن بن محمد: (38).
ابن البر اللغوي: 63، 64، 89، (209 ـ 211).
ابن بسام: 213.
ابن بشرون الكاتب: 42، 58، 231، 232.
ابن بنت خلدون: 49.
ابن بنت العروق = محمد بن علي الأزدي: 64.
ابن الثمنة: 14، 129.
ابن الشيري = الشريف الإدريسي: (231 ـ 234).
ابن جربان النهاوندي: 24.
ابن جميهير: 63.
ابن الحداد أبو القاسم: 156.
ابن الحذاء: (157 ـ 158).
ابن الحكار = عمر بن عبد النور: (155 ـ 156).
ابن حمديس، عبد الجبار: (47 ـ 48).
ابن حمود الخريمي: 102، 103، 104، 109، 111، 113، 114، 115، 121.
ابن حوقل: 13.
ابن الخالة = محمد بن أحمد الهاشمي: (181 ـ 182).
ابن خلاد الرامهرمزي: 24.
ابن الخياط = علي بن محمد الربعي: (128 ـ 147).
ابن داود، أبو عبد الله القاضي: 179.
ابن رشيق، أبو علي: 63، 64، 211، 212.
ابن الرقباني = محمد بن أبي الفضل: (179 ـ 180).
ابن الرماح = عبد الله بن يعلى: 201.
ابن سدوس = محمد أبو عبد الله: (205 ـ 206).
ابن سرعين = عبد الجبار: (48).

ابن السوسي = عثمان بن عبد الرحمن: (74 ـ 75).
ابن الصباغ، أبو عبد الله: (211 ـ 220).
ابن الصباغ = محمد بن أحمد بن عبد الله: (182 ـ 183).
ابن الضمنة: (20).
ابن الطوبي = علي بن الحسن بن الطوبي: (90 ـ 98).
ابن الطوبي = محمد بن الحسن: (184 ـ 202).
ابن الطيوري: 23.
ابن عبد ربه: 13.
ابن العطار: 209.
ابن عمار المتكلم: 50.
ابن عفيف الباغاني:
ابن الفحام = عبد الرحمن بن عتيق: (57 ـ 58).
ابن فرجوج: (16).
ابن القابلة: (16).
ابن القاف أبو العباس: (17).
ابن القابسي: 64.
ابن القرقودي: (202 ـ 204).
ابن القطاع = جعفر بن علي بن محمد: (34).
ابن القطاع = أبو القاسم صاحب الدرة: 14، 37، 55، 73، (83 ـ 88)، 110، 182، 185، 210.
ابن القطاع = علي بن جعفر السعدي: (88 ـ 89).
ابن القطاع = محمد بن عبد الله بن الحسين: (208).
ابن القناد = محمد بن عبد الله: 158.
ابن الكموني = علي بن عبد الجبار: (98).
ابن مازوز اللواتي: (156 ـ 157).
ابن ماسويه: 184.
ابن متكود صاحب مازر: 209.
ابن المعلوف أبو القاسم: 158.
ابن النحوي أبو الفضل: 179.
ابن نفيس: 57.
ابن الهاشمي: 57.
أبو بكر الحنفي: 158.
أبو بكر الفاسي: 49.
أبو بكر الكموني = محمد بن علي بن عبد الجبار: (221).
أبو بكر بن أبي العباس: 49.
أبو بكر بن عبد الرحمن: 178.
أبو ذر الهروي: 49.
أبو الحسن الفالي: 24.
أبو الحسين الرازي: 57.
أبو حفص القعيني: 212.
أبو الصلت الحكيم: 42.
أبو طاهر التجيبي: 142، 210.
أبو العباس بن الخطاب: 158.
أبو عبد الله العروضي: (17).
أبو عبد الله بن الأجدابي: 49.
أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي اليابس: 201.
أبو العتاهية: 61.
أبو العرب الصقلي: (237 ـ 245).
أبو علي بن حسين بن خالد: (18).
أبو علي الحضرمي المالكي: 158.
أبو عمران القاضي: 178، 179.
أبو الفتوح بن القائد بدير المكلاتي: (18).
أبو الفرج الموقفي: 114.
أبو الفضل القاضي: 205.
أبو القاسم الحافظ: 74.

أبو القاسم الصقلي : (18) .
أبو القاسم بن عبد الرحمن المعافري : 20 .
أبو محمد بن صاحب الخمس : (20) .
أبو المعالي الجويني : 49 ، 50 .
أبو نواس : 78 ، 79 .
أجار (رجار) الفرنجي : 14 ، 43 ، 56 ، 149 ، 158 ، 231 .
أحمد بن إبراهيم الوداني : (21) .
أحمد بن أبي الحسين : 169 .
أحمد بن أبي محمد الكلاعي : (25) .
أحمد بن إسحاق المهراني : 157 .
أحمد بن علي الشامي : (22) .
أحمد بن علي الفهري أبو الفضل : (23) .
أحمد بن علي بن الحكم الصقلي : (23) .
أحمد بن قاسم الصقلي ، القاضي الرشيد : (24) .
أحمد بن محمد بن الحاج الإشبيلي : 170 .
أحمد بن محمد اللخمي : (25) .
أحمد بن محمد بن الجزار : (26) .
أحمد بن محمد بن عباد الإشبيلي : 64 .
أحمد بن محمد بن القاف : (26) .
أحمد بن نصر الكاتب : (27) .
أسد بن الفرات : 13 .
إسحاق الموصلي : 79 .
الأفضل بن بدر الجمالي : 24 ، 86 ، 89 ، 175 .
امرؤ القيس : 79 .
الانبرطور : 14 .
انتصار الدولة الحسين : 139 ، 142 ، 145 ، 146 .
البثيري الصقلي = عبد الرحمن بن محمد : (58) .
البحتري : 80 ، 127 .
بهز بن حكيم بن معاوية : 170 .
تاج الدولة وسيف الملة جعفر بن ثقة الدولة : 14 ، (33) ، 146 .
تأييد الدولة أحمد بن ثقة الدولة : 39 ، 137 ، 141 .
ثقة الدولة جعفر بن تأييد الدولة : (29) .
ثقة الدولة يوسف بن عبد الله : 146 ، 180 ، 199 .
جبلة بن حمود الصدفي : 63 .
جعفر بن البرون ، أبو الفضل : (28) .
جعفر بن الطيب الكلبي ، أبو محمد : (30) .
جعفر بن ثقة الدولة : 129 .
جعفر بن محمد الكلبي : 183 .
الخرقي : 178 .
الحسن بن إبراهيم الشامي : (34) .
الحسن بن أبي الفار : (35) .
الحسن بن أحمد الكاتب : (35) .
حسن بن عبد الله الحمامي : (35) .
حسن بن عبيد الله الطرابنشي : (36) .
الحسن بن عمر بن متكود : (36) .
الحسن بن أبي علي القائد : (39) .
الحسن بن عبد الله الصقلي : 49 .
الحسن بن القائد : (37) .
الحسن بن محمد الكاتب : (37) .
الحسين بن أحمد السعدي : (41) .
الحسين بن أحمد الكاتب : (41) .
الحسين بن عبد الله الأجدابي : 63 .
داود (النبي) : 24 .
الدمعة النحوي أبو محمد : (19) .
رجار = أجار .
الرجيني = محمد بن الحسن : (184) .
رزيق بن عبد الله : (42) .
الرزيق = محمد بن سهل : (206) .

رئيس الرؤساء الوزير: 118 .
زيادة الله بن الأغلب: 13 .
سحنون بن سعيد التنوخي : 63 .
سراج بن أحمد بن رجاء أبو الضوء: (42).
السلفي الحافظ: 76، 84، 101، 210 .
سليمان بن عبد العزيز المقريء: 57 .
سليمان بن محمد الطرابنشي : (44).
سليمان بن يخلف الكلبي : (65 ـ 69).
السيوري: 49، 178 .
الشريف الإدريسي = ابن الثيري .
الشريف فخر الدولة النقيب: 107، 108 .
شيخ الدولة، عبد الرحمن بن لؤلؤ: (58).
الشماخ: 78 .
صمصام الدولة: 136 .
الطاهر الجزري: 58 .
طاهر بن بابشاذ: 57 .
طاهر بن محمد التغلبي : (46 ـ 47).
طرفة بن العبد: 79 .
عبد الباقي بن فارس: 57 .
عبد الجليل بن مخلوف: (48).
عبد الحق بن الحسن: (49).
عبد الحق بن محمد بن هارون: (49 ـ 50)، 63، 158 .
عبد الحليم بن عبد الواحد السوسي : (51 ـ 53).
عبد الحميد بن محمد الصائغ: 158 .
عبد الرحمن بن أبي بكر السرقوسي : (53 ـ 54).
عبد الرحمن بن أبي العباس الأطرابنشي : (54 ـ 55).
عبد الرحمن بن حسن الكاتب: (55 ـ 56).
عبد الرحمن بن رمضان: (56).
عبد الرحمن بن عبد الغني المقريء: (57).
عبد الرحمن بن محمد الخرقي : 158 .
عبد الرحمن بن القاسم المتعي : 63 .
عبد الرزاق [الصنعاني]: 170 .
عبد الكريم بن عبد الله المقريء: (63 ـ 64).
عبد الله بن أبي سعيد الأنصاري : 52، 53 .
عبد الله بن جبر الصقلي : (64).
عبد الله بن فرج المديني : 63 .
عبد الله بن عبد الله الهاشمي : (69 ـ 70).
عبد الله بن مالك القيسي : 70 .
عبد الله بن مبارك: (70 ـ 71).
عبد الله بن محمد بن عبد الله المقرىء: 63 .
عبد الله بن مخلوف الفأفاء: (71).
عبد الله بن مسلم الكاتب: 172 .
عبد المعطي بن محمد السرقوسي : (71).
عبد الوهاب بن عبد الله بن مبارك: (72).
عبد الوهاب بن نصر: 49 .
عتيق بن عبد الله السكري: 64، (72 ـ 73).
عتيق بن عبد الله بن رحمون: (73).
عتيق بن علي بن داود السمنطاري: (73 ـ 74)، 157، 158 .
عثمان بن أحمد السمرقندي: 170 .
عثمان بن عتيق: 75 .
عثمان بن علي السرقوسي : (76 ـ 80).
عز الدولة مقلد: 117 .
علي بن إبراهيم الوداني : (80 ـ 81).
علي بن أحمد بن زين الخد الأزدي : (81).
علي بن أحمد بن زيادة الله السعدي : (81).
علي بن إسماعيل الخزاعي : 182 .
علي بن بشرى: (82).

علي بن الحسن بن حبيب: (89 ـ 90).
علي بن الحسن بن سهل بن مهران: (90).
علي بن الحسن بن الحسين الخلعي: 170، 171.
علي بن طاهر الرقباني: (98).
علي بن عبد الجبار بن سلامة: 210.
علي بن عبد الجبار بن الوداني: 99.
علي بن عبد الرحمن العروضي: (99).
علي بن عبد الله بن الشامي: (126 ـ 127).
علي بن المعلم: (147 ـ 148).
علي بن الحسين التميمي: (128).
علي بن محمد الصقلي: (127).
علي بن منجب الصيرفي: 238.
عمار بن المنصور الكلبي: (148 ـ 149).
عمر بن أبي الطيب: 14، (149).
عمر بن حسن النحوي: (149 ـ 150).
عمر بن حسن بن السطبرق: (150 ـ 151).
عمر بن الحسن بن العوفي: (151 ـ 152).
عمر بن خلف بن مكي: (152 ـ 154).
عمر بن رحيق: (154 ـ 155).
عمرو بن عبد الله الكاتب: (155).
عمران بن عبد الحق الفقيه: 50.
عيسى بن عبد المنعم الصقلي: 20، 42، (159 ـ 160).
الغاون = حسن بن واد: (38).
غليالم (غليم) بن رجار: 14، 232.
فتوح بن الغزال الباغاني: (168 ـ 169).
القاسم بن سوار الكلبي: (169).
قاسم بن عبد الله التميمي: (164 ـ 168).
مالك بن أنس: 23، 179.
المأمون القائد أبو عبد الله: 177.
مجبر بن محمد: (170 ـ 177).
محمد (رسول الله): 32، 158.
محمد بن إبراهيم بن الشامي: 64.
محمد بن أبي الفرج الكناني: (178).
محمد بن أحمد الكلاعي: (181).
محمد بن أحمد أبو عبد الله الصقلي: (180).
محمد بن أحمد بن يحيى الكاتب: (183).
محمد بن جعفر بن محمد الكلبي: (183).
محمد بن الحسين القرني: (202).
محمد بن حماد الطهراني: 170.
محمد بن زيد الطرطاني: (204 ـ 205).
محمد بن عبد الله المقريء: (207).
محمد بن عباد: 14.
محمد بن عبد الله الفتال: 64.
محمد بن عبد الله بن يونس: 158.
محمد بن عيسى بن عبد المنعم: (223 ـ 231).
محمد بن قاسم بن زيد اللخمي: (221 ـ 223).
محمد بن الموقفي: 105.
محمد بن يونس الصقلي: 64.
مدافع بن رشيد الهلالي: 31.
المرتضى = يحيى بن تميم بن المعز: 79.
مرتضى الدولة علي: 135، 136، 141.
مستخلص الدولة الحسن بن ثقة الدولة: 137، 142، 143، 144.
مستخلص الدولة عبد الرحمن بن الحسين الكلبي: (234).
مستنصر بني عبد المؤمن: 64.
مشرف بن راشد: (235 ـ 237).
المعز بن باديس: 14، 64، 91.

المعتصم بن صمادح: 75.
المعتمد بن عباد: 47، 237، 238، 239، 244.
معمر بن راشد: 170.
المقداد بن الحسن الكلبي: (245).
مكي القرشي أبو عبد الله: 49.
الملك العادل أبو الفتح: 179.
المهدي العبيدي: 27.
مؤيد الدولة: 135، 136.
ميمون بن أبي بكر الوراق: (245 ـ 246).
ميمون بن حسن الكلبي: (248).
النابغة الذبياني: 241.
الناصر للدين اليازوري: 122، 123، 125.
نفطويه: 184.
هاشم بن يونس الكاتب: (246 ـ 248).
هبة الله الكاتب: 103.
هبة الله بن أبي عقبة التميمي: 63.
هبة الله بن علي بن الحسن الفرضي: 84.
يحيى بن عبد الله بن المدبر: 101.
يعقوبَ بن علي الزبيدي: (248 ـ 249).
يوسف بن حسداي: 84.
يوسف بن عبد الرحمن الدباغ: (249 ـ 250).
يوسف بن الخلال: 84.

2 ـ فهرس الأماكن

الإسكندرية (الثغر): 23، 49، 57، 63، 76، 84، 104، 157، 158، 201، 210.
اصبهان: 176، 177، 178.
افريقية: 13، 44، 63.
الأندلس: 44، 147، 203، 238.
أنطلة: 14.
بثيرة: 58.
بحر النخلتين: 55.
بغداد: 23، 179.
بلرم (المدينة ـ مدينة صقلية): 14، 49، 63، 64، 74، 154، 209، 210.
تونس: 152.
جامع مصر: 76.
الحجاز: 74، 83، 158.
خراسان: 74، 178.
الخصيب: 164، 166.
رومة: 40.
زرود: 69.
الشام: 74.
العراق: 24، 178.
غانة: 171.
فارس: 74.
القاهرة: 88.
قرافة مصر: 24.
قلعة بني حماد: 178.
القيروان: 63، 64، 158، 178.
الكرج: 161.
الكرخ: 161.
مازر: 209، 210.
مسيني: 13.
مصر: 23، 24، 37، 57، 76، 83، 84، 88، 169، 170، 171.
المعسكر (بلرم): 35، 38.
مقبرة وعلة (الإسكندرية): 158.
مكة: 49، 158، 164.
منتزه المعزية: 54.
المنصورية: 59.
الملعب (المنصورية): 59.
النيل: 122.
اليمن: 60، 75.

3 ـ فهــرس الكتــب

استدراك على مختصر البرادعي، لعبد الحق بن محمد الصقلي 50
التجريد في بغية المريد، لابن الفحام 57
تلقيح الجنان وتثقيف اللسان، لابن مكي 152
التمهيد، للبرادعي 16
تهذيب أفعال ابن القوطية، لابن القطاع 83
جزء في ضبط ألفاظ المدونة، لعبد الحق بن محمد 50
الحاشية على الإيضاح، لعثمان بن علي السرقوسي 76
الدرة الخطيرة في شعر شعراء الجزيرة، لابن القطاع 22، 30، 37، 44، 50، 54، 60، 70، 73، 81، 84، 110، 128، 147، 164، 182
ديوان البحتري 80
رحلة ابن عبد ربه 13
روض الأنس ونزهة النفس، للشريف الإدريسي 232
شرح الأمثلة، لابن القطاع 83، 84
شرح المدونة، لابن الحكار 156
الشهاب، للقضاعي 178
الصحاح، للجوهري 83، 89
كتاب في البلدان، لعتيق السمنطاري 74
كتاب في الرقائق، لعتيق السمنطاري 74
كتاب في العروض، لأبي المصيب القيسي 70

المجموع الأدبي، لابن القطاع 84
المختار في النظم والنثر لأفاضل أهل العصر، لابن بشرون 42، 231
المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، لابن خلاد 23
مخارج الحروف، لعثمان بن علي السرقوسي 79
مختصر البرادعي 50
مختصر عمدة ابن رشيق، لعثمان بن علي السرقوسي 70
مختصر في القوافي، لعثمان بن علي السرقوسي 79
المدونة 16، 50
مقامات ابن الطوبي أبي عبد الله 184
نزهة المشتاق، للشريف الإدريسي 232
النكت الكبير، لعبد الحق بن محمد 50
النكت والفروق، لعبد الحق بن محمد 50

4 ـ فهرس القوافي

ـ أ ـ

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
وفاة	الخفيف	يوسف بن أحمد الدباغ	250
المساءُ	الخفيف	ابن القطاع أبو القاسم	87
بالبكاء	مخلع البسيط	ابن القطاع أبو القاسم	83
والرقباءِ	الطويل	أبو القاسم السرقوسي	54
علاءِ	الوافر	ابن الطوبي أبو عبد الله	199
بكاءِ	الكامل	محمد بن عبد الله المقرىء	207
ظلماءِ	السريع	ابن الطوبي أبو عبد الله	193
ماءِ	المنسرح	ابن القطاع أبو القاسم	87
بكائي	الخفيف	ابن الخياط الربعي	129
البلغاءِ	المجتث	ابن البر	210
بدوائه	الكامل	الفأفاء	71

ـ ب ـ

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
وتعبْ	الرمل	ابن مكي	152
العجبْ	السريع	عبد العزيز بن الحاكم	62
الذوائبْ	الخفيف	البلنوبي	101
الحقبْ	المتقارب	سليمان الطرابنشي	45
المحتلبْ	المتقارب	مجبر الصقلي	177

ذبابا	الطويل	البلنوبي	123
طربا	البسيط	البلنوبي	100
هربا	مخلع البسيط	ابن الطوبي أبو عبد الله	190
كثيا	الوافر	ابن الطوبي أبو عبد الله	186
نبا	الكامل	ابن الخياط الربعي	135
العتبى	الكامل	ابن صمنة	20
والكربا	الكامل	عثمان بن علي السرقوسي	78
وكربه	مجزوء الكامل	ابن الطوبي أبو عبد الله	195
عذبا	السريع	قاسم التميمي	164
شربا	المنسرح	ابن الخياط الربعي	146
معتبُ	الطويل	هبة الله الكاتب	103
تغرب	الطويل	مجبر الصقلي	173
أسابيه	الطويل	ابن مازوز	156
ومواكبه	الطويل	هاشم بن يونس	246
وتعذيبُ	البسيط	البلنوبي	101
تحاربه	البسيط	ابن أبي الفار	35
خطابُ	الوافر	ابن الخياط الربعي	130
يريب	الوافر	القاسم التميمي	167
لهيب	الوافر	أبو العرب	246
والكرب	مجزوء الكامل	ابن القطاع جعفر	34
يطيب	الكامل	عثمان بن علي السرقوسي	76
تذهب	السريع	ابن الطوبي علي	97
لب	المنسرح	ابن الصباغ أبو عبد الله	210
يهب	المنسرح	ابن الخياط الربعي	133
صعب	الخفيف	ابن الخياط الربعي	141
غريب	الخفيف	ابن الطوبي أبو عبد الله	200
المشيب	المجتث	ابن الطوبي أبو عبد الله	190
الرب	الهزج	ابن الطوبي أبو عبد الله	198
غالبُه	الكامل	عمر بن عبد الله	155
الحبِّ	الطويل	عبد العزيز الأنصاري	61
حبي	الطويل	عبد الحليم السوسي	57
والكتب	الطويل	الموصلي	79
طبيب	الطويل	ابن الخياط الربعي	143

مشيب	الطويل	ابن الخياط الربعي	138
مغيب	الطويل	ابن زين الخد الأزدي	81
كتابي	الطويل	البلنوبي	101
الكواكب	الطويل	طاهر الرقباني	46
المذاهب	الطويل	أبو العرب	243
سرب	البسيط	ابن الخياط الربعي	138
والرتب	البسيط	ابن الثيري	232
واللعب	البسيط	أبو العرب	240
واللهب	البسيط	ابن الخياط الربعي	129
والطلاب	الوافر	أبو العرب	244
الثياب	الوافر	ابن الطوبي أبو عبد الله	190
الجناب	الوافر	ابن البرون	29
القلوب	الوافر	البلنوبي	100
وصحابي	الكامل	علي بن إبراهيم الوداني	80
الأعقاب	الكامل	البلنوبي	101
عجيب	مجزوء الرمل	ابن الطوبي أبو عبد الله	187
كرب	السريع	ابن الطوبي أبو عبد الله	185
رطب	السريع	ابن الكموني	98
والعجب	السريع	البلنوبي	101
متعب	السريع	ابن الطوبي أبو عبد الله	193
مذهبي	السريع	أبو القاسم بن طلحة	19
المعجب	السريع	عبد العزيز الأنصاري	61
النسب	المنسرح	مستخلص الدولة	234
باللهب	المنسرح	ابن الطوبي أبو عبد الله	192
الألباب	الخفيف	عبد الحليم السوسي	52
وعذابي	الخفيف	الحسين بن أحمد الكاتب	41
الذوائب	الخفيف	هاشم بن يونس	247
القطوب	الخفيف	علي بن إبراهيم الوداني	80
القلوب	المجتث	محمد بن عيسى بن عبد المنعم	225
الهبوب	المتقارب	علي بن الطوبي	94
ببابه	الطويل	محمد بن قاسم اللخمي	223
أترابه	الكامل	عبد الحليم السوسي	51

بتعذيبه	السريع	البلنوبي	101
كوكبها	المنسرح	ابن الصباغ أبو عبد الله	212
صحبه	المتقارب	ابن حسداي	84
ارتكابها	الطويل	علي بن الطوبي	91
وعذابي	الخفيف	الحسين بن أحمد الكاتب	41

ـ ت ـ

سررتا	مخلع البسيط	ـ	86
لمتًا	مجزوء الرمل	ابن الطوبي أبو عبد الله	195
منفلتا	المنسرح	ابن البرون	28
طلبتُ	الوافر	ابن الطوبي أبو عبد الله	200
بتُ	مجزوء الكامل	البلنوبي	102
فاسترحت	المجتث	عبد العزيز بن الحاكم	63
لقيتُ	الخفيف	البلنوبي	102
السكوت	المجتث	ابن الصباغ أبو عبد الله	212
زفراتُهُ	الكامل	مجبر الصقلي	175
موته	مجزوء الكامل	البلنوبي	102
تنكته	المنسرح	علي بن الطوبي	96
عداتي	المديد	ابن الطوبي أبو عبد الله	190
جفوته	البسيط	البلنوبي	103
الساجعات	الوافر	سليمان بن يخلف	66
محملات	الوافر	جعفر بن الطيب	30
بالمعجزات	مجزوء الكامل	جعفر بن الطيب	32
مرارتي	الرجز	ـ	189
المقت	السريع	ابن الطوبي أبو عبد الله	192
راحته	السريع	ابن الطوبي أبو عبد الله	201
وجنته	المنسرح	أبو القاسم السرقوسي	54
زهراته	الكامل	ابن الطوبي أبو عبد الله	199
لذاتها	الكامل	مجبر الصقلي	173

ـ ج ـ

لسمجْ	الرمل	ـ	79

بنفسجا	الكامل	أبو الفتح الشامي	22
الوالجه	السريع	ابن الطوبي أبو عبد الله	194
يتأجج	الكامل	ابن الخياط الربعي	145
الأفلج	الكامل	ابن الخياط الربعي	144
عج	الرجز	عيسى بن عبد المنعم	160
الفالج	السريع	ابن الطوبي أبو عبد الله	196
المهج	المنسرح	ابن الصباغ أبو عبد الله	218
داج	الخفيف	ابن الطوبي أبو عبد الله	191
انفراجي	المجتث	ابن القاف أبو علي	26

– ح –

والمستبيحْ	الرمل	عيسى بن عبد المنعم	159
المراحْ	السريع	ابن حمديس	47
يصلحا	المتقارب	ابن الطوبي أبو عبد الله	198
فارحُ	الطويل	ابن الخياط الربعي	138
مبرح	الطويل	البلنوبي	103
اللواحي	الوافر	سليمان بن يخلف	66
الصفاح	الوافر	الفرني	202
السفحُ	الكامل	ابن الخياط الربعي	140
روح	الكامل	محمد بن عبد الله المقرىء	207
المزاح	الخفيف	البلنوبي	104

– د –

وقعدْ	الرجز	ابن الطوبي أبو عبد الله	186
جلد	المتقارب	البلنوبي	107
مجاسدا	الطويل	ابن الخياط الربعي	138
تالدا	الطويل	ابن الخياط الربعي	139
عقدا	البسيط	علي بن الطوبي	91
بعيدا	الوافر	ابن الطوبي أبو عبد الله	198
الوردا	السريع	ابن القطاع أبو القاسم	88
والسعادة	الخفيف	عيسى بن عبد المنعم	160

صدا	الخفيف	الطرطائي	204
هجودا	الخفيف	البلنوبي	107
خدك	المجتث	عيسى بن عبد المنعم	159
فأعاده	الطويل	علي بن الطوبي	96
وحده	الطويل	أبو العرب	241
حدّه	المجتث	عبد الوهاب بن عبد الله	72
طاردَهْ	المتقارب	أحمد بن نصر	27
زَرَدُ	الطويل	أبو الحسن الصقلي	127
وردُ	الطويل	أبو الحسن الشامي	127
الرشد	الطويل	ابن مكي	154
ويبرد	الطويل	أبو العرب	242
يريدُ	الطويل	القاضي الرشيد	24
يبيد	الطويل	عبد الحق الفقيه	50
وترداد	البسيط	عبد الحليم السوسي	51
يصعده	البسيط	الحسين بن أحمد الكاتب	41
المراد	الوافر	ابن الخياط الربعي	134
شهد	الرجز	ابن الصباغ أبو عبد الله	215
موعود	الخفيف	ابن الخياط الربعي	140
زائد	السريع	علي بن الطوبي	94
يده	الهزج	ابن رشيق	212
تعهده	الهزج	ابن الصباغ أبو عبد الله	212
الممدَّدِ	الطويل	علي بن الطوبي	96
موعدي	الطويل	البلنوبي	105
أغيد	الطويل	البلنوبي	109
ودٌّ	الطويل	ابن الخياط الربعي	136
وعسجد	الطويل	ابن الخياط الربعي	137
والندُّ	الطويل	محمد بن عيسى بن عبد المنعم	229
حميد	الطويل	مجبر الصقلي	176
والرشد	البسيط	محمد بن عيسى بن عبد المنعم	229
ناد	الوافر	الحسن بن أبي علي القائد	39
الحسود	الوافر	القاضي الرشيد	24
الهوادي	الوافر	ابن مازوز	157
الأبد	الكامل	ابن مكي	152

محمد	الكامل	ابن الطوبي أبو عبد الله	189
المسجد	السريع	ابن دانق	60
الأغيد	السريع	ابن الخياط الربعي	130
يدي	السريع	ابن الخياط الربعي	146
البرد	السريع	ابن الطوبي أبو عبد الله	191
البلد	المنسرح	ابن رشيق	64
جلدي	المنسرح	ابن القطاع أبو القاسم	87
كمدي	المنسرح	ابن الطوبي أبو عبد الله	201
بتجديد	المنسرح	علي بن الطوبي	97
بالغد	الخفيف	ابن الخياط الربعي	135
جهدي	الخفيف	ابن الخياط الربعي	142
البعاد	الخفيف	البلنوبي	107
ازدياد	الخفيف	الطرطائي	204
كالمفقود	الخفيف	عبد المعطي السرقوسي	71
الخلودِ	المتقارب	عبد الحليم السوسي	51
رود	المتقارب	سليمان بن يخلف	69
وفؤادِهِ	الطويل	عمر بن حسن النحوي	149
بودادها	الطويل	ابن الطوبي أبو عبد الله	188
رفده	الوافر	رزيق بن عبد الله	42
عندها	الكامل	البلنوبي	107
قصده	المتقارب	ابن الصباغ أبو عبد الله	218

ـ ذ ـ

ذا	مخلع البسيط	عبد الرحمن بن رمضان	56
والأذى	السريع	ابن القاف أبو العباس	17

ـ ر ـ

بشرْ	مجزوء الكامل	ابن البرون	29
خمر	السريع	ابن الخياط الربعي	133
الجلنار	السريع	عثمان بن عتيق	75
النظر	السريع	ابن الخياط الربعي	135

درا	الطويل	ابن القطاع أبو القاسم	86
الغدرا	الطويل	ابن القطاع أبو القاسم	86
وفرا	الطويل	ابن الخياط الربعي	136
وتغيرا	الطويل	ابن الخالة	182
هجرا	الوافر	البلنوبي	109
فتسعرا	الكامل	عثمان بن علي السرقوسي	79
جعفرا	الكامل	سليمان الطرابنشي	45
نارا	الكامل	الحسن بن أحمد	35
وزارا	الكامل	ابن الثيري	232
جرى	الرمل	ابن زيد اللخمي	222
والمخبرا	السريع	ابن الطوبي أبو عبد الله	196
خبرَهْ	السريع	البلنوبي	110
عوارا	الخفيف	ابن مكي	152
فجرُ	الطويل	ابن سدوس	205
الشعر	الطويل	أحمد الكلاعي	25
قرار	الطويل	البلنوبي	122
لظاهر	الطويل	علي بن الطوبي	91
بشر	البسيط	ابن الثيري	232
تنتشر	البسيط	أبو العرب	241
خطر	البسيط	يوسف بن أحمد الدباغ	250
النكر	البسيط	محمد بن أحمد الكلاعي	181
المعاذير	البسيط	محمد بن قاسم بن زيد اللخمي	223
مذكار	البسيط	البلنوبي	108
نار	الوافر	الحسن بن متكود	37
الثمار	الوافر	ابن بشرى	82
نار	الكامل	علي بن الطوبي	95
تدار	الكامل	سليمان بن يخلف	68
خواطرُ	الكامل	ابن الخياط الربعي	142
تتفطر	الكامل	ابن الخياط الربعي	141
متواتر	الكامل	ابن الخياط الربعي	134
تذكر	الكامل	ابن الخياط الربعي	129
الأحمر	الرجز	ابن الطوبي أبو عبد الله	194
ونهار	مجزوء الرمل	عتيق السكري	72

جوهر	السريع	الرزيق = محمد بن سهل	206
منثور	السريع	ابن الطوبي أبو عبد الله	190
وثغر	الخفيف	محمد بن عيسى بن عبد المنعم	226
العذار	الخفيف	عبد العزيز بن الحاكم	62
ونهارُهُ	الخفيف	مجبر الصقلي	176
هجرِ	الطويل	سليمان الطرابنشي	45
الجمرِ	الطويل	ابن القطاع أبو القاسم	88
صبري	الطويل	عبد العزيز الأنصاري	61
أجري	الطويل	علي بن الطوبي	93
مستعر	البسيط	سليمان الطرابنشي	45
خطر	البسيط	أبو العرب	238
والنظر	البسيط	ابن الطوبي أبو عبد الله	190
الشعر	البسيط	ابو الفتح الشامي	22
جار	البسيط	عمار بن المنصور الكلبي	148
بالدار	البسيط	ابن الخياط الربعي	136
سحار	البسيط	أبو العرب	241
بمقدار	البسيط	مجبر الصقلي	172
العقر	الكامل	الرجيني	184
يفري	الكامل	عبد الرحمن بن عبد الغني	57
جؤذر	الكامل	عيسى بن عبد المنعم	160
عثير	الكامل	ابن الصباغ أبو عبد الله	211
الجائر	الكامل	جعفر بن الطيب	32
بهاجر	الكامل	ابن الخياط الربعي	134
ناضر	الكامل	سليمان بن يخلف	68
الخاطرِ	الكامل	ابن الخياط الربعي	142
الجوهرِ	الكامل	أبو المصيب القيسي	70
حذار	الكامل	قاسم التميمي	166
الأقمار	الكامل	علي بن الطوبي	97
الغمر	السريع	ابن الطوبي أبو عبد الله	208
ومقدار	السريع	ابن الطوبي أبو عبد الله	189
الباري	السريع	ابن الطوبي أبو عبد الله	194
تدري	المنسرح	ابن الخياط الربعي	131
جلنارِ	الخفيف	ابن الطوبي أبو عبد الله	196

جمر	المجتث	تاج الدولة	33
عذاري	المجتث	ابن الطوبي أبو عبد الله	196
الأشفار	المجتث	هاشم بن يونس	248
النهار	المتقارب	الحسين بن أحمد الكاتب	41
وابتكاري	المتقارب	سليمان بن يخلف	65
دنانير	الهزج	حسن بن متكود	36
ضميره	الطويل	ابن حمديس	48
داره	مجزوء الكامل	مجبر الصقلي	171
زناره	الرجز	علي بن الطوبي	94
زناره	السريع	ابن الطوبي أبو عبد الله	199
ساريه	السريع	ابن الثيري	233
دارها	المتقارب	علي بن الطوبي	92
ثارها	المتقارب	البحتري	177

— ز —

العزِّ	السريع	ابن الطوبي أبو عبد الله	188

— س —

يميسُ	الخفيف	ابن بشرى	82
الناسِ	الطويل	ابن القاف أبو علي	26
آسِ	الطويل	ابن الخياط الربعي	146
نفسي	الطويل	عمار بن المنصور الكلبي	148
بتنفس	الطويل	ابن الطوبي أبو عبد الله	192
وسواس	البسيط	الحسن بن أحمد السعدي	41
جلاسي	البسيط	البلنوبي	110
الجلاس	الكامل	علي بن الطوبي	93
وحسّك	الرمل	البلنوبي	110
العنس	السريع	ابن القطاع أبو عبد الله	208
القاسي	السريع	ابن الطوبي أبو عبد الله	185
الناس	السريع	المشرف بن راشد	237

ـ ش ـ

الوحشْهْ	الكامل	عبد العزيز الأنصاري	61
الحشا	الخفيف	أحمد بن نصر	27
الطائشُ	الكامل	حسن بن عبد الله الحمامي	35

ـ ص ـ

عصى	الطويل	علي بن المعلم	147
تحصى	المجتث	مجبر الصقلي	170
خلاصي	المجتث	ابن الطوبي أبو عبد الله	199

ـ ض ـ

انفضًا	الطويل	محمد بن عيسى بن عبد المنعم	228
ترضى	المجتث	ابن الطوبي أبو عبد الله	190
فيضا	المجتث	ابن الطوبي أبو عبد الله	191
عريضُ	الطويل	البلنوبي	110
وانخفاض	الوافر	ابن الطوبي أبو عبد الله	193
رفض	الخفيف	المشرف بن راشد	236

ـ ط ـ

وانحطا	الطويل	ابن السوسي	75
وسيطا	الوافر	علي بن الطوبي	97
تسخطِهِ	المنسرح	أبو الحسن التميمي السعدي	128

ـ ظ ـ

لفظُهُ	المتقارب	أبو المصيب القيسي	134

ـ ع ـ

ودعا	الطويل	ابن الخياط الربعي	134

مطيعا	الطويل	البلنوبي	111
مَعَهْ	الكامل	ابن مكي	152
واسعُ	الطويل	النابغة الذبياني	241
بلاقع	الطويل	يعقوب الزبيدي	249
طمع	البسيط	حسن الطرابنشي	36
تسع	البسيط	محمد بن عيسى بن عبد المنعم	227
ينفعُ	المتقارب	أحمد بن إبراهيم الوداني	21
هجوعي	الطويل	عمر بن عبد الله	155
الطلوع	الوافر	البلنوبي	111
والتصريع	الكامل	ابن البر	210
الوداع	مجزوء الكامل	مجبر الصقلي	177
طمع	المنسرح	ابن الطوبي أبو عبد الله	192
وانقطاعي	المجتث	ابن الطوبي أبو عبد الله	189

ـ ف ـ

يقفَى	الطويل	ابن الخياط الربعي	130
الدنفا	البسيط	البلنوبي	111
رصفا	البسيط	ابن القطاع أبو القاسم	88
صرفا	الوافر	ابن الطوبي أبو عبد الله	197
تشريفا	الكامل	علي الرقباني	98
شفيفا	الكامل	ابن الخياط الربعي	142
موقوفا	الكامل	ابن الخياط الربعي	143
متلفا	الرجز	أبو الحسن الشامي	127
واشتفى	السريع	البلنوبي	111
مرهفا	السريع	البلنوبي	112
الرغيفا	الخفيف	ابن الخياط الربعي	140
المدنفا	المتقارب	البلنوبي	111
فقفا	المقتضب	ابن القطاع أبو القاسم	86
يعسف	الطويل	ابن القرقودي	203
وأنصفه	البسيط	جعفر بن الطيب	31
ظريف	المجتث	ابن الطوبي أبو عبد الله	201
النصفِ	الطويل	الحسن بن محمد الكاتب	37

الحتف	الطويل	حسن الطرابنشي	36
أتخلَّفِ	الطويل	هاشم بن يونس	247
الملاطف	الطويل	محمد بن قاسم بن زيد اللخمي	222
شريف	الوافر	ابن الطوبي أبو عبد الله	193
وظرف	الرمل	البلنوبي	112
عرفه	الطويل	شيخ الدولة	58

ـ ق ـ

شائقا	الطويل	البلنوبي	124
عشقا	الكامل	ابن القاف أبو العباس	17
الأرقا	الكامل	ابن الخياط الربعي	146
شفيقا	الكامل	ابن الخياط الربعي	133
وعقيقا	الكامل	ابن الخياط الربعي	138
التفريقا	الكامل	مجبر الصقلي	174
صدقا	مجزوء الكامل	جعفر بن الطيب	32
يلقى	السريع	أبو الحسن التميمي السعدي	128
شائقُ	الطويل	عبد الرحمن بن حسن الكاتب	56
خليق	الطويل	أبو الفتح الشامي	22
الشفق	البسيط	عبد الله بن جبر	64
رزقُ	مخلع البسيط	ابن رحمون الخولاني	73
يثقُ	الكامل	البلنوبي	112
وأعشق	مجزوء الكامل	أبو الفتح الشامي	22
مخفق	المتقارب	ابن الطوبي أبو عبد الله	194
يخفق	المتقارب	البلنوبي	113
والحرقِ	البسيط	عبد الله بن جبر	64
والحرق	البسيط	سليمان بن يخلف	66
والحنق	البسيط	ابن الطوبي أبو عبد الله	201
الفراق	الوافر	أبو القاسم السرقوسي	54
المتألق	الكامل	عبد الرحمن بن حسن الكاتب	55
والقلق	الكامل	ابن مكي	152
عشاقه	الكامل	عبد العزيز الأنصاري	61
والحدق	المنسرح	ابن الرومي	215

حرق	المنسرح	القرني	202
ألاقي	الخفيف	البلنوبي	112
واشتياق	الخفيف	مشرف بن راشد	235
والعقيق	الخفيف	القسري	16
عقيق	الخفيف	ابن الطوبي أبو عبد الله	187
نسق	الهزج	تاج الدولة	33

— ك —

فبكى	البسيط	عبد العزيز الأنصاري	62
ضحكا	البسيط	البلنوبي	113
سواكا	الوافر	ابن الصباغ أبو عبد الله	214
بسلاحكا	مجزوء الكامل	عبد الرحمن بن رمضان	56
منسفكه	الرمل	ابن القطاع أبو القاسم	87
الملوكا	الخفيف	ابن الخياط الربعي	130
نسكُ	الطويل	عبد الله بن مبارك	70
هتك	الطويل	عمار بن المنصور الكلبي	148
الشوابك	الطويل	المشرف بن راشد	235
دركِ	البسيط	علي بن الطوبي	95
مغناكِ	البسيط	القاضي الرشيد	24
ثناياكِ	البسيط	محمد بن قاسم بن زيد اللخمي	221
وشاكِ	الوافر	جعفر بن الطيب	31
هلاكه	مجزوء الكامل	ابن مكي	152
يخنك	المجتث	ابن الطوبي أبو عبد الله	200

— ل —

عملْ	الطويل	ابن الخياط الربعي	137
الأملْ	مجزوء الكامل	ابن مكي	152
الأناملا	الطويل	أبو العرب	241
أفلا	البسيط	مجير الصقلي	171
جَملا	البسيط	سليمان بن يخلف	69
حُملا	البسيط	أبو العرب	238

دخيلا	الوافر	علي بن الطوبي	93
حَمَلَهْ	مجزوء الوافر	ابن خفيف	15
سبلا	الكامل	البلنوبي	114
سهلا	الكامل	البلنوبي	118
مسيلا	الكامل	عثمان بن علي السرقوسي	78
الجزيلا	مجزوء الرمل	ابن سدوس	205
أحواله	المنسرح	ابن صمنة	21
أهلا	الخفيف	ابن مازوز	156
حَبالا	المجتث	البلنوبي	118
علّه	المجتث	الفأفاء	71
الجليلا	المتقارب	ابن سدوس	205
ذابله	المتقارب	ابن الطوبي أبو عبد الله	187
عذلا	الهزج	ابن الطوبي أبو عبد الله	200
يسألُ	الطويل	طاهر الرقباني	47
أرحل	الطويل	ابن الثيري	233
مضلل	الطويل	البلنوبي	117
وبلبالُ	الطويل	ابن القطاع جعفر	34
تطول	الطويل	ابن سدوس	206
والدولُ	البسيط	—	238
بطل	البسيط	ابن الخياط الربعي	139
يقول	الوافر	حسن الطرابنشي	36
وقالوا	الوافر	الرزيق	206
والعطل	الكامل	البلنوبي	117
تسفل	الكامل	ابن الخياط الربعي	129
يطول	الكامل	ابن البرون	29
يفعل	مجزوء الكامل	البلنوبي	117
المال	السريع	—	85
قنديل	السريع	ابن الخياط الربعي	138
يصول	الخفيف	عتيق السمنطاري	74
محلّه	الخفيف	ابن العوفي	151
مائل	المتقارب	سليمان بن يخلف	67
القرنفلِ	الطويل	عمر بن أبي الطيب	149

وأجملِ	الطويل	الدمعة	19
جميل	الطويل	جعفر بن الطيب	32
كليل	الطويل	البلنوبي	117
الجهل	الطويل	عبد الحق الفقيه	50
والمقل	المديد	سليمان بن يخلف	66
شغل	البسيط	ابن القرقودي	203
شغلِ	البسيط	ابن الصباغ محمد	182
واولُهُ	البسيط	عيسى بن عبد المنعم	160
يأمله	البسيط	علي بن أحمد السعدي	81
المقال	الوافر	ابن الطوبي أبو عبد الله	197
وللرحيلِ	الوافر	عبد الرحمن بن عبد الغني	57
الأول	الكامل	ابن الخياط الربعي	140
بلبل	الكامل	ابن الأضبطي	38
الخجل	الكامل	ابن الخياط الربعي	139
لمقيل	الكامل	البلنوبي	115
بالتقبيل	الكامل	البلنوبي	115
الأهوال	الكامل	مجبر الصقلي	171
وصالك	مجزوء الكامل	ابن الطوبي أبو عبد الله	187
وأهله	الكامل	أبو القاسم السرقوسي	54
فعله	الكامل	ابن مكي	154
بلي	الرمل	البلنوبي	114
قبله	السريع	عثمان بن علي السرقوسي	76
بوصلك	المجتث	البلنوبي	113
ومالي	المجتث	المشرف بن راشد	236
قليل	المجتث	ابن الطوبي أبو عبد الله	191

— م —

وضمْ	الطويل	ابن الخياط الربعي	137
الحماحم	مجزوء الرمل	أبو القاسم الصقلي	18
الظلام	السريع	سليمان الطرابنشي	45
الظلام	السريع	ابن الطوبي أبو عبد الله	191
أليم	المتقارب	ابن الطوبي أبو عبد الله	185

سلـم	المتقارب	يعقوب الزبيدي	249
مغرما	الطويل	علي بن عثمان السرقوسي	79
الذمما	البسيط	أبو الحسن الشامي	126
علما	البسيط	محمد بن عيسى بن عبد المنعم	226
ريما	مخلع البسيط	عبد الله الهاشمي	69
أمّا	الكامل	ابن الخياط الربعي	130
ولمى	الرمل	البلنوبي	118
ظلما	السريع	ابن الخياط الربعي	130
الذمما	المنسرح	أبو الحسن الشامي	126
العمى	المتقارب	ابن الطوبي أبو عبد الله	195
لثامَه	الطويل	ابن الصباغ أبو عبد الله	211
ترجمُ	الطويل	محمد بن أحمد الصقلي	180
منكم	الطويل	أحمد بن محمد اللخمي	25
اللوائم	الطويل	قاسم التميمي	164
النجوم	الوافر	ابن القطاع أبو القاسم	88
يستعظم	الكامل	عبد الرحمن الأطرابنشي	54
يتألمُ	الكامل	تاج الدولة	33
الأجام	الكامل	الحسن بن الفائق	37
كريم	الكامل	سليمان بن يخلف	68
يريم	الرمل	محمد بن أحمد بن يحيى	183
وجحيم	الخفيف	البلنوبي	119
يظلم	المتقارب	الغاون	38
وتؤلمه	الهزج	ابن الطوبي أبو عبد الله	188
الحلمِ	الطويل	محمد بن عيسى بن عبد المنعم	226
معمم	الطويل	ابن القطاع أبو القاسم	86
نعمِ	الطويل	ابن القطاع أبو القاسم	85
مذمم	الطويل	علي بن الطوبي	97
والمتيمم	الطويل	أبو العرب	239
تسَامِ	الطويل	الغاون	38
بغرامِ	الطويل	البلنوبي	120
يدمِ	البسيط	ابن الخياط الربعي	137
وأسقامي	البسيط	إبراهيم بن مالك المعافري	15
مسؤوم	البسيط	ابن القطاع أبو القاسم	86

الحمام	الوافر	سليمان الطرابنشي	45
بالسلام	الوافر	سليمان بن يخلف	69
الهمام	الوافر	محمد بن جعفر الكلبي	183
همومي	الوافر	جعفر بن الطيب	32
سام	الكامل	ابن القطاع أبو القاسم	86
المستحكم	الكامل	عيسى بن عبد المنعم	159
القوام	الرمل	محمد بن عيسى بن عبد المنعم	227
الكلام	مجزوء الرمل	ابن القطاع أبو القاسم	185
لثمي	السريع	ابن الطوبي أبو عبد الله	194
الأحكام	الخفيف	ـ	29
إنعامي	الخفيف	ثقة الدولة	30
نسيمي	المجتث	تاج الدولة	33
بأمه	الطويل	عبد الوهاب بن عبد الله	72
ظلمه	البسيط	طاهر الرقباني	47

ـ ن ـ

مِنْه	الوافر	ابن الطوبي أبو عبد الله	188
عنه	مجزوء الكامل	علي بن الطوبي	96
منه	الرمل	ابن مكي	154
عنه	مجزوء الرمل	ابن الطوبي أبو عبد الله	192
عنها	الخفيف	مستخلص الدولة	234
إعلانا	الطويل	البلنوبي	120
وزينا	الطويل	ابن القاف أبو علي	26
المغنونا	البسيط	ابن الطوبي أبو عبد الله	198
مصونا	مجزوء الرمل	ابن العوفي	151
أينا	مجزوء الرمل	ابن الطوبي أبو عبد الله	189
زدنا	السريع	ابن الطوبي أبو عبد الله	194
حزينا	الخفيف	ابن الرقباني	180
معنى	المجتث	المشرف بن راشد	236
يعصونَهُ	المتقارب	ابن الطوبي أبو عبد الله	192
وأبدانُ	الطويل	أبو الضوء سراج	43
شطونُ	الكامل	الحسن بن أبي علي القائد	39

العين	الكامل	محمد بن عيسى بن عبد المنعم	224
شؤون	الرمل	ابن الخياط الربعي	146
بيّنْ	السريع	ابن الطوبي أبو عبد الله	197
والسكونْ	المجتث	ابن الطوبي أبو عبد الله	187
جفونها	الطويل	ابن القاف أبو علي	26
ومكاني	الطويل	علي بن الطوبي	92
بإعلاني	الطويل	محمد بن عيسى بن عبد المنعم	224
حنانِ	البسيط	ابن رحيق	154
عين	مخلع البسيط	عيسى بن عبد المنعم	163
لمستني	البسيط	ابن القطاع أبو القاسم	87
باليمين	الوافر	أبو نواس	78
صول جانِ	الوافر	البلنوبي	120
باليمين	الوافر	ابن الخياط الربعي	129
يماني	الوافر	عمار بن المنصور الكلبي	148
الأظعان	الكامل	جعفر بن الطيب	30
الكتمان	الكامل	محمد بن عيسى بن عبد المنعم	224
فنّ	مجزوء الكامل	اپن الكموني	221
ببين	مجزوء الكامل	القاسم بن سوار	169
يبين	مجزوء الكامل	ابن الطوبي أبو عبد الله	193
وفني	مجزوء الكامل	ميمون بن حسن الكلبي	248
جون	السريع	ابن الصباغ أبو عبد الله	218
سيان	المنسرح	العروضي	17
الأجفان	الخفيف	ابن الخياط الربعي	131
الحاجبين	الخفيف	ابن الطوبي أبو عبد الله	200
التداني	الخفيف	ابن الخياط الربعي	134
حزني	المجتث	البلنوبي	120
اللجين	المتقارب	ابن الطوبي أبو عبد الله	189
دارين	الهزج	ابن الصباغ أبو عبد الله	214

ـ هـ ـ

عداه	السريع	البلنوبي	121
الوفاه	السريع	ابن العوفي	151
كريها	الطويل	سليمان الطرابنشي	46

رياها	المنسرح	علي بن الطوبي	92
مبتغيها	الوافر	ابن الطوبي أبو عبد الله	198
مولاهُ	البسيط	ابن الخياط الربعي	135
جناهُ	الوافر	ابن السطبرق	150
ألقاهُ	الكامل	البلنوبي	121
عاشقيه	الرمل	ابن الطوبي أبو عبد الله	194
إليه	مجزوء الرمل	عبد العزيز بن الحاكم	62
عيناهُ	السريع	مجبر الصقلي	176
وداناه	المنسرح	عبد العزيز بن دانق	60
يراه	المجتث	ابن الطوبي أبو عبد الله	186
ساقيها	البسيط	أبو الحسن الشامي	127
ومولِيها	البسيط	ابن الخياط الربعي	142
باريه	البسيط	أحمد بن نصر	27
خديه	السريع	أبو الحسن التميمي السعدي	128
إليه	الخفيف	ابن الطوبي أبو عبد الله	186، 201
مهديها	الخفيف	القاسم بن سوار	169
تشتهيه	المجتث	ابن الطوبي أبو عبد الله	197
عليه	المجتث	ابن الطوبي أبو عبد الله	195
به	المتقارب	ابن القطاع أبو القاسم	84

— ي —

نائيا	الطويل	أحمد بن علي الفهري	23
داعيا	الطويل	أبو العرب	242
مرتديه	المديد	مجبر الصقلي	176
بالعشيه	مجزوء الكامل	البثيري	58
البليه	مجزوء الكامل	علي الوداني	99
العافيه	السريع	ابن الطوبي أبو عبد الله	195
لؤلؤيا	الخفيف	ابن القطاع أبو القاسم	85
ورزيه	المجتث	ابن الطوبي أبو عبد الله	191
عليٌّ	الوافر	عيسى بن عبد المنعم	43
المضيءُ	الوافر	أبو الضوء سراج	43
الخفيُّ	مجزوء الرمل	ابن الطوبي أبو عبد الله	188
العلوي	السريع	ابن الطوبي أبو عبد الله	197

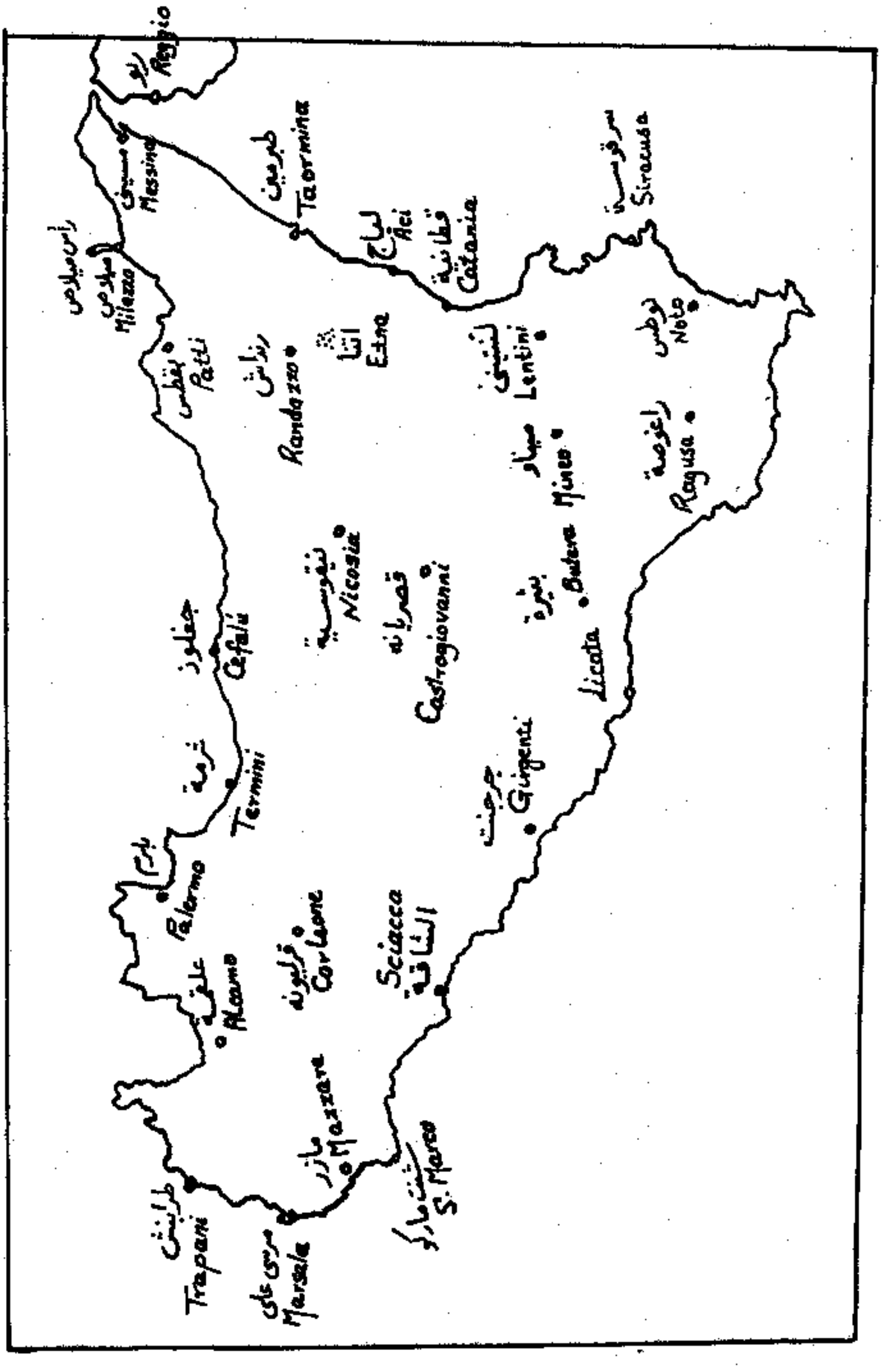
Reggio
Messina
Taormina
Siracusa
Aci
Catania
Milazzo
Patti
Randazzo
Etna
Lentini
Noto
Ragusa
Mineo
Nicosia
Castrogiovanni
Butera
Licata
Cefalù
Termini
Girgenti
Palermo
Corleone
Sciacca
Alcamo
Mazzare
S. Marco
Trapani
Marsala

دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان
لصاحبها الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء، بناية الأسود
تلفون البناية: 340131/ تلفون مباشر: 350331 ص. ب. 5787-113 بيروت، لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

رقم 257 / 2000 / 10 / 1994

التنضيد: ساموبرس - بيروت

الطباعة: دار صادر، ص. ب. 10 - بيروت

Foreword

The Arabs settled in the island of Sicily for some centuries through which they gave the island an Islamic-Arabic culture. Even when the Normans became rulers of Sicily they encouraged and promoted that culture. Poets used to recite their Arabic poems in the court of Palermo. Al Idrisi, the well-known geographer compiled his geographical work and drew a map of the world for Roger I. The successors of Roger were not less enthusiastic in this respect.

This volume of biographical dictionary tries to give a picture in different aspects of learning in Sicily.

It is a small and humble addition to what the great Amari did in his history of Muslim Sicily and in his Bibliotheca Arabo di Sicilia.

Sicily was one of the main entrances through which Arab-Islamic culture penetrated into Europe. We can say that Sicilian Culture was in every respect an extension of Tunisian Culture.

Amman, 15 Feb. 1994

COPYRIGHT © 1994

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI
P. B. : 113-5787- BEIRUT

All rights reserved. No part of this book may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording, or any information storage and retrieval system, without permission in writing from the Publisher.

A Biographical Dictionary of Sicilian Learned Men and Poets

Prepared and arranged
by

IHSAN ABBAS

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI
1994

A Biographical Dictionary of Sicilian Learned Men and Poets